الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الحادي والثلاثون

مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق
آية الله السيد جعفر مرتضى العاملي

عاملي، جعفر مرتضى ١٩٤٤م.

الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام (المرتضى من سيرة المرتضى) /السيد جعفر مرتضى العاملي. قم: أيام، ١٤٣٢ ق.= ٢٠١٢م. = ١٣٨٩.

٥١٢ ص.

ISBN: ٩٧٨ ـ ٩٦٤ ـ ٩١٠٦٣ ـ ٩ ـ ٧ ٦٠٠،٠٠٠ ريال

فهرست نويسى بر اساس اطلاعات فيپا.

كتابنامه:

١. علي بن أبي طالب (ع)، إمام اول، ٢٣ قبل الهجرت ـ ٤٠ ق سر گذشت نامه. ٢ . إسلام ـ تاريخ از آغاز تا ٤١ ق. ألف. عنوان ب. عنوان: المرتضى من سيرة المرتضى.

٣ ص ٤٢ع BP ٣٧/٣٥ ٢٩٧/٩٥١

١٣٨٩

اسم الكتاب:	**الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام**
اسم المؤلف:	**السيد جعفر مرتضى العاملي**
الناشر:	**نشر أيام**
الطبعة:	**الأولى ١٤٣٢ هـ.ق = ١٣٨٩ هـ.ش =٢٠١٢ م**
عدد المطبوع:	**٢٠٠٠ نسخة**
سعر الدورة: ٣١ ـ ٤٥	**٦٠٠٠٠ توماناً**
ردمك ج٣١:	**٥ ـ ٣ ـ ٩١٠٦٣ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨**

العنوان: ايران ـ قم ـ ٤٥ متري صدوق ـ صدوقي ٦ پلاك ٢٠ تلفن: ٠٩١٢٦٥١٨٨١٤ ـ ٠٩١٢١٥١٧٦٧٧

اين اثر با حمايت معاونت محترم فرهنگي وزارت فرهنگ وارشاد اسلامى طبع شده است

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثاني:

أحتجاجات أمير المؤمنين × على الخوارج

بداية:

تقدم: أن الخوارج طلبوا من ابن عباس «رحمه الله» أن يرجع إلى علي «عليه السلام» ويطلب منه أن يأتيهم بنفسه، ليحتجوا عليه، ويسمعوا كلامه، ويسمع كلامهم. فعسى، ولعل.. ولعل، وعسى..

فرجع إليه ابن عباس، وأخبره بذلك.

علي × يحتج على الخوارج:

1 ـ قال ابن أعثم:

فركب علي إلى القوم في مائة رجل من أصحابه حتى وافاهم بحروراء.

فلما بلغ ذلك الخوارج ركب عبد الله بن الكواء في مائة رجل من أصحابه حتى وافقه، فقال له علي: يا بن الكواء! إن الكلام كثير، ابرز إلي من أصحابك حتى أكلمك.

قال ابن الكواء: وأنا آمن من سيفك؟!

قال علي: نعم، وأنت آمن من سيفي.

قال: فخرج ابن الكواء في عشرة من أصحابه، ودنوا من علي «رضي الله عنه».

قال: وذهب ابن الكواء ليتكلم، فصاح به رجل من أصحاب علي وقال: اسكت حتى يتكلم من هو أحق بالكلام منك!

قال: فسكت ابن الكواء، وتكلم علي بن أبي طالب، فذكر الحرب الذي كان بينه وبين معاوية، وذكر اليوم الذي رفعت فيه المصاحف، وكيف اتفقوا على الحكمين، ثم قال له علي: ويحك يا بن الكواء! ألم أقل لكم في ذلك اليوم الذي رفعت فيه المصاحف كيف أهل الشام يريدون أن يخدعوكم بها؟!

ألم أقل لكم بأنهم قد عضهم السلاح، وكاعوا عن الحرب، فذروني أناجزهم، فأبيتم عليَّ، وقلتم: إن القوم قد دعونا إلى كتاب الله عز وجل، فأجبهم إلى ذلك، وإلا لم نقاتل معك، وإلا دفعناك إليهم، فلما أجبتكم إلى ذلك، وأردت أن أبعث ابن عمي عبد الله بن عباس ليكون لي حكماً، فإنه رجل لا يبتغي بشيء من عرض هذه الدنيا، ولا يطمع أحد من الناس في خديعته، فأبى علي منكم من أبى، وجئتموني بأبي موسى الأشعري وقلتم: قد رضينا بهذا. فأجبتكم إليه وأنا كاره، ولو أصبت أعواناً غيركم في ذلك الوقت لما أجبتكم.

ثم إني اشترطت على الحكمين بحضرتكم أن يحكما بما أنزل الله من فاتحته إلى خاتمته أو السنة الجامعة، فإن هما لم يفعلا ذلك فلا

طاعة لهما علي، أكان ذلك أم لم يكن؟!

فقال ابن الكواء: صدقت، قد كان هذا بعينه، فلم لا ترجع إلى حرب القوم إذ قد علمت أن الحكمين لم يحكما بالحق، وأن أحدهما خدع صاحبه؟!

فقال علي: إنه ليس إلى حرب القوم سبيل إلى انقضاء المدة التي ضربت بيني وبينهم.

قال ابن الكواء: فأنت مجمع على ذلك؟!

قال: وهل يسعني إلى (إلا) ذلك؟! أَنَظَرٌ يا ابن الكواء، أني أصبت أعواناً وأقعد عن حقي؟!

قال: فعندها بَطَن ابن الكواء فرسه، وصار إلى علي مع العشرة الذين كانوا معه، ورجعوا عن رأي الخوارج، وانصرفوا مع علي إلى الكوفة، وتفرق الباقون وهم يقولون: لا حكم إلا لله، ولا طاعة لمن عصى الله(1).

كاع: جبن.

بَطَنَهُ: ضرب بطنه.

2 ـ وقال الدينوري: إنه «عليه السلام» قال لهم:

ليخرج إليَّ رجل منكم ترضون به حتى أقول ويقول، فإن وجبت

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج4 ص253 ـ 255 وراجع: مناقب آل أبي طالب ج3 ص189 وكشف الغمة ج1 ص264.

عليَّ الحجة أقررت لكم، وتبت إلى الله. وإن وجبت عليكم، فاتقوا الذي مردكم إليه.

فقالوا لعبد الله بن الكواء، وكان من كبرائهم: أخرج إليه حتى تحاجه، فخرج إليه.

فقال علي: هل رضيتم؟!

قالوا: نعم.

قال: اللهم اشهد، فكفى بك شهيداً.

فقال علي «رضي الله عنه»: يا ابن الكواء، ما الذي نقمتم علي بعد رضاكم بولايتي، وجهادكم معي، وطاعتكم لي؟! فهلا برئتم مني يوم الجمل؟!

قال ابن الكواء: لم يكن هناك تحكيم.

فقال علي: يا ابن الكواء، أنا أهدى أم رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

قال ابن الكواء: بل رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: فما سمعت قول الله عز وجل: **(فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا)**(1). أكان الله يشك أنهم هم الكاذبون؟!

(1) الآية 61 من سورة آل عمران.

قال: إن ذلك احتجاج عليهم، وأنت شككت في نفسك حين رضيت بالحكمين، فنحن أحرى أن نشك فيك.

قال: وإن الله تعالى يقول: **(فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ)**(1).

قال ابن الكواء: ذلك أيضاً احتجاج منه عليهم.

فلم يزل علي «عليه السلام» يحاج ابن الكواء بهذا وشبهه، فقال ابن الكواء: أنت صادق في جميع ما تقول، غير أنك كفرت حين حكمت الحكمين.

قال علي: ويحك يا ابن الكواء، إني إنما حكَّمت أبا موسى وحده، وحكَّم معاوية عمرواً.

قال ابن الكواء: فإن أبا موسى كان كافراً.

فقال علي: ويحك، متى كفر؟! أحين بعثته، أم حين حكم؟!

قال: لا، بل حين حكم.

قال: أفلا ترى أني إنما بعثته مسلماً، فكفر في قولك بعد أن بعثته؟! أرأيت لو أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث رجلاً من المسلمين إلى أناس من الكافرين، ليدعوهم إلى الله، فدعاهم إلى غيره، هل كان على رسول الله «صلى الله عليه وآله» من ذلك شيء؟!

قال: لا.

---

(1) الآية 49 من سورة القصص.

قال: ويحك، فما كان علي أن ضل أبو موسى؟! أفيحل لكم بضلالة أبي موسى أن تضعوا سيوفكم على عواتقكم فتعترضوا بها الناس؟!

فلما سمع عظماء الخوارج ذلك قالوا لابن الكواء: انصرف، ودع مخاطبة الرجل.

فانصرف إلى أصحابه، وأبى القوم إلا التمادي في الغي(1).

3 ـ قال المبرد:

يروى: أن علياً في أول خروج القوم عليه دعا صعصعة بن صوحان العبدي ـ وقد كان وجهه إليهم ـ وزياد بن النضر الحارثي مع عبد الله بن العباس، فقال لصعصعة: بأي القوم رأيتهم أشد إطافة؟!

فقال: بيزيد بن قيس الأرحبي.

فركب علي إليهم إلى حروراء، فجعل يتخللهم حتى صار إلى مضرب يزيد بن قيس، فصلى فيه ركعتين، ثم خرج فاتكأ على قوسه، وأقبل على الناس، ثم قال: هذا مقام من فلج فيه فلج يوم القيامة، أنشدكم الله، أعلمتم أحدا منكم كان أكره للحكومة مني؟!

قالوا: اللهم لا. قال: أفعلمتم أنكم أكرهتموني حتى قبلتها؟!

قالوا: اللهم نعم. قال: فعلام خالفتموني ونابذتموني؟!

---

(1) الأخبار الطوال ص208 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص335 و 336.

قالوا: إنا أتينا ذنباً عظيماً، فتبنا إلى الله، فتب إلى الله منه واستغفره نعد لك.

فقال علي: إني أستغفر الله من كل ذنب.

فرجعوا معه، وهم ستة آلاف. فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن علياً رجع عن التحكيم ورآه ضلالاً، وقالوا: إنما ينتظر أمير المؤمنين أن يسمن الكراع، ويجبى المال، فينهض إلى الشام.

فأتى الأشعث بن قيس علياً، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الناس قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضلالاً، والإقامة عليها كفرا!

فخطب علي الناس، فقال: من زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب، ومن رآها ضلالاً، فهو أضل.

فخرجت الخوارج من المسجد، فحكمت، فقيل لعلي: إنهم خارجون عليك.

فقال: لا أقاتلهم حتى يقاتلوني، وسيفعلون(1).

4 - قال الطبري: عن عمارة بن ربيعة ـ في ذكر الخوارج ـ: بعث علي زياد ابن النضر إليهم، فقال: انظر بأي رؤوسهم هم أشد إطافة.

---

(1) راجع: الكامل في الأدب ج3 ص1130 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص278 و 279 وبحار الأنوار ج33 ص353 ونهج السعادة ج2 ص330 و 331 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص336 - 338 وراجع: أنساب الأشراف ج3 ص130.

فنظر، فأخبره أنه لم يرهم عند رجل أكثر منهم عند يزيد بن قيس.

فخرج علي في الناس حتى دخل إليهم، فأتى فسطاط يزيد بن قيس، فدخله فتوضأ فيه، وصلى ركعتين، وأمَّره على أصبهان والري.

ثم خرج حتى انتهى إليهم، وهم يخاصمون ابن عباس، فقال: انته عن كلامهم، ألم أنهك رحمك الله!

ثم تكلم، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه، ثم قال: اللهم إن هذا مقام من أفلج فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة، ومن نطق فيه وأوعث(1) فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً.

ثم قال لهم: من زعيمكم؟!

قالوا: ابن الكواء.

قال علي: فما أخرجكم علينا؟!

قالوا: حكومتكم يوم صفين.

قال: أنشدكم بالله، أتعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف، فقلتم: نجيبهم إلى كتاب الله. قلت لكم: إني أعلم بالقوم منكم، إنهم ليسوا

(1) أوعث فلان: إذا خلط، والوعث: فساد الأمر واختلاطه. راجع: لسان العرب ج2 ص202.

بأصحاب دين ولا قرآن، إني صحبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً، فكانوا شر أطفال وشر رجال. امضوا على حقكم وصدقكم، فإنما رفع القوم هذه المصاحف خديعة ودهناً[1]، ومكيدة.

فرددتم علي رأيي، وقلتم: لا، بل نقبل منهم.

فقلت لكم: اذكروا قولي لكم، ومعصيتكم إياي.

فلما أبيتم إلا الكتاب اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن، وأن يميتا ما أمات القرآن، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكما يحكم بما في القرآن، وإن أبيا، فنحن من حكمهما برآء.

[وفي نص آخر: فهل قام إلي رجل، فقال: يا علي، إن هذا الأمر أمر الله فلا تعطه القوم؟!

قالوا: لا]

قالوا له: فخبرنا أتراه عدلا تحكيم الرجال في الدماء؟!

فقال: إنا لسنا حكمنا الرجال، إنما حكمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق، إنما يتكلم به الرجال.

[وأنتم حكمتم أبا موسى، وجئتموني، وأتيتموني به مبرنساً. وقلتم: لا نرضى إلا به. ومعاوية حكَّم عمرواً!

[ثم قال]: وأخبرني عنك يا ابن الكواء، متى سمي أبو موسى

---

(1) دهن الرجل: إذا نافق راجع: لسان العرب ج13 ص162.

حكماً؟! أحين أرسل؟! أم حين حكم؟!

قال: حين حكم.

قال: فقد سار وهو مسلم، وأنت ترجو ان يحكم بما أنزل الله.

قال: نعم.

قال: فلا أرى الضلال في إرساله، إذ كان عدلاً].

قالوا: فخبرنا عن الأجل، لم جعلته فيما بينك وبينهم؟!

قال: ليعلم الجاهل، ويتثبت العالم، ولعل الله عز وجل يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة(1).

ويتابع ابن الإسكافي روايته، فيقول:

ثم قال علي: أرأيتم، لو أن رسول الله «عليه السلام» أرسل رجلاً مؤمناً يدعو قوماً مشركين إلى كتاب الله، فارتد على عقبه كافراً، كان يضر النبي «صلى الله عليه وآله» شيئاً؟!

قالوا: لا.

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص65 و (ط الأعلمي) ج4 ص47 و 48 والمعيار والموازنة ص198 و 199 والكامل في التاريخ ج3 ص328 و (ط أخرى) ج2 ص393 والإرشاد ج1 ص270 وبحار الأنوار ج33 ص387 ونهج السعادة ج2 ص289 نحوه، وفيه من «فحمد الله عز وجل..». وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص338 عن الطبري. وراجع: مناقب آل ابي طالب ج2 ص370

قال: فما ذنبي، إن ضل أبو موسى، ولم أرض بحكومته إذ حكم، ولا بقوله إذ قال.

قالوا: أفرأيت كتابك باسمك واسم أبيك، وتركك اسمك الذي سماك الله به بإمرة المؤمنين؟!

قال علي: على يدي دار مثل هذا الحديث.

كتب النبي «عليه السلام»: هذا كتاب من محمد رسول الله.

وقال أبو سفيان، وسهيل بن عمرو: لا نقر ولا نعرف أنك رسول الله، لقد ظلمناك إذاً إن شهدنا أنك رسول الله، ثم قاتلناك، ولكن اكتب باسمك واسم أبيك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» اكتب من محمد بن عبد الله، فإن ذلك لا يضر نبوتي شيئاً.

فكتبها رسول الله «صلى الله عليه وآله» لآبائهم، وكتبتها أنا لابنائهم.

قالوا: صدقت. ولكن بقيت خصلة: إنا قد علمنا أنك لم ترض بحكمهم حتى شككت، وكتبت في كتابك: إن جرني كتاب الله إليك تبعتك، وإن جرك إلي تبعتني. تعطي هذا القول وقد أحصا (لعل الصواب: خاضت) خيلنا في دمائهم؟! وما فعلت هذا حتى شككت.

فقال علي: نبئني أنت ومن معك أولى بأن لا تشكّوا في دينكم أم المهاجرون والأنصار؟!

أم أنا أولى بالشك، أم معاوية؟!

قال ابن الكواء: النبي «عليه السلام» أولى باليقين منك.. وأهل الشام خير من مشركي قريش. والمهاجرون والأنصار خير منا.

قال: أفرأيت الله حين يقول لرسوله: **(قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)**[(1)].

أشك النبي «عليه السلام» فيما هو عليه حين يقول هذا؟! أم أعطاهم إنصافاً؟!

فقال ابن الكواء: خصمتنا ورب الكعبة، وأنت أعلم منا بما صنعت.

فقال علي «عليه السلام»: «ادخلوا مصركم رحمكم الله».

فلم يبرح علي «عليه السلام» حتى تفرقوا، ودخلوا معه، وقلبوا أترستهم[(2)].

وعند الطبري أنه قال:

ادخلوا مصركم رحمكم الله.

فدخلوا من عند آخرهم[(3)].

---

(1) الآية 49 من سورة القصص.

(2) راجع: المعيار والموازنة ص198 - 201.

(3) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص65 و (ط الأعلمي) ج4 ص48 وراجع: مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص302 والإرشاد ج1 ص271 وبحار الأنوار ج33 ص387 ونهج السعادة ج2 ص291

5 - وقال ابن عبد ربه: لما التقى علي «عليه السلام» بابن الكواء قال له علي: يا ابن الكواء، إنه من أذنب في هذا الدين ذنباً يكون في الإسلام حدثاً استتبناه من ذلك الذنب بعينه، وإن توبتك: أن تعرف هدى ما خرجت منه، وضلال ما دخلت فيه.

قال ابن الكواء: إننا لا ننكر أنا قد فتنا.

فقال له عبد الله بن عمرو بن جرموز: أدركنا والله هذه الآية: **(الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)**[1] - وكان عبد الله من قراء أهل حروراء - فرجعوا فصلوا خلف علي الظهر، وانصرفوا معه إلى الكوفة. ثم اختلفوا بعد ذلك في رجعتهم، ولام بعضهم بعضاً[2].

6 - وقال ابن عبد ربه أيضاً:

لما جاء علي «عليه السلام» إلى أهل حروراء، قال لهم: يا هؤلاء، من زعيمكم؟!

قالوا: ابن الكواء.

قال: فليبرز إلي.

فخرج إليه ابن الكواء، فقال له علي: يا ابن الكوّاء، ما أخرجكم

وأنساب الأشراف ج2 ص349.

(1) الآيتان 1 و 2 من سورة العنكبوت.

(2) العقد الفريد ج3 ص345 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص69.

علينا بعد رضاكم بالحكمين، ومقامكم بالكوفة؟!

قال: قاتلت بنا عدواً لا نشك في جهاده، فزعمت: أن قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار، فبينما نحن كذلك، إذ أرسلت منافقاً وحكمت كافراً. وكان مما (من) شكك في أمر الله أن قلت للقوم حين دعوتهم: «كتاب الله بيني وبينكم، فإن قضى علي بايعتكم، وإن قضى عليكم بايعتموني»، فلولا شكك لم تفعل هذا والحق في يدك.

فقال علي: يا ابن الكواء إنما الجواب بعد الفراغ، أفرغت فأجيبك؟!

قال: نعم.

قال علي: أما قتالك معي عدواً لا نشك في جهاده فصدقت، ولو شككت فيهم لم أقاتلهم.

وأما قتلانا وقتلاهم، فقد قال الله في ذلك ما يستغني به عن قولي.

وأما إرسالي المنافق، وتحكيمي الكافر، فأنت أرسلت أبا موسى مبرنساً، ومعاوية حكم عمرواً، أتيت بأبي موسى مبرنساً، فقلت: لانرضى إلا أبا موسى، فهلا قام إليّ رجل منكم، فقال: يا علي، لا نعطي هذه الدنية فإنها ضلالة؟!

وأما قولي لمعاوية: إن جرني إليك كتاب الله تبعتك، وإن جرك إلي تبعتني، زعمت أني لم أعط ذلك إلا من شك، فقد علمت: أن أوثق ما في يدك هذا الأمر، فحدثني ـ ويحك ـ عن اليهودي والنصراني،

ومشركي العرب، أهم أقرب إلى كتاب الله أم معاوية وأهل الشام؟!.

قال: بل معاوية وأهل الشام أقرب.

قال علي: أفرسول الله «صلى الله عليه وآله» كان أوثق بما في يديه من كتاب الله أو أنا؟!.

قال: بل رسول الله.

قال: أفرأيت الله تبارك وتعالى حين يقول: **(قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)**(1). أما كان رسول الله يعلم: أنه لا يؤتى بكتاب هو أهدى مما في يديه؟!

قال: بلى.

قال: فلم أعطى رسول الله القوم ما أعطاهم؟!

قال: إنصافاً وحجة.

قال: فإني أعطيت القوم ما أعطاهم رسول الله.

قال ابن الكواء: فاني أخطأت، هذه واحدة، زدني.

قال علي: فما أعظم ما نقمتم عليّ.

قال: تحكيم الحكمين، نظرنا في أمرنا فوجدنا تحكيمهما شكاً وتبذيراً.

قال علي: فمتى سمي أبو موسى حكماً، حين أرسل؟! أو حين

---

(1) الآية 49 من سورة القصص.

حكم؟!

قال: حين أرسل.

قال: أليس قد سار وهو مسلم وأنت ترجو أن يحكم بما أنزل الله؟!

قال: نعم.

قال علي: فلا أرى الضلال في إرساله.

فقال ابن الكواء: سمي حكماً حين حكم.

قال: نعم إذاً، فإرساله كان عدلاً، أرأيت يابن الكواء لو أن رسول الله بعث مؤمناً إلى قوم مشركين، يدعوهم إلى كتاب الله، فارتد على عقبه كافراً، كان يضرّ نبي الله شيئاً؟!

قال: لا.

قال علي: فما ذنبي أن كان أبو موسى ضل؟! هل رضيت حكومته حين حكم، أو قوله إذ قال؟!.

قال ابن الكواء: لا ولكنك جعلت مسلماً وكافراً يحكمان في كتاب الله.

قال علي: ويلك يا ابن الكواء، هل بعث عمرواً غير معاوية؟! وكيف أحكمه، وحكمه على ضرب عنقي؟! إنما رضي به صاحبه كما رضيت أنت بصاحبك، وقد يجتمع المؤمن والكافر يحكمان في أمر الله. أرأيت لو أن رجلاً مؤمناً تزوج يهودية أو نصرانية، فخافا شقاق بينهما، ففزع الناس إلى الله، وفي كتابه: **(فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ**

وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا)(1)، فجاء رجل من اليهود، أو رجل من النصارى، ورجل من المسلمين، اللذين يجوز لهما أن يحكما في كتاب الله، فحكما».

قال ابن الكواء: وهذه أيضاً، أمهلنا حتى ننظر.

فانصرف عنهم علي.

قال صعصعة بن صوحان: يا أمير المؤمنين، إئذن لي في كلام القوم.

قال: نعم، ما لم تبسط يداً.

قال: فنادى صعصعة ابن الكواء.

فخرج إليه، فقال: أنشدكم الله يا معشر الخارجين. ألا تكونوا عاراً على من يغزو لغيره، وألا تخرجوا بأرض تسمُّوا بها بعد اليوم، ولا تستعجلوا ضلال العام خشية ضلال عام قابل.

فقال له ابن الكواء: إن صاحبك لقينا بأمر قولك فيه صغير، فامسك(2).

ونقول:

---

(1) الآية 35 من سورة النساء.

(2) العقد الفريد ج4 ص351 - 353 و (ط أخرى) ج3 ص121 و 122.

لا مجال لتجنب التكرار:

إن تكرار الإستدلالات وتكرر أجوبتها في الروايات المختلفة، وحتى في الإحتجاجات المتعددة التي جرت ليس أمراً نشازاً، بل هو متوقع.. ولا سيما مع اختلاف الأغراض والسلائق المقتضية للإختصار أو للحذف، أو لغير ذلك.. ولا عجب إذا أوردنا النصوص كما هي، لأننا نحب أن نعطي القارئ الكريم صورة واضحة قدر الإمكان عما جرى.

علي × في مئة رجل:

ذكر النص المنقول عن ابن أعثم:

أن علياً «عليه السلام» قد خرج إلى الخوارج في حروراء، وهم اثنا عشر ألفاً، بل أكثر من ذلك، وهو في مئة رجل، فلما بلغ الخوارج ذلك ركب عبد الله بن الكواء في مئة رجل حتى واقفه[1].

وربما يعتبر البعض: أن هذا التصرف منه «عليه السلام» مجازفة غير مقبولة، فما الذي يؤمنه من أن يغتنم الخوارج الفرصة ويفاجئونه بالحملة عليه وعلى أصحابه حملة رجل واحد، ويبيدونهم عن آخرهم.. وإن استطاع «عليه السلام» أن ينجو منهم، فإنه يكون قد فرط بمئة رجل من المسلمين، وهو أمر غير مقبول على أي حال..

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج4 ص253 و 254.

ونجيب:

أولاً: إن الخوارج ما كانوا يريدون الموت، بل كانوا يريدون النصر، والحصول على الملك، وتقدم: أن بيعتهم لأميرهم قد حصلت على أن يكون الأمر شورى بعد الفتح. (فهم يتوقعون هذا الفتح لأنفسهم إذن).

وأخبر أمير المؤمنين «عليه السلام» عن أن الشيطان قد زين لهم أنهم ظاهرون ـ كما تقدم.

ومن المعلوم: أن قتل مئة رجل، بالإضافة إلى أنه قد لا يحصل، إذ قد يتمكن أكثرهم من النجاة. بل يتمكن المئة رجل ومعهم أمير المؤمنين «عليه السلام» من مشاغلتهم ساعة، ويأتيهم المدد الذي كان على مقربة منهم، لأن حروراء على مقربة من الكوفة، ولا تبعد عنها سوى ميلين.. والمعسكر كان بالنخيلة أيضاً، وهي في ظاهر الكوفة أيضاً.

فلو أنهم ارتكبوا حماقة مهاجمة أمير المؤمنين «عليه السلام» ومن معه، فإن فرص نجاتهم من الهجوم الساحق والماحق الذي سيتعرضون له من أهل الكوفة تصبح أشبه بالمعجزة، لأن الخوارج يعلمون أنهم لو فعلوا ذلك، فإن الأمور ستتخذ منحى لا ينتهي إلا بإبادتهم أو إبادة جميع أنصار علي «عليه السلام»، والإمامين الحسنين «عليهما السلام»، ومن معهما من قادة عسكر أمير المؤمنين، كالأشتر وسعيد بن قيس، وعدي بن حاتم، وغيرهم ممن

كانوا يترصدون ما يجري، ويتابعونه عن كثب، وستكون أية حركة من هذا القبيل من أسباب استماتة كل من تركهم «عليه السلام» وراءه في قتالهم.

ثانياً: من قال: إن الخوارج كانوا قادرين على اتخاذ قرار خطير كهذا بإجماع منهم، فإن من الطبيعي أن يقع بينهم الخلاف الذي لا اتفاق بعده، وربما تصل الأمور بينهم إلى المنابذة والقتال.

ثالثاً: من الذي قال: إن الخوارج قد عرفوا بأنه «عليه السلام» قد اقتصر على الذين جاؤا معه، فلعلهم ظنوا أو تيقنوا أن ثمة جيشاً يأتي خلفه «عليه السلام».

بل يبدو من سياق كلام ابن أعثم: أنهم فوجئوا بحضوره «عليه السلام» إليهم، لذلك قال: فلما بلغ ذلك الخوارج ركب عبد الله بن الكواء في مئة رجل.

شهادة علي × بنزاهة ابن عباس:

وقد ذكرت راوية ابن أعثم:

أن علياً «عليه السلام» قال للخوارج: «وأردت أن أبعث ابن عمي عبد الله بن عباس ليكون لي حكماً، فإنه رجل لا يبتغي بشيء من عرض هذه الدنيا، ولا يطمع أحد من الناس في خديعته الخ..»(1).

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج4 ص254.

وهذه شهادة ذات أهمية وقيمة كبيرة منه «عليه السلام» في حق ابن عباس، تفيد في تفنيد بعض المزاعم التي تحاول أن تنسب إلى هذا الرجل الذي «لا يبتغي بشيء من عرض هذه الدنيا» أنه سرق أموالاً من بيت مال البصرة. كما يزعمه الطبري حسبما سيمر معنا إن شاء الله تعالى.

وعلي «عليه السلام» أعرف بابن عباس من جميع المناوئين له والحاقدين عليه، الذين حين لم يجدوا سبيلاً إلى تشويه سمعة أمير المؤمنين «عليه السلام» في الحكم، لجأوا إلى اختراع الأباطيل حول نزاهة ولاته وأصحابه، وأقربائه، وليكون هذا من أسباب تخفيف حدة النقد على عثمان وعماله فيما يرتبط بسياساتهم المالية، وما كان يجري منهم على بيت المال من عدوان وخيانة ومن تفريط بالأمانة.

فكان ذلك من أسباب ثورة الناس في البلاد المختلفة مطالبين عثمان بمعالجة الوضع، وكان عثمان يمتنع من ذلك الأمر الذي انتهى بقتله.

فأراد الأخطبوط الأموي تشويه صورة ابن عباس بهذه التهمة، والإنتصار لهؤلاء من رجل يصفه علي «عليه السلام» بأنه «لا يبتغي بشيء من عرض هذه الدنيا».

لو أصبت أعواناً:

وتقدم في رواية ابن أعثم أيضاً:

قوله «عليه السلام» لابن الكواء عن أبي موسى حين جاؤوه به

في صفين، وفرضوه حكماً: «فأجبتكم إليه وأنا كاره، ولو أصبت أعواناً غيركم في ذلك الوقت لما أجبتكم»(1).

ونقول:

هل يعني هذا: أنه «عليه السلام» كان يريد أن يواجه تهديدهم إياه بالقتل، أو تسليمه إلى معاوية، بالحرب والقتال؟! ليكسر شوكتهم، وليمنعهم من تنفيذ ما توعدوه به، استناداً إلى الأعوان الآخرين الذين يكونون معه.

والسؤال هو: ألم يكن الأشتر والجماعة التي كانت تهاجم معاوية في لحظة رفع المصاحف، وكادت أن تحقق الفتح تكفي لمعونته عليهم؟! فلماذا يقول لهم: لو أصبت أعواناً في ذلك الوقت لما أجبتكم. أليست هذه الجماعة أعواناً له؟!

ونجيب:

أولاً: إن هذه الجماعة التي حاربت مع الأشتر، وإن كانت تكفي لكسر شوكة هؤلاء المتمردين. ولكن من قال: إنها ستكون بعد خوضها حرباً طاحنة مع هؤلاء، وتكبدها خسائر كبيرة في الأرواح ستكون قادرة على مواجهة جيش معاوية، وإلحاق الهزيمة به أيضاً؟!

وببيان أوضح: إنه بعد أن قتل من جيش أمير المؤمنين «عليه السلام» ما يزيد على عشرين، أو خمسة وعشرين ألفاً، وبعد أن أعلن

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج4 ص254.

عشرون ألفاً أو أكثر العصيان والتمرد، وهددوا علياً بقتله أو بتسليمه إلى معاوية، فإن ما تبقى من جيش أمير المؤمنين حتى لو بلغ ثلاثين ألفاً، وقد فشت فيهم الجراح، وكثر فيهم العاجزون عن حمل السلاح، لا يستطيعون مواجهة المتمردين وهم عشرون ألفاً أو أكثر. بالإضافة إلى ما تبقى من جيش معاوية. ولعلهم كانوا أيضاً ما بين الستين إلى السبعين ألفاً.

فمراد علي «عليه السلام» بالأعوان الذين يحتاج إليهم هو جماعة كبيرة تستطيع مواجهة الفريقين معاً، لكي لا يجرء المتمردون والعصاة الذين يتزعمهم الأشعث على مناوأتهم، وليتمكن بهم ـ من ثم ـ من حسم الأمر مع معاوية دون أن يكون في ذلك أية مجازفة غير مقبولة ولا معقولة.

هل تعمد علي × فرز الجيش؟!:

إن ملاحظة سير الأحداث يعطينا: أن ما جرى في صفين لم يكن مفاجئاً لأمير المؤمنين «عليه السلام»، بل لعل التأمل في مسار الأمور يعطينا: أنه «عليه السلام» استطاع بحكمته، وسياسته الحربية، وخبرته العميقة بحالات جيشه، ومعرفته بأفكار وعقليات الناس، وطبائعهم، وبما كان يتوقعه منهم على الصعيد العملي ـ استطاع ـ أن يتحكم بمسار الأحداث لتنتهي بنتائج باهرة صانت الحق من أن يتعرض لأي تشويه، وأبقاه بهياً ناصعاً واضحاً كالنار على المنار، وكالشمس في رائعة النهار. ويمكن توضيح ما نرمي إليه على

النحو التالي:

1 ـ تقدم في أحداث صفين: أن علياً «عليه السلام» توعد أهل الشام بالحسم، وأن معاوية وأهل الشام قد خافوا من وعيده هذا.

2 ـ يبدو: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يكن يهاجم جيش معاوية بجيشه كله، بل يقسمه إلى فرق يهاجم بعضها، ويخلد البعض الآخر إلى الراحة.

وقد دلنا على ذلك: أنه في الوقت الذي كان الأشتر يهاجم فيه جيش معاوية بمن معه من الفرق المقاتلة، وكاد أن يتحقق الفتح على يده، حتى لم يبق أمامه إلا بمقدار عدوة فرس، كان «عليه السلام» في جانب آخر في جماعة كبيرة لعلها أكثر من نصف جيشه لا يمارسون القتال، بل يتداولون في أمر رفع المصاحف والموقف منه..

وكان الأشعث وحزبه يصرون على أمير المؤمنين «عليه السلام» بإيقاف الحرب، ثم اعتزله منهم عشرون ألفاً، وهددوا أمير المؤمنين «عليه السلام» بالقتل، أو تسليمه لمعاوية إن لم يوقف الأشتر عن مواصلة هجومه..

3 ـ يلاحظ: أن العشرين ألفاً هم أنفسهم الذين بقوا على موقفهم المناوئ هذا إلى ما بعد صفين، وصاروا يتناقشون مع باقي الجيش، ويشاتمونهم، وربما بلغ الأمر إلى ما هو أكثر من ذلك كما تقدم.

واستمر الأمر على هذا الحال حتى رجعوا إلى الكوفة، وهم متباغضون متشاتمون، ولم يدخلوا إلى الكوفة مع علي «عليه

السلام»، وذهبوا إلى حروراء، ثم ذهبوا هم أنفسهم إلى النهروان..

وربما لحق بهم آخرون، وكانوا هم والذين التحقوا بهم تارة يرجعون عن قرارهم بالحرب، وأخرى يعودون إلى المناوأة والمنابذة.

وربما رجعوا بأجمعهم، وقد يرجع أكثرهم. فإذا تركوا وحدهم عادوا إلى إعلان العصيان.

وبسبب احتجاجات أمير المؤمنين «عليه السلام» وابن عباس عليهم رجع منهم اثنا عشر ألفاً، بل قيل أكثر من ذلك.

ولكنهم هم أنفسهم عادوا وخرجوا جماعات متفرقة في هذا البلد تارة، وبذاك أخرى.. حتى كان آخرهم لصوصاً سلابين، كما قال أمير المؤمنين «عليه السلام».

4 - إننا لم نجد أية دلالة أو إشارة إلى أن أحداً من الفرق التي كانت تحارب جيش معاوية مع الأشتر، وكاد الفتح أن يتحقق على يدها، ولم يعد بينها وبينه أكثر من عدوة فرس لم نجد أن أحداً منهم قد انحاز إلى أولئك العشرين ألفاً، أو ناصرهم، أو أيد رأيهم، لا حين رفع المصاحف، ولا بعد ذلك، بل سنرى أن هؤلاء هم الذين قضوا على الخوارج حين أصروا على محاربة أمير المؤمنين «عليه السلام»، وأفنوهم على بكرة أبيهم.

5 - إن هذا يدلنا على أن علياً «عليه السلام» حين صمم على الفتح وحسم الأمر، وأعلن ذلك، وخاف معاوية وأهل الشام، قد اختار

الأفراد والفئات، والقبائل وفق ضوابط معينة، ميزت الفئة المؤمنة بقضيته وبحقه، عن الفئة الجاهلة، الطالبة للدنيا التي أصبحت مناوئة، والذين هم أخفاء الهام، سفهاء الأحلام، الذين يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم..

لقد ميزهم عن بعضهم حتى إنك لا تجد من هذه الفئة الجاهلة الضالة أحداً بين الذين كانوا يحاربون جيش الشام مع الأشتر.

6 ـ لو أن هذه الفئة قد بقيت مختلطة مع الفئة التي كانت تقاتل جيش الشام مع الأشتر، ثم واجهت مكيدة رفع المصاحف بالموقف الذي اتخذه نظراؤهم الذين كانوا مع الأشعث.. لضاع الحق، ووقع الناس في المحذور الكبير، ولكانت الأمور قد اختلطت وسارت بالإتجاه الخطير، وإلى المصير المظلم، ولكنا رأينا الإدانات واللوم لأمير المؤمنين «عليه السلام»، والخلط والخبط في التحليلات الباطلة تنهال من كل حدب وصوب على مدى التاريخ.

ولكان معاوية ـ في أحسن الأحوال ـ قد اغتنمها فرصة العمر، ليفرض شروطه الظالمة على أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولكان قد تلاعب بالأمور كما يحلو له.

7 ـ ولكن سياسة أمير المؤمنين «عليه السلام» قد هيأت الظروف ليرى معاوية أن الأشتر وجماعته كانوا قادرين على إلحاق الهزيمة الساحقة والماحقة به وبجيشه، وأن الأشتر لم يرجع عن مهاجمته بسبب انهيار نظام جيشه، بل رجع بقرار من أمير المؤمنين «عليه

السلام».

وأن أمير المؤمنين «عليه السلام» كان قادراً على تأخير هذا القرار ـ ولو بمقدار عدوة الفرس ـ لكي تتزل بمعاوية الكارثة العظمى، ويصبح في خبر كان.

8 ـ وعرف الناس كل الناس وإلى يومنا هذا: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» هو الذي اتخذ قرار إيقاف الحرب، انسجاماً مع دينه، وانطلاقاً من مبادئه وقيمه وانصياعاً لتكليفه الشرعي.

وحفظ «عليه السلام» الوحدة الظاهرية لجيشة كله بنحو لا يستطيع معاوية أن يتكهن بما ستؤول إليه الأمور.. وأبقاه «عليه السلام» بين الخوف والرجاء. وإن كان علي «عليه السلام» يعرف مآل هؤلاء العصاة في جيشه. ولكن أحداً سواه لم يكن قادراً على أن يعرف ذلك.

9 ـ إنه «عليه السلام» بأخذه زمام المبادرة في كتاب الموادعة، وما فرضه فيه من شروط.. قد أسس لفشل معاوية في خططه لطمس الحق.. وكان ما جرى في دومة الجندل من أعظم الفضائح التي مني بها الباطل وأهله حتى لقد ذهبت سدى كل الجهود التي تضافرت لإيجاد مخرج يحفظ ماء الوجه لمعاوية عبر كل هذه المئات من السنين التي مضت.

10 ـ إن هذا الذي جرى يجعلنا نقول بكل ثقة وجرأة: إن علياً «عليه السلام» كان عارفاً بما سيواجهه من مكائد حين تحين ساعة

الحسم. وأنه قد عمل على مواجهتها بما لا سبيل إلى تفسيره إلا بالإستناد إلى التسديد الإلهي، والتوفيق الرباني.

11 - وعلينا أن لا نهمل الإشارة هنا إلى أهمية معرفة القائد بأحوال وأفكار، وكل خصائص، وحتى بطبائع الأشخاص والفئات التي يريد أن يتعامل معها، ويستفيد منها في نصرة الحق وأهله.

12 - كما لا بد من توفر القدرة على استشراف المستقبل، وتوقع المكائد والمصائد التي سيواجهها.

إلى أمور كثيرة أخرى يمكن استفادتها من كل هذا الذي جرى.

وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ:

وتقدم في النص المنقول برقم 2: أنه «عليه السلام» حين قدم على الخوارج قال لهم: «ليخرج إلى رجل منكم ترضون به حتى أقول ويقول، فإن وجبت عليَّ الحجة أقررت لكم، وتبت إلى الله. وإن وجبت عليكم، فاتقوا الذي مردكم إليه».

حيث يلاحظ ما يلي:

1 - إنه «عليه السلام» لم يرفض الحوار مع هؤلاء بحجة أنهم نكثوا بيعته، وأعلنوا الحرب عليه، وأمروا أحدهم على الصلاة، وآخر على القتال. وأعلنوا الحرب على إمامهم بنفس فعلهم، وبقولهم: «والأمر شورى بعد الفتح».

2 - لم يقل «عليه السلام»: لقد قمت بما يتوجب علي، بإرسالي

ابن عباس.. ولم يقل: إن عجزهم عن جواب أدلة ابن عباس قد حسم الأمر. ولم يعد ثمة من خيار إلا السيف.

3 - لم يطلب «عليه السلام» أن يرسلوا إليه رجلاً للمناظرة والإحتجاج. بل بادر إلى الخروج إليهم بنفسه.

4 - إنه «عليه السلام» لم يقل لهم: تعالوا لأناظركم لسببين:

أحدهما: علمه بأن الأمر سيتحول إلى فوضى، لأن الكثيرين سوف يبادرون إلى الكلام، وسيسمع الكثير من الكلام الفارغ، الذي لا طائل تحته، وقد تتشعب المسائل التي يطرحها أناس جهال، وقد لا يفهم السائل الجواب، وينجر الأمر إلى المكابرة أو المشاجرة، وربما تجرأ بعضهم وألقى كلاماً جارحاً، وسباباً قبيحاً، يستفز المشاعر لدى بعض الأصحاب، وتتحول المناظرة إلى السباب، ثم إلى الشتائم والمشاجرة.

الثاني: إنه «عليه السلام» قد تجنب كلمتي المناظرة والمحاججة ونحوهما، ربما لأنها تشي بأن لدى الخوارج حجة أيضاً، ولا يريد «عليه السلام» أن يعترف لهم بأمر لا حقيقة له.. كما أنه «عليه السلام» لم يقل: لأحتج عليكم، لكي لا يشعروا بأنه ظلمهم في احتكار الحجة لنفسه.

ولكنه قال: «أقول ويقول»، جاعلاً للحجة مقاماً وموقعاً خاصاً بها يناله من يناله، فتكون الحجة له، ويقصر عنه من قصر، فتكون الحجة عليه..

وهذا يفسر لنا سبب قوله: «وجبت عليَّ الحجة» و «وجبت عليكم»، فليلاحظ ذلك بدقة.

5 ـ إنه لم يقل لهم: أنا على الحق، وأنتم على الباطل، ولدي الدليل على ذلك، بل ساوى نفسه بهم في أعز شيء لديه، حين عاملهم وفق القاعدة التي قررها القرآن، ومارسها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال تعالى: **(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)**[(1)].

فقال «عليه السلام»: «فإن وجبت عليَّ الحجة، أقررت لكم، وتبت إلى الله. وإن وجبت عليكم، فاتقوا الذي مردكم إليه..».

6 ـ إنه «عليه السلام» حين أشار إلى نتائج المناظرة قد ميز بين نفسه وبينهم. ولكنه تمييز جاء في منتهى اللطافة والدقة، بحيث يجوز لنا أن نقول: إنه لا يصدر ـ بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ إلا عن أمير المؤمنين وسيد الوصيين وأبنائه الطاهرين. في مثل هذا الخطاب العفوي والمتتابع، فلاحظ ما يلي:

ألف: إنه «عليه السلام» حين تحدث عن نفسه فيما لو توجهت الحجة عليه، بادر إلى إلزام نفسه بأمرين:

أولهما: الإقرار لهم، ليكون بذلك قد صدَّق وصوَّب ما طلبوه منه، وأنصفهم وقضى حقهم.

الثاني: ألزم نفسه بالتوبة إلى الله سبحانه.

---

(1) الآية 24 من سورة سبأ.

ولم يكتف بذكر التوبة، مع السكوت عن الأمر الآخر، وهو الإلتزام بالإقرار لهم لكي لا يظن به أنه قد استكبر عن الإقرار بالحق.

ويلاحظ: أنه لم يقل: وأتوب إلى الله بصيغة المضارع، الذي هو بمثابة الوعد الذي يحتمل الحصول في الحال أو الإستقبال، بل جاء بصيغة الماضي، فقال: «وتبت»، ليدل على أن حصول هذا الأمر وتحققه أمر مفروغ عنه، ولا مجال للجدال أو للوهم فيه، فهو على يقين من حصوله إلى الحد الذي يستطيع أن يخبر بأنه قد حصل ومضى. وأنا أخبركم عنه.

ب: إنه «عليه السلام» حين تحدث عن الخوارج بعد ظهور الحجة عليهم لم يحتم عليهم الإقرار، ولم يلزمهم بالرجوع، بل جعل الخيار إليهم، ليكونوا هم الذين يختارون تحديد مصيرهم.

ويلاحظ أيضاً: أنه «عليه السلام» قد اختار لبيان مراده هذا صيغة فريدة ورائعة، أعطت أنه «عليه السلام» بالرغم من كل ما لاقاه منهم ليس فقط لا يحمل في نفسه غلاً عليهم، ولا ينوي مجازاتهم على ما فعلوه، بل هو لا يزال يتعامل معهم من موضع الأخ الرفيق، والأب الشفيق الذي لا يريد منهم إلا أن يفكروا بمصيرهم، وأن يعملوا في سبيل نجاة أنفسهم من المؤاخذة الإلهية.

واللافت أيضاً: أنه «عليه السلام» لم يشعرهم بأنهم حتى حين تجب الحجة عليهم بأنهم مذنبون، بل طلب منهم مجرد الإحتياط لأنفسهم في المستقبل.. فليلاحظ بدقة أنه «عليه السلام» لم يقل لهم:

فتوبوا. بل قال: فاتقوا الذي مردكم إليه..

وملاحظة ثالثة وأخيرة وهي: أنه «عليه السلام» لم يصرح بلفظ الجلالة في هذا الموضع، فلم يقل: فاتقوا الله.. لكي لا يتوهم أحد منهم أنه يريد بذلك الغمز من قناتهم، والتعريض بهم بأنهم لم يتقوا الله إلى تلك الساعة..

وهذا غاية الرفق بهم، والعمل على إزالة الموانع من أمامهم. وتسهيل اندماجهم من جديد في المحيط الذي خرجوا منه..

هل رضيتم بابن الكواء؟!:

وحين قال الخوارج لابن الكواء: اخرج إليه (أي إلى علي «عليه السلام») حتى تحاجه، وخرج إليه، لم يكتف «عليه السلام» بتصرفهم هذا، فبادر إلى تقريرهم ليسمع منهم التصريح بالرضا به، والموافقة له بصورة صريحة، لكي لا يدعي أحد منهم بعد ذلك أنه لم يكن راضٍ بابن الكواء، أو أنه لم يطلب منه إعطاء رأيه فيه.. فإن سؤاله «عليه السلام» هذا قد ألزمهم جميعاً بالنتيجة، لأن أي اعتراض من هذا القبيل سيرد عليه الخوارج أنفسهم بسؤال المعترض: لماذا لم تقل ذلك حين أجبنا بنعم في جواب سؤال علي لنا: هل رضيتم؟!

تقرير علي × لابن الكواء!!:

إن طريقة التقرير التي اتبعها أمير المؤمنين «عليه السلام» مع ابن الكواء والخوارج هي الطريقة الفضلى والمثلى، التي يعول عليها

كل أهل الحق في المواقع الحساسة، وهي التي اتبعها رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الغدير وفي غير موقف. كما سبق في هذا الكتاب، وقد بيَّن القرآن الكريم: أن الله تعالى قد تعامل بها مع خلقه في كثير من المقامات، بدأً من عالم الذر.

ولم يقف الأمر عند استشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل ولا ينتهي بانتهاء هذه الدنيا، بل هو يستمر ويتواصل إلى الآخرة، والنشر، والحشر، والحساب، وحين يصير الخلق فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير، فراجع آيات القرآن الكريم من بدايته إلى نهايته.

وهذه بالذات كانت الطريقة التي اتبعها أمير المؤمنين «عليه السلام» مع الخوارج.

والأساس الذي تقوم عليه هذه الطريقة هي الإنطلاق من القضية المشتركة، والتي هي من المسلمات بين الطرفين، واعتمادها كأساس تقوم عليه القضية التي تليها، وتأخذ نفس هذه الصفة أيضاً، لكي تفرض النتيجة نفسها بعد ذلك على كلا الطرفين بصورة ظاهرة وقاهرة، وغير قابلة للإنكار أو الترديد منهما معاً..

إلا إن كان أحدهما يريد أن ينقض ما كان هو قد قرره وألزم نفسه به. وهذا تناقض يأباه العقلاء، ولا يرضون بنسبته إليهم.

أو فقل: إن هذا الأسلوب لا يعدو كونه انطلاقاً من مسلمات الطرف الآخر، والإلزام له بما ألزم به نفسه مسبقاً.

وهذا أقصر الطرق إلى حسم الأمور، وإبعاد الطرف الآخر عن

منطق الجدال بالباطل ليدحض به الحق.

متى كفر أبو موسى؟!:

ادعى الخوارج: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد كفر بإرساله أبا موسى حكماً، وكفر أبو موسى أيضاً لأنه حكم في دين الله، فترك أمير المؤمنين «عليه السلام» الحديث عن نفسه، وسأل عن كفر أبي موسى، فقال: متى كفر؟! أحين بعثته، أم حين حكم؟!

ففاجأ ابن الكواء، وسائر الخوارج بسؤاله هذا، إذ لم يخطر على بالهم، ولا على بال غيرهم أن يكون لزمان الكفر أي أثر في النتيجة.

فانشدُّوا إلى الحوار، ليعرفوا الفرق بين الحالتين، وقال زعيمهم ابن الكواء: إنه كفر حين حكم..

ففاجأه أمير المؤمنين «عليه السلام» بسؤال آخر عن حال النبي «صلى الله عليه وآله» فيما إذا أرسل رجلاً مسلماً إلى المشركين ليدعوهم إلى الله، فدعاهم إلى غيره (كعبادة العجل مثلاً)، فهل يوجب ذلك أن يكون رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد كفر؟!

فقال ابن الكواء : لا.

فبين لهم «عليه السلام»: أن هذا يظهر أن ضلال أبي موسى لا يبيح لهم الحكم على غيره بالضلال، ولا يبيح لهم قتال علي «عليه السلام»، ولا قتل غيره من الناس.

لأن أبا موسى هو المسؤول عن ضلاله، لا علي «عليه السلام»،

ولا غيره. كما أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن مسؤولاً عن ضلال من أرسله ليدعو المشركين لعبادة الله، فدعاهم إلى عبادة غيره.

وهذا أسلوب فريد يعطي: أن مخاطبة الأعراب الجفاة، والأغبياء، والجهلة المغرورين بأنفسهم، وبعبادتهم، يختلف عن مخاطبة العقلاء الأذكياء، الذين لا يعانون من داء الجهل، أو الصلف والغرور..

فلو أنه «عليه السلام» قال للخوارج: إذا حكم أبو موسى بغير ما أنزل الله، وضل عن الحق فما ذنبي أنا؟! لأنكروا عليه قوله هذا، ولقالوا له: أنت الذي أرسلته، وأنت مثله في الضلال.. بل ضلالك أشد وأعظم.

ولكنه «عليه السلام» عدل إلى استدراج ابن الكواء والخوارج بطريقة جعلتهم يتلمسون خطأهم بأنفسهم، ويبادرون بحماس إلى الإقرار بأن الرسول إذا أخطأ وضل، فلا يعني أن الذي أرسله قد أخطأ وضل أيضاً. ولم يحتج «عليه السلام» إلى التصريح هو بهذه المعادلة..

فكأنهم هم الذين وضعوا المقدمات لتلك النتيجة، وقدموا بأنفسهم الدليل على بطلان دعواهم، فلم يعد أمامهم سبيل إلا الإعتراف، أو العزوف عن الإحتجاج، واللجوء إلى العناد واللجاج. فاختاروا سبيل العناد والضلال.

وبذلك يكون «عليه السلام» قد قدم لنا مثالاً تطبيقياً للأوامر الصادرة عنهم «عليهم الصلاة والسلام»: بأن يخاطبوا الناس على قدر عقولهم.. وبين أن لكل طبقة من الناس أساليب خاصة بها تناسبها، لا بد من تلمسها، والتعرف عليها ككل صاحب قضية، يريد دعوة الناس إليها..

وهذا هو أحد المصاديق والتطبيقات أيضاً لقوله تعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)**(1).

لعلها أكثر من مرة:

ثم إن من القريب: أن تكون تلك النصوص التي ذكرناها في صدر هذا الفصل لم تكن روايات لحادثة واحدة، بل يبدو من اختلاف سياقاتها أنها كانت أحداثاً متعددة، ربما اكثر من اثنين، أو ثلاث.. لا سيما إذا لاحظنا أن المضامين تارة تأتي بصيغة المناشدة، وأخرى بصيغة السؤال، وثالثة بصيغة البيان الطبيعي للأمور.. وغير ذلك.

إيهام في رواية الدينوري:

يلاحظ على رواية الدينوري: أنها ذكرت احتجاج أمير المؤمنين «عليه السلام» على ابن الكواء بآية المباهلة، وبآية: **(فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ**

(1) الآية 4 من سورة إبراهيم.

عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْـهُمَا أَتَّبِعْهُ)(1).

وذكرت جواب ابن الكواء، ولم تذكر ما عقَّب به أمير المؤمنين «عليه السلام» على كلام ابن الكواء هذا.. بل قالت: فلم يزل علي «عليه السلام» يحاج ابن الكواء بهذا وشبهه، فقال ابن الكواء: أنت صادق في جميع ما تقول الخ..

مع أن هذا التصديق لعلي «عليه السلام» لا يناسب عدم ذكر ما أبطل به علي «عليه السلام» جواب ابن الكواء على آية المباهلة والآية الأخرى.. فإنه إن كان «عليه السلام» قد سكت عنه ولم يجبه، فكيف يقول له ابن الكواء: أنت صادق في جميع ما تقول؟!

والذي يحل الإشكال هو: أن يكون الراوي قد حذف جواب علي «عليه السلام» على ابن الكواء، والذي هو في غاية الوضوح والبساطة.. وهو أن يقول له علي «عليه السلام»: كما أن الله تعالى لم يشك في أنهم هم الكاذبون، بل أراد الإحتجاج عليهم، فأنا أيضاً لم أشك في نفسي حين رضيت بالحكمين، وأردت بذلك الإحتجاج على معاوية، وكما لم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» شاكاً، كذلك علي «عليه السلام».

ولذلك نقول: لعل الراوي لم يذكر هذا الجواب إما اعتماداً على وضوحه، أو لأنه أراد التلاعب والتمويه، وإيهام أن قول ابن الكواء

---

(1) الآية 49 من سورة القصص.

لعلي «عليه السلام»: أنت صادق في جميع ما تقول قد جاء على سبيل التنزل والإفتراض والتسامح معه.

وربما يؤيد احتمال إرادة هذا الإيهام والتمويه: أن هذه الرواية قد ذكرت أخيراً: أن ابن الكواء قد بقي مع أصحابه الخوارج ولم يفارقهم، وأصر كما أصروا على التمادي في الغي. مع أن الروايات تصرح بخلاف ذلك.

الصلاة في مضرب زعيم الخوارج:

وتقدم: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» سأله صعصعة عن الخوارج: بأي زعمائهم كانوا أشد إطافة، فقال له: بيزيد بن قيس الأرحبي.

فركب علي إليهم إلى حروراء، فجعل يتخللهم حتى صار إلى مضرب يزيد بن قيس، فصلى فيه ركعتين.. ثم خرج إليهم فخاطبهم.

ونقول:

1 - يظهر من كلام المبرد: أنه لم يرسل صعصعة، ولا زياد بن النضر إلى الخوارج لغرض معرفة الرجل الذي كانوا يطيفون به أكثر من غيره. بل كان قد أرسل صعصة وزياداً مع ابن عباس حين ذهب للإحتجاج عليهم، ثم دعا بصعصعة، وسأله عن هذا الأمر. ولعله اقتصر على صعصعة لأنه كان يعرف أن صعصعة يلاحظ أمثال هذه الأمور. ولعل هذا هو السبب في إرساله بصحبة ابن عباس.

أما رواية الطبري، فتقول:

إنه «عليه السلام» أرسل زياد بن النضر فقط إلى الخوارج ليعرف له هذا الأمر، فرجع إليه وأخبره به، ولم تذكر صعصعة.. فهل نرجح رواية المبرد لأنها أكثر دقة، ولاحتمال أن يكون لدى بعض الناس تحامل على صعصعة لشدته، وطول باعه في مناصرة علي «عليه السلام»؟! أم أن الأمر قد اشتبه على راوي إحدى الروايتين؟! أم ماذا؟!

2 - إن الإمام «عليه السلام» كان أعرف من المسؤول بما يسأل عنه، وأدرى بما يطلب الدراية به، فإنه «عليه السلام» كان يظهر للناس ـ مرة بعد أخرى ـ الكرامة، تلو الكرامة، ويرون منه الكثير من الأمور الخارقة للعادة، فلماذا إذن يرسل رجلاً ـ وهو زياد بن النضر ـ لاستطلاع حال الخوارج، كما في رواية الطبري، أو الإكتفاء بسؤال صعصعة الذي كان قد رآهم، وعرف أحوالهم من قبل؟!

ونجيب:

بأنه «عليه السلام» كان يتعامل مع الناس باتجاهين متخالفين في الشكل في ظاهر الحال، ولهما مآل واحد في المضمون والواقع، فإن اجتراح المعجزات وإظهار خوارق العادات لا يعدو كونه استفادة من أمور واقعية، حقيقية، كامنة، لا ينالها إلا من أعطاه الله تعالى قدرات عالية، وملكات راقية، هي فوق مستوى ما لدى الناس. ويحتاج بلوغها إلى رقي غير عادي في الحالات الروحية، وفي الطاقات الإيمانية، والإدراكية تصل إلى مراتب لا يبلغها إلا ذو حظ عظيم،

ممن حظي برعاية إلهية، وتسديدات وألطاف ربانية، وجهد وعناء، وكدح في طلب منازل القرب منه تعالى..

وإنما يعاملهم «عليه السلام» بهذا الجانب من المواهب الإلهية لطفاً منه بهم، ورعاية لهم، لكي ينقادوا لإرادته تعالى برضا ورغبة منهم..

ثم هو «عليه السلام» يتعامل معهم بما يتوفر له ولهم من أسباب قريبة (إما محسوسة، أو قريبة من الحس)، لأنه يريد أن يحفظ لهم صفاء الإيمان، ونقاء الضمير، وسلامة الوجدان، فلا يخرج أحد منهم عن حالة التوازن والإعتدال، ليتخذ طريق الشطط والغلو فيه «عليه السلام»، فيهلك نفسه، ويضل ويهلك غيره، ويضل معه..

3 ـ تقدم: أنه «عليه السلام» ذهب إلى حروراء، وجعل يتخللهم، حتى وصل إلى مضرب يزيد بن قيس، أي انه «عليه السلام» يرصد ويختار الموضع الذي يتجمعون فيه أكثر من غيره، ويقصده، ثم هو يمر على موضع تجمعهم، ويشق طريقه بينهم، ولا يأخذ على المواضع الخالية، ليصل إلى مقصده من الأطراف بعيداً عن الأنظار، أي أنه يتعمد لفت نظرهم إليه، ليثير فضولهم، وتعجبهم، وترصدهم لما سيكون منه.

كما أنه يكسر بذلك حدة غرورهم بأنفسهم، فلا يتوهمون أنهم قد أصبحوا موضع رهبة منه، وأن لديهم من القوة ما يجعله يحذر من الإقتراب منهم، والإحتكاك القريب بهم.

وهذا التصرف يعيد إليهم بعض التوازن، ويعيدهم إلى الشعور بأنه «عليه السلام» يعتبرهم كسائر الناس الذين يمكن أن يخطئوا في فهم الأمور، ويحتاج إلى توضيحها لهم، ويهيؤهم للتعامل معها بواقعية أكثر بعيداً عن أجواء الغرورو، والخيالات، والأوهام.

فظهر: أنه «عليه السلام» أراد أن يعالج حالتهم النفسية قبل الدخول في محاولة تصحيح المسار الفكري والإعتقادي لهم.

4 ـ إن وضوءه وصلاته ركعتين في مضرب يزيد بن قيس، والحال أن الخوارج قد حكموا عليه بالكفر والعياذ بالله، سوف يثير في داخلهم خليطاً من المشاعر الإيجابية والسلبية، ترافقها هزات فكرية عنيفة، مفعمة بالحيرة والإضطراب، والتردد بين ما هو مشاهد ومحسوس. وهذه الصلاة التي يعيشون أجواءها، وتوحي لهم بالإيمان بالله، والإرتباط به، وبين الشعارات التي أطلقوها، وبنوا عليها أوهامهم، وأصدروا أحكامهم، وتلاقت عليها أحلامهم.

5 ـ ثم يأتي دور المناشدات التي أرادت من خلال إعادة ربطهم بالله، وتذكيرهم به، أن تكون بمثابة هزة وجدانية عنيفة قادرة على أن تقتلعهم من بؤرة تلك الأوهام، وتضعهم أمام الواقع العيني الذي عايشوه وعاينوه. بل كانوا هم الذين صنعوه، ثم تنكروا له، وألقوا تبعته على من هو أبرأ الخلق منه.. ولذلك أقروا له بما قررهم به، واعترفوا بذنبهم، وأعلنوا توبتهم.

نحن نذنب، وأنت تتوب:

ولكن الغريب: أنهم بالرغم من اعترافهم الصريح ببراءته «عليه السلام» من أمر التحكيم، وبأنهم هم الذين أكرهوه عليه، وبأنهم قد أتوا بذلك ذنباً عظيماً، وأنهم قد تابوا من هذا الذنب ـ إنهم بالرغم من ذلك ـ يشترطون لعودتهم للطاعة أن يعلن هو «عليه السلام» التوبة أيضاً، فقد قالوا له «عليه السلام»: فتب إلى الله منه، واستغفره نعد..

فهم المذنبون، ولكن الذي يتوب ويستغفر هو من لم يذنب، وهو علي «عليه السلام»!!!

أليس طلبهم هذا فضيحة لهم؟!!

أليس طلباً صبيانياً؟!

ألا يكفي طلبهم هذا لإظهار مدى دقة قول أمير المؤمنين «عليه السلام» عنهم: أنهم اخفاء الهام، سفهاء الأحلام، وأن لهم حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال؟!

فما يمكن أن نتوقع من أمير المؤمنين «عليه السلام» بعد هذا أن يقول لهم؟!

وهل يمكن أن يعاملهم بغير ما يعامل به الأطفال الصغار؟!

وهذا ما حصل بالفعل، فإنه «عليه السلام» قال لهم: «إني أستغفر الله تعالى من كل ذنب»، لأنه لو لم يقل ذلك لاتهموه بأنه يستكبر عن الإستغفار، ثم يجعلون هذا الشعار ذريعة لتكفيره من جديد.

وهذه الكلمة لا تعدُّ اعترافاً منه «عليه السلام» بأنه قد أذنب في موضوع التحكيم. لأنها كلمة يقولها كل عباد الله تعالى، بما فيهم الأنبياء والأوصياء. وقد نطق القرآن باستغفار الأنبياء، وبالأوامر الإلهية لكل الناس بالإستغفار.

وحين يكون الإستغفار صادراً من المعصوم، يكون معناه: أن هذا المعصوم يرى نفسه مقصراً في حق الله تعالى مهما جاهد واجتهد وكابد في العبادة والتقرب إليه سبحانه بالخيرات.. ويرى أن هذا التقصير ذنب لا بد من الإستغفار منه..

افتراء الخوارج على علي ×:

وحين أشاع الخوارج عن أمير المؤمنين «عليه السلام» أنه رجع عن التحكيم ورآه ضلالاً.. خطب الناس وأعلن بتكذيبهم، وقال: «من زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب»(1).

وقد اعترف أحد شيوخ الخوارج بكذبهم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً، فقد قال بعد أن تاب ورجع عن مقالة الخوارج: «..إن هذه الأحاديث دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم؛ فإنا كنا إذا

(1) بحار الأنوار ج33 ص353 ونهج السعادة ج2 ص331 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص279 وعن الكامل في الأدب ج3 ص1130 و (ط أوربا) ص558.

هوينا أمراً صيرناه حديثاً..»[1].

وقال الأعمش: «جالست إياس بن معاوية؛ فحدثني بحديث.

فقلت: من يذكر هذا؟!

فضرب لي رجلاً من الحرورية.

فقلت: إلي تضرب هذا المثل؟! تريد أن أكنس الطريق بثوبي؛ فلا أدع بعرة، ولا خنفساء إلا حملتها»؟! [2].

وقال الجوزجاني عن الخوارج، الذين تحركوا بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «نبذ الناس حديثهم اتهاماً لهم»[3].

وتصريح علي «عليه السلام»: بأنهم قد كذبوا عليه يسقط قول

---

(1) لسان الميزان ج1 ص10 و 11 والكفاية في علم الرواية للخطيب ص123 و (ط دار الكتاب العربي سنة 1405 هـ) ص151 وآفة أصحاب الحديث ص71 و 72 واللآلي المصنوعة ج2 ص468 وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص29 عن الأولين، وعن السنة ومكانتها في التشريع، للسباعي ص97 وعن الموضوعات لابن الجوزي ص38 والجامع لأحكام القرآن ج1 ص78 وفتح الملك العلى ص90 وراجع: العتب الجميل ص122 وتذكرة الموضوعات للفتني ص7 والموضوعات لابن الجوزي ج1 ص38.

(2) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص443 وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص29 عن كتاب: المحدث الفاصل، للرامهرمزي ج1 ص12.

(3) أحوال الرجال ص34.

أبي داود: «ليس في أهل الأهواء أصح حديثاً من الخوارج»[1].

فما معنى أن يروي أصحاب الصحاح عن الخوارج، حتى أن البخاري يروي عن عمران بن حطان[2]، الذي مدح عبد الرحمن بن ملجم بأبيات منها:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلـــغ مـــن ذي العـــرش رضوانا

علي × يولي يزيد بن قيس الأرحبي!!:

ذكرت رواية الطبري المتقدمة: أن علياً «عليه السلام» أتى فسطاط يزيد بن قيس الأرحبي، فتوضأ فيه، وصلى ركعتين، وأمَّره

---

(1) ميزان الإعتدال ج2 ص236 ومقدمة فتح الباري ص432 والعتب الجميل ص121 و (ط الهدف للإعلام والنشر) ص20 و 100 وسؤالات الآجري لأبي داود ج2 ص117 والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص158 وتاريخ مدينة دمشق ج43 ص489 وتهذيب الكمال ج22 ص323 وسير أعلام النبلاء ج4 ص214 وتهذيب التهذيب ج8 ص113 وتاريخ الإسلام للذهبي ج6 ص155 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص587.

(2) الإصابة ج3 ص180 و (ط دار الكتب العلمية سنة 1415 هـ) ج5 ص232 وتهذيب التهذيب ج8 ص114 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص364 والعتب الجميل ص99 و 100 وفلك النجاة لفتح الدين الحنفي ص132.

على إصبهان، والري، ثم خرج، فكلم الخوارج.

ونلاحظ:

1 - أن تولية يزيد بن قيس إصبهان، وتحويله إلى صديق يدل:

أولاً: على أنه «عليه السلام» لا يتعامل مع الأمور من موقع العقدة، إلى حد أنه لو صدر من أحدهم خطأ حكم عليه بالإبعاد، وأخرجه من دائرة التعامل معه بصورة نهائية.

بل هو يسعى إلى استصلاح الناس؛ فإذا عرف أن أحدهم يحفظ الأمانة، وكان صادقاً في توبته، فلماذا يهمله، ولا يتعامل معه؟!

ثانياً: إنه «عليه السلام» إذا انتزع هذا الرجل المؤثر والفاعل من أيدي هؤلاء الأغبياء، فإنه سيربكهم، ويدعوهم إلى إعادة النظر في مواقفهم، ومراجعة حساباتهم، ويزعزع ثباتهم، ويشككهم فيما هم عليه.

وهذا من شأنه أن يؤجل المواجهة معهم، لأنه يفقدهم القدرة على اتخاذ القرار فيها، ولو إلى مدة. وربما استجدت في هذه المدة ظروف وأحوال تؤدي إلى هدايتهم أو هداية طائفة منهم.

2 - إن إمارة يزيد بن قيس الأرحبي على إصبهان، والري، وهمذان، ذكرت في العديد من المصادر، وقالوا: لما مات يزيد بن قيس فرق أمير المؤمنين «عليه السلام» عمله بين ثلاثة نفر، فاستعمل عمرو بن سلمة على همذان، ومخنف بن سليم على إصبهان، ورجل

آخر على الري[1].

وذكر آخر: أن علياً «عليه السلام» استعمل يزيد بن قيس الأرحبي على الري[2].

وولى علي «عليه السلام» أيضاً يزيد بن قيس الأرحبي المدائن وجوخى (كورة واسعة في سواد بغداد)[3].

غير أن الظاهر: أن هذه التوليات قد حصلت قبل حرب صفين. كما يظهر من قول اليعقوبي وغيره: أنه «عليه السلام» كتب إلى عماله يستحثهم بالخروج ـ يعني الخروج معه إلى صفين ـ فكتب إلى الأشعث بن قيس، وكان عامله بأذربيجان.. إلى أن قال: وكتب إلى يزيد بن قيس الأرحبي: أما بعد.. الخ..[4].

شهادة يزيد بن قيس على وصية علي ×:

وروى الكليني عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن أبي الحسن

---

(1) طبقات المحدثين بأصبهان لابن حبان ج1 ص311 وذكر أخبار إصبهان ج2 ص343 وراجع: رجال الشيخ الطوسي ص86 و (ط النجف) ص62 ونهج السعادة ج8 ص473 ومعجم رجال الحديث ج21 ص127 وقاموس الرجال للتستري ج11 ص110.

(2) تاريخ مدينة دمشق ج42 ص479.

(3) تهذيب الأحكام ج9 ص148.

(4) تاريخ اليعقوبي ج2 ص201.

موسى «عليه السلام» وصية امير المؤمنين «عليه السلام»، فعد يزيد بن قيس من جملة الشهود عليها، وكتب علي بن أبي طالب بيده لعشر خلون من جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين[1].

ونحن نشك في ذلك لما يلي:

أولاً: إن يزيد بن قيس كما ظهر من النصوص المتقدمة كان من جملة الخوارج، بل من زعمائهم، وكانوا بعد العودة من صفين أشد إطافة بفسطاطه.. من سائر رؤسائهم..

وقد ظهر الخوارج في صفين التي تقدم: أنها انتهت في صفر سنة سبع وثلاثين، والوصية المشار إليها كتبها أمير المؤمنين «عليه السلام» في جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين.

ثانياً: إن ابن حبان وغيره يصرحون: بأن يزيد بن قيس الأرحبي قد توفي في حياة أمير المؤمنين، وفرق «عليه السلام» عمله على ثلاثة نفر هم: عمرو بن سلمة، ومخنف بن سليم، ورجل آخر[2].

ثالثاً: إن الشيخ الطوسي ذكر خبر الإشهاد على وصية أمير المؤمنين «عليه السلام»، لكنه ذكر اسم سعيد بن قيس بدل يزيد بن

---

(1) الكافي ج7 ص51 كتاب الوصايا 1، باب صدقات النبي, 30، الحديث 7 وراجع: قاموس الرجال للتستري ج11 ص110.

(2) طبقات المحدثين بأصبهان لابن حبان ج1 ص311 وذكر أخبار إصبهان ج2 ص343.

قيس(1).

ولعله الأظهر والأصوب..

ابن الكواء إنسان مزيف:

كان عبد الله بن الكواء، وهو من أكبر زعماء الخوارج، وكان من علمائهم قد رجع يوم النهروان بثمانية آلاف.. متظاهراً بأن ما أرجعه هو احتجاجات أمير المؤمنين «عليه السلام» عليه..

ونكاد نطمئن إلى أن الذي أرجعه هو خوفه من سيف علي «عليه السلام»، وحبه للدنيا. وإلا فإن هذا الرجل كان ممن طبع الله تعالى قلبه..

ويكفي أن نذكر: أنه دخل على معاوية وأخذ جائزته، وقرَّضه بكلام لا

يكاد يخطر على بال، حيث قال له: «إنك ركن من أركان الإسلام، سدّت بك فرجة خوفه (مخوفة)»(2).

---

(1) تهذيب الأحكام ج9 ص148.

(2) تاريخ مدينة دمشق ج27 ص98 وتهذيب تاريخ دمشق ج7 ص301 و 302 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج3 ص370 والكامل في التاريخ ج3 ص144.

في حين أنه وجد علياً «عليه السلام» يوماً يخطب، فقال: «قاتلك الله من شيطان، ما أفهمك، وما أفصحك»[1].

ومرة أخرى: «كان «عليه السلام» يصلي، وابن الكواء خلفه، وهو «عليه السلام» يقرأ، فقرأ ابن الكواء: **(وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)**[2].

فسكت «عليه السلام» حتى سكت ابن الكواء، ثم عاد في قراءته حتى فعل ابن الكواء ثلاث مرات، فلما كان في الثالثة قال «عليه السلام»: **(فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ)**[3]»[4].

---

(1) قاموس الرجال ج6 ص56.

(2) الآية 65 من سورة الزمر.

(3) الآية 60 من سورة الروم.

(4) تفسير القمي ج2 ص160 وتفسير نور الثقلين ج4 ص192 وتهذيب الأحكام ج3 ص36 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج8 ص367 و (الإسلامية) ج5 ص430 ومستدرك الوسائل ج4 ص275 و 276 والغارات للثقفي ج2 ص738 ومناقب آل أبي طالب ج1 ص380 وبحار الأنوار ج33 ص344 و 429 و 430 وج41 ص48 وج42 ص162 وج89 ص221 ومستدرك سفينة البحار ج9 ص201 وموسوعة أحاديث أهل البيت ج9 ص112 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص311 و 269 ومنتقى الجمان ج2 ص132 والكنى والألقاب ج1 ص395

ومو سوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص340 وراجع: كنز العمال ج11 ص298 والسنن الكبرى للبيهقي ج2 ص245 ومسند ابن الجعد ص345 والمصنف لابن أبي شيبة ج8 ص731 وجامع البيان ج21 ص70 و 71 وتفسير القرآن العظيم ج3 ص450 والإتقان في علوم القرآن ج1 ص298 والدر المنثور ج5 ص158 وتفسير الآلوسي ج21 ص62 وأضواء البيان ج6 ص178 وأنساب الأشراف ص355 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص54 والبداية والنهاية ج7 ص312 .

الفصل الثالث:

حكم الله انتظر فيكم..

أذى الخوارج لعلي ×:

1 - روى المعتزلي: أن الخوارج بعد أن خرجوا من الكوفة إلى حروراء، دخل واحد منهم على علي «عليه السلام» بالمسجد والناس حوله، وصاح: لا حكم إلا لله ولو كره المشركون.

فتلفت الناس، فنادى: لا حكم إلا لله ولو كره المتلفتون.

فرفع علي «عليه السلام» رأسه إليه، فقال: لا حكم إلا لله، ولو كره أبو حسن.

فقال علي «عليه السلام»: إن أبا الحسن لا يكره أن يكون الحكم لله، ثم قال: حكم الله أنتظر فيكم.

فقال له الناس: هلا ملت يا أمير المؤمنين على هؤلاء فأفنيتهم؟!

فقال «عليه السلام»: إنهم لا يفنون، إنهم في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة(1).

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص210 عن ابن ديزيل في صفينه،

2 ـ روى المسعودي: عن الصلت بن بهرام: «لما قدم علي الكوفة جعلت الحرورية تناديه وهو على المنبر: جزعت من البلية، ورضيت بالقضية، وقبلت الدنية، لا حكم إلا لله.

فيقول «عليه السلام»: حكم الله أنتظر فيكم.

فيقولون: **(وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)**(1).

فيقول علي «عليه السلام»: **(فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ)**(2)»(3).

3 ـ وعن الإمام الصادق «عليه السلام» في نص آخر: أن ابن الكواء لما قرأ الآية كان علي «عليه السلام» في صلاة الصبح، فأنصت «عليه السلام»، ثم أعادها، فأنصت، وفي الثالثة قرأ «عليه السلام» قوله تعالى: **(فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ)**، ثم أتم السورة وركع(4).

وبحار الأنوار ج33 ص344 ونهج السعادة ج2 ص316.

(1) الآية 65 من سورة الزمر.

(2) الآية 60 من سورة الروم.

(3) مروج الذهب ج2 ص95 و (ط أخرى) ج2 ص406 وأنساب الأشراف ج3 ص128 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص73 والبداية النهاية ج7 ص282 وموسوعة الإمام علي «عليه السلام» ج6 ص341.

(4) تهذيب الأحكام: ج3 ص35 عن معاوية بن وهب، ومناقب آل أبي طالب

لكم عندنا ثلاث:

4 - روى الطبري عن كثير بن بهز الحضرمي، قال: قام علي «عليه السلام» في الناس يخطبهم ذات يوم، فقال رجل من جانب المسجد: لا حكم إلا لله.

فقام آخر، فقال: مثل ذلك.

ثم توالى عدة رجال يحكمون، فقال علي «عليه السلام»: الله أكبر كلمة حق يلتمس بها باطل.

أما إن لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتمونا: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه [أن تصلوا فيها]، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدأونا.

ثم رجع إلى مكانه الذي كان فيه من خطبته[1].

ج2 ص113 والمستدرك للحاكم ج3 ص158 ح4704 والسنن الكبرى للبيهقي ج2 ص348 ح3327 كلاهما عن أبي يحيى نحوه، وليس فيهما «ابن الكواء» وموسوعة الإمام على بن أبي طالب ج6 ص341 عنهم.

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص72 و 73 والسنن الكبرى للبيهقي ج8 ص319 ح16763 عن كثير بن نمر، والكامل في التاريخ ج3 ص335 و (ط أخرى) ج2 ص398 والبداية والنهاية ج7 ص282 و 285 والإيضاح لابن شاذان ص474 ومناقب أمير المؤمنين للكوفي ج2 ص341 و 818 عن كثير بن نمر، والإلمام ج1 ص36 وعنهم موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص342 و 343 وأنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ج2

وزاد في دعائم الإسلام قوله: وأشهد لقد أخبرني النبي الصادق، عن الروح الأمين، عن رب العالمين، أنه: لا يخرج علينا منكم فرقة ـ قلت أو كثرت إلى يوم القيامة ـ إلا جعل الله حتفها على أيدينا، وإن أفضل الجهاد جهادكم، وأفضل الشهداء من قتلتموه، وأفضل المجاهدين من قتلكم، فاعملوا ما أنتم عاملون، فيوم القيامة يخسر المبطلون، و(**لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**)(1)»(2).

وزاد في رواية عبد الملك بن أبي حرة الحنفي، قوله: فوثب يزيد بن عاصم المحاربي، فقال: الحمد لله غير مودع ربنا، ولا مستغني عنه.

اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنية في ديننا، فإن إعطاء الدنية في الدين إدهان في أمر الله عز وجل، وذل راجع بأهله إلى سخط الله.

يا علي! أبالقتل تخوفنا؟! أما والله إني لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفحات، ثم لتعلمن أينا أولى بها صلياً.

ثم خرج بهم هو وإخوة له ثلاثة هو رابعهم، فأصيبوا مع

ص325 وفتح الباري ج12 ص301 والأباضية عقيدة ومذهباً ص39 والمبسوط ج7 ص269.

(1) الآية 67 من سورة الانعام.

(2) دعائم الإسلام ج1 ص393 وراجع: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ص637.

الخوارج بالنهر، وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة(1).

لا بد للناس من أمير:

5 - وقال الشريف الرضي: من كلام له «عليه السلام» في الخوارج ـ لما سمع قولهم: لا حكم إلا لله ـ: كلمة حق يراد بها باطل!:

نعم، إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة [إمارة] إلا لله، وإنه لا بد للناس من أمير؛ بر أو فاجر؛ يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي، حتى يستريح بر، ويستراح من فاجر(2).

سب بسب، أو عفو عن ذنب:

6 - وروي: أنه «عليه السلام» كان جالساً في أصحابه، فمرت

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص72 والكامل في التاريخ ج3 ص334 و335 و (ط أخرى) ج2 ص398 وموسوعةالإمام علي بن أبي طالب ج6 ص343 عنهما، وراجع: تاريخ بغداد ج1 ص159 و 160.

(2) نهج البلاغة الخطبة 40 وبحار الأنوار ج33 ص358 / 573 وراجع: أنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ج2 ص377 وموسوعة الإمام على بن أبي طالب «عليه السلام» ج6 ص343 عنهم، وفجر الإسلام ص259 والمصنف ج10 ص150 وكنز العمال ج11 ص286 و 309 عن عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، والبيهقي، والعقد الفريد ج2 ص388.

بهم امرأة جميلة، فرمقها القوم بأبصارهم.

فقال «عليه السلام»: إن أبصار هذه الفحول طوامح، وإن ذلك سبب هبابها(1)، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه، فليلامس أهله، فإنما هي امرأة كامرأة.

فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه!

فوثب القوم ليقتلوه، فقال «عليه السلام»: رويداً، إنما هو سب بسب، أو عفو عن ذنب(2).

وبعد.. فإن الأذى الذي لحق بعلي «عليه السلام» من قبل الخوارج كان كثيراً، وقد تحمله «عليه السلام» منهم، أملاً في أن يهتدي الضال، ويتنبه الغافل..

وليس بمقدورنا استقصاء ما حدث من ذلك في هذه العجالة. فلا

---

(1) الهِبة بالكسر: هياج الفحل. وهَبّ التيس هِباباً: هاج ونبّ للسفاد. لسان العرب ج1 ص778.

(2) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج4 ص98 الحكمة 420 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص113 و (ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص380 وفيه: هناتها بدل هبابها، وموسوعة الإمام على بن أبي طالب «عليه السلام» ج6 ص343 عنهما، وبحار الأنوار ج33 ص434 وج41 ص49 وج101 ص39 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص652 وموسوعة أحاديث أهل البيت ج11 ص380 وميزان الحكمة ج2 ص1238 وج4 ص3293 ونهج السعادة ج8 ص374 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج20 ص63.

بد من الإكتفاء بما تيسر.. أملاً في أن يقيض الله من يستوفي النصوص في تتبعه وفي استنطاقه لها.

وبعد ما تقدم نقول:

تضمنت النصوص المتقدمة الإشارة إلى أمور يحسن بنا التوقف عند بعضها، فلاحظ ما يلي:

نظرية الإسقاط:

إن قول الخوارج لأمير المؤمنين «عليه السلام»: «جزعت من البلية، ورضيت بالقضية، وقبلت الدنية» غريب وعجيب، لأن كل أحد يعلم، والقائلون أنفسهم يعلمون: أنه «عليه السلام» كان من أشد الناس إصراراً على رفض قبول التحكيم. وكان الخوارج أنفسهم هم أشد الناس حماساً وإصراراً على قبوله.. وقد بلغ بهم الأمر حد تهديدهم إياه «عليه السلام» بالقتل، أو تسليمه لمعاوية إن أصر على الرفض، وكادت تقع الفتنة بسبب إصرارهم على التحكيم، وإصراره هو «عليه السلام» على رفضه..

كما أنهم يعلمون أيضاً: أنه «عليه السلام» كان حين فرض عليه وقف القتال والقبول بالتحكيم في موقع المنتصر، ولم يكن بينه وبين اجتياح معاوية وجيشه أكثر من دقائق يسيرة، لا تزيد على عدوة الفرس كما تقدم.

فما معنى قولهم له: جزعت من البلية، ورضيت بالقضية.. فإنه لم يجزع من تلك، ولم يرض بهذه..

ولا يستقيم كلامهم هذا إلا على القول بأنهم يعملون بنظرية الإسقاط، أعني: إسقاط حالهم وشخصيتهم على الطرف الآخر المقابل لهم.. على قاعدة: «رمتني بدائها وانسلت».

كلمة حق أريد بها باطل:

وتقدم: أنه «عليه السلام» كان يقول في جواب قولهم: لا حكم إلا لله: كلمة حق أريد بها باطل.. أي باطل خاص، هو نفي الإمارة والحاكمية.

ولا ريب في أن هذه الكلمة كلمة حق، فإنه لا حكم إلا لله بلا ريب. فقد قال تعالى: (**وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**)(1). وقال تعالى: (**قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ**)(2).

ولكن الخوارج قصدوا بها أمراً باطلاً، وهو منع الحاكم والإمام من ممارسة سلطته كما سنوضحه.

وقد فنّد «عليه السلام» هذه المقولة على النحو التالي:

أولاً: إن التشريع جعل الأحكام بيد الله سبحانه.

---

(1) الآية 67 من سورة يوسف.

(2) الآية 57 من سورة الأنعام.

ثانياً: لا بد للناس من أمير وحاكم.

ثالثاً: إن التصدي لهذه الحاكمية والإمارة يحتاج إلى تخويل وإذن منه تعالى، لأنه تعالى لا يتولى بنفسه الحكم بين الناس، وتدبير أمورهم مباشرة.

رابعاً: إن هذا التخويل والإذن إنما يكون لبعض بني البشر أنفسهم، وليس لغيرهم كالملائكة أو الجن مثلاً..

وهذا ما حصل منه تعالى بالنسبة لداود وسليمان..

بل بالنسبة لجميع الأنبياء بمقتضى قوله تعالى: **(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)**[1].

فإن قيام الناس بالقسط يحتاج إلى بأس الحديد، وإلى من يفرض بسلطته وبما يملك من قوة العمل بأحكام الله، ويجري حدوده، ويمنع من التعدي على الحرمات..

خامساً: لقد قرر «عليه السلام»: أنه حتى لو لم يتصد للحكومة من أَذِنَ لهم الله تعالى بالتصدي، فإن هناك حداً أدنى، لا يمكن أن تستقيم حياة البشر بدونه.. وهو يفرض إقامة حاكم للناس، ولو كان فاسقاً.

---

(1) الآية 25 من سورة الحديد.

لا بد للناس من إمام:

وهذا الحد الأدنى الذي لا تستقيم حياة البشر بدونه ينتهي إلى سبعة أمور هي التالية:

1 - لولا وجود الحاكم لم يتمكن المؤمن من أن يعمل الصالحات التي بها تقوم الحياة وتستمر، وهي الأعمال التي تناسب طبيعة التكوين، وتنسجم مع سائر مفرداته، وتتناغم معها، لتتمكن من أن تؤدي دورها في بناء الحياة وصلاحها وإصلاحها، وتهيئة أسباب البقاء والسعادة والهناء في الدنيا والآخرة.

2 - لولا وجود الحاكم لم يتمكن الكافر من الحصول على لذائذه الشخصية التي يسعى إليها ولا يهمه سواها. ويندفع لأجلها لحفظ بعض عناصر الإستقرار والبقاء.

3 - لولا وجود الحاكم لم يمكن للحياة أن تتواصل وتستمر إلى أن تبلغ نهاياتها، بل هي سوف تنهار وتتلاشى بسرعة فائقة، ولن تصمد تحت وطأة الضربات القاصمة التي تتوالى عليها من المفسدين والظالمين والقتلة.

4 - إن عدم وجود الحاكم يوجب انهيار الحياة الإقتصادية ويوجب الهرج والمرج، والفوضى والإضطراب، وفساد الحياة والحركة الإجتماعية.

5 - إن الحاكم هو الذي يخطط لدفع الأعداء، ويهيء الجيوش، ويضع الخطط لذلك، ولو كان جائراً.

6 - إن الحاكم هو الذي يفرض الأمن في البلاد، ويفرض النظام.

7 - إنه يدفع قسماً كبيراً من الظلم، ومن عدوان الناس على بعضهم البعض..

وهذه الأمور السبعة يشترك فيها الحاكم البر والفاجر.. ويمتاز الحاكم العادل بأنه يبذل المزيد من الجهد في نشر الفضائل، وتهذيب النفوس، ومراعاة أحكام الشريعة.. بالإضافة إلى نشر المعارف والعلوم، وتهيئة سبل رفع مستوى المعيشة، وإشاعة أعمال البر والتكافل، وتوطيد العلاقات الإجتماعية، وتقوية أواصر التعاون في مختلف المجالات، وعلى كافة المستويات..

فجور الحاكم لا يمنع من حفظ الحد الأدنى:

وبالنسبة للأمير الفاجر أيضاً، نلاحظ: أنه يرى نفسه ملزماً بأن يقوم بكل ما يحفظ له سلطانه، الذي يريده وسيلة للإستمتاع بلذائذ الحياة، بكل أنواعها، ومنها: لذة الحكم، وهيبة السلطان، ونفوذ الكلمة.. وهو يريد لدولته أن تكون قوية وقادرة على تلبية رغباته.

ولا تكون كذلك إلا إذا كان لها جيش قوي، يدفع به أعداءها عنها، وأمناً شاملاً، ونظاماً قائماً، ومنعاً للظالمين من الظلم، إلا الظلم الذي يمارسه الحاكم نفسه، أو من بعض من يلوذ به.

كما أن الحاكم حتى الفاجر يريد أن تكون دولته قوية من الناحية الإقتصادية والثقافية وغيرها، ولكنه يريد ذلك لمصلحته، ويريدها أيضاً أن تبقى له، ولمن يلوذ به من بعده، فهو وإن كان يريد الخير

لنفسه أولاً وأخيراً، ويرى أن ذلك يصب في مصلحته، ويعود نفعه إليه، ويحفظ جاهه، ويقوي سلطانه.. ولكن النتيجة لا تقتصر عليه، بل تتعداه إلى سائر الناس.

هل هذا من كلامه ×؟!:

وبذلك يظهر: أن الفقرة الأخرى التي نقلها الشريف الرضي «رحمه الله»، من أنه «عليه السلام» قال: «أما الإمرة البرة فيعمل فيها التقي.

وأما الإمرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي، إلى أن تنقطع مدته، وتدركه منيته»(1).

فهي تتناقض مع ما ذكرناه آنفاً في شرحنا لمضمون الخطبة رقم أربعين من نهج البلاغة، فإنها قررت: أن حكومة البر والفاجر معاً يستمتع فيهما الكافر، ويعمل المؤمن.. فلعل الواو في قوله «عليه السلام»: «وقال: أما الإمرة البرة إلخ..» من زيادة النساخ، ويكون هذا الكلام للشريف الرضي «رحمه الله» تفسيراً لما ورد في الخطبة رقم 40، لا من الإمام «عليه السلام».. أو أنها كلمة أخرى منسوبة إليه «عليه السلام»، ولم يكن الراوي قد حفظ كلامه، فنقل ما علق

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص91 الخطبة رقم 40 وبحار الأنوار ج33 ص358 وج72 ص358 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص307.

بذهنه ـ بالمعنى ـ فجاء مشوشاً، وغير دقيق.

لا إمرة إلا لله:

وقد شرح أمير المؤمنين «عليه السلام» لنا مراد الخوارج من قولهم: لا حكم إلا لله، وأن هدفهم هو شل حركة الحاكم ومنعه من التصرف، حتى حين يريد بتصرفه دفع شر الأعداء عن المسلمين.. ويريدون له أن يكون مأموراً للرعية، بدل أن يكون آمراً.. وقد منعوا علياً «عليه السلام» من المضي في دفع عدوهم، وفرضوا رأيهم عليه في صفين.

ولكنهم حين أرادوا أن يستقلوا عنه ليحاربوه لم يمكنهم ذلك إلا بفرض أمير وحاكم لهم، لأنهم وجدوا أنهم لا يمكنهم أن يواصلوا مسيرتهم بدونه..

ولكن شعارهم الخاطئ الذي واجهوا به أمير المؤمنين «عليه السلام» قد تحول إلى سوط تجلد به ظهورهم، لأنه هيأهم للتمرد على كل حاكم لهم، وعرضهم للإنقسامات السريعة، واختيارهم حاكماً لكل مجموعة منهم، ثم صارت تتكرر هذه الحالة لهم وفيهم باستمرار..

فكان ذلك من أسباب ضعفهم المتواصل، وعدم قدرتهم على حسم أي خيار، ولم يتحول ليلهم إلى نهار..

حكم الله أنتظر فيكم:

1 ـ إن الأسلوب الذي كان الخوارج يتعاملون به مع أمير

المؤمنين «عليه السلام» لم يكن معقولاً ولا مقبولاً، ولا مبرراً من جهة العقل ولا الشرع، ولا الأخلاق؛ فإن العقل والشرع والأخلاق يفرضون عليهم طاعة الإمام فيما يأمرهم به، وينهاهم عنه.. وتوقيره واحترامه، وأداء حقوقه التي جعلها الله تعالى له، وقد بينها الإمام زين العابدين «عليه السلام» في رسالة الحقوق، فقد قال «عليه السلام»: «وأن تخلص له في النصيحة، وأن لا تماحكه.. [إلى أن قال]: ولا تعازه، ولا تعانده إلخ..».

وإذا وقعوا في شبهة، فليس لهم أن يتعدوا حدود الأدب معه، بل عليهم أن يسترشدوه، لكي يرشدهم، ويعلِّم جاهلهم، ويجيب على تساؤلاتهم، ويرفع الشبهة عنهم.

وإذا كان القرآن قد قرر بنص آية المباهلة: أن علياً «عليه السلام» هو نفس الرسول «صلى الله عليه وآله»، فذلك يعني: أن على الناس أن يعاملوه كما يعاملون رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فليس لهم أن يتعاملوا معه بهذه الأساليب المهينة، والمشينة، فإنها تشبه إلى حد بعيد، ما كان يعامل به الأعراب رسول الله «صلى الله عليه وآله».. حيث كانوا يرفعون أصواتهم فوق صوت النبي، ويجهرون له بالقول كجهر بعضهم لبعض، وينادونه من وراء الحجرات.. وقد نهاهم الله تعالى عن ذلك، وأمرهم بطاعته، وبأن يعزروه، ويوقروه، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه، وغير ذلك..

2 - إن هذا التعامل السيء مع أمير المؤمنين «عليه السلام»،

والمهين والمخالف للشرع الشريف، المجافي للخلق الكريم الذي كان الخوارج ينتهجونه، وما كان يحمله في طياته من مضامين حافلة بالظلم والتجني، والإفتراء عليه.. والإصرار على الباطل، بالرغم من بيان الحق لهم مراراً وتكراراً ـ إن هذا ـ قد أظهر أن هذه الجماعة بالرغم من كل المحاولات التي بذلها «عليه السلام» لهدايتها وإصلاحها كانت تسير باتجاه الهاوية باستمرار، وكان ذلك كافياً لتوقع كل عاقل ما ستؤول إليه حالهم، فإن هذا الإصرار على معصية الله تعالى، والتزام خط الباطل، وهذا التحدي الدال على أن الأمر لا يخضع لسلطان عقل ولا شرع، ولا تدبير، بل هو مستند إلى جهالات وأحقاد، وعصبيات، ونزوات، وطموحات، وغرور، وتزيينات شيطانية..

وهذا يشير: إلى أن الأمر سيتجاوز حدود النقد والتجريح إلى التمرد والإنفلات من القيود، والعبث بالأمن، وإعلان الحرب، والإفساد في الأرض.

وهذا يستدرج حكم الله تعالى بلزوم التصدي لهم، وحسم مادة الفساد، وفق ما يقتضيه حالهم من ذلك..

وهذا بالذات هو الحكم الإلهي الذي كان «عليه السلام» ينتظره فيهم..

التحكيم والحاكمية:

لقد خلط الخوارج بين الحاكمية وبين التحكيم، فالتحكيم هو الطلب

من الحَكَم أن يستخرج حكم الله من القرآن والسنة، ويلزم المتخاصمين به.

وليس التحكيم جعل الإمرة والسلطة للحكم. فلا معنى لقول الخوارج: لا حكم إلا لله، فإنه ليس للحكمين سلطة في مقابل الله، بل المطلوب منهما، والواجب عليهما هو أن يكشفا عن حكم الله وأن يخرجاه للناس من الكتاب والسنة.

إنهم في الأصلاب والأرحام إلى يوم القيامة:

وقد ذكر «عليه السلام» فيما تقدم، وستأتي نصوص أخرى تصرح: بأن الخوارج لا يفنون، بل هم في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة..

وهذا أمر تؤيده الوقائع.. فإن موجبات ظهور الخوارج باستمرار، هي من الأمور المشهودة في جميع الأدوار والعصور، وهي التي يكثر التعامل بها، والإعتماد عليها، ومنها: الجهل، والغباء، والغرور، والإنقياد للهوى، وحب الشهوات، والتوسل بالمظاهر الدينية، وضعف هيمنة العقل على القرارات، والتصرفات، والمواقف، وتزيين الشيطان، وسفاهة الأحلام، وقصر النظر، والتفكير بصغائر الأمور، والتوسل بالشعارات البراقة والطنانة، وجعل الحق وسيلة لنيل الباطل، وتكريسه.. وما إلى ذلك.

فإنك لن تجد عصراً لا تشهد فيه طوائف تعمل على الإستفادة من كل هذه العوامل، وتعطيها المزيد من الحضور والفعالية والقوة،

وتمدها بمفردات التضليل عن الخط السليم، وتعمل على التعمية والإبعاد عن خط الإمامة، وعن الصراط المستقيم، وتغذيها بالأحقاد، وترفدها بالشبهات والأضاليل والأباطيل والترهات..

وتصور لها أهل الحق والخير، ولا سيما علياً وأهل بيته «عليهم السلام»، وشيعته على أنهم الداء الدوي، الذي يكون الإقتراب منه ومنهم، من موجبات سلب النعمة، وحلول النقمة، وتوهم أن حياة الناس وبقاءهم رهن بالتخلص من دعوته، ونبذ محبته، والتشبث بعداوته، والإمعان في إيصال الشرور والأذايا له ولأهل بيته وشيعته.

وهذا يعني: أن دعوة الخوارج، ونهجهم ـ والحالة هذه ـ ستبقى حية على مدى التاريخ، وإلى يوم القيامة، كما قال «عليه السلام».

قوة تأثير الشعارات البراقة:

إن قول الخوارج: «لا حكم إلا لله» شعار يستهوي الشباب الصاعد، ويستأثر باهتمامه، لأنه يتناغم مع نزوعهم للحرية والإنفلات من الهيمنة، وإبعاد شبح السلطة، الذي يحد من غلوائهم في اتباع أهوائهم، والإنسياق مع شهواتهم.

كما أنه يستهوي البسطاء والسذج، لأنه يوحي لهم بإيمان من يطلقه، وبأنه لا طمع له في حكم ولا إمرة، ويصوره بصورة الزاهد بها، المسلم أمره إلى الله، الذي لا يطمع بعد هذا في أموال الناس، أو في أعراضهم؟! ولا يتوقع منه الظلم لهم، والعدوان عليهم!

كما أن هذا النوع من الشعارات يبعد الناس عن التفكير

بالخلفيات، والتدقيق بالمنطلقات ويصرفهم عن البحث في المباني العقائدية والإيمانية، إن كان ثمة مرتكز إيماني أو عقائدي..

والذي ساعد على ذلك: أن الذين تستهويهم دعوة الخوارج يكونون عادة أبعد الناس عن نور العلم، وعن الثقافة الدينية، بل كانوا في عصر علي «عليه السلام» وبعده أعراباً جفاة، كانت لهم حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال، وكانوا أخفاء الهام، سفهاء الأحلام..

وقد تقدمت طائفة من هذه النصوص مع مصادرها، فلا نعيد..

شبهة الخوارج أزيلت:

ثم إنه قد يروق للبعض أن يدعي: أن الخوارج معذورون في مواقفهم السلبية، لأنهم وقعوا في شبهة تمكنت في نفوسهم، ولم يجدوا لهم منها خلاصاً، ولا عن قتال علي «عليه السلام» مناصاً..

ونجيب:

أولاً: إن علياً «عليه السلام» وأصحابه لم يتركوا للخوارج عذراً، ولا أبقوا لهم شبهة.. وقد احتج عليهم أمير المؤمنين «عليه السلام» بما قطع عذرهم كرات ومرات..

واحتج عليهم ابن عباس.

وأبو أيوب الأنصاري.

وصعصعة بن صوحان.

وغيرهم..

وقد كانت خطب صعصعة فيهم بالغة الأثر، عظيمة الوقع، حتى أصبحت مضرب المثل، فيقال: أخطب من صعصعة بن صوحان إذا تكلمت الخوارج(1).

وكان «عليه السلام» يتخير لهم الأساليب الإقناعية المناسبة لحالهم، ولمستوى تفكيرهم. ولذلك أوصى «عليه السلام» ابن عباس: أن لا يخاصمهم بالقرآن، فإن القرآن حمال ذو وجوه، كما تقدم..

وقد بقي البراء بن عازب رسول أمير المؤمنين «عليه السلام» إليهم يدعوهم ثلاثة أيام.. فلم تزل الرسل تختلف إليهم، حتى قتلوا رسوله.. فلما رأى ذلك «عليه السلام» نهض فقاتلهم(2).

ويقولون: إنه «عليه السلام»: «وعظهم بكل قول، وبصَّرهم بكل وجه، فلم يرجعوا»(3).

وكاتبهم وراسلهم، فلم يرتدعوا(4).

---

(1) البيان والتبيين ج1 ص326 و327 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص398 مع بعض الإختلاف.

(2) تاريخ بغداد ج1 ص177 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص69 وبهج الصباغة ج7 ص90 عنه، وعن مروج الذهب ج2 ص404 و 405 وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج8 ص740 ونيل الأوطار ج7 ص350 وفتح الباري ج12 ص264 ومسند أبي داود ص24.

(3) الفخري في الآداب السلطانية ص94.

(4) كشف الغمة ج1 ص268 وبحار الأنوار ج33 ص396 وشجرة طوبى

وقال الزهري: خاصمت الحرورية علياً ستة أشهر.. إلى أن قال: فطالت خصومتهم وخصومة علي بالكوفة(1).

وكان «عليه السلام» يعتز ويباهي باحتجاجاته عليهم، ويكثر من قوله: «أنا حجيج المارقين»(2).

وصرح التلمساني: بأن ابن عباس قد احتج على الخوارج وقطعهم. ولم يجدوا جواباً لما قال(3).

وذكر ابن كثير: أن ابن عباس «ناظرهم، فرجع أكثرهم، وبقي بقيتهم، فقاتلهم»(4).

ونقل عن ابن جرير: أن علياً «عليه السلام» خرج بنفسه إلى بقيتهم، فلم يزل يناظرهم حتى رجعوا معه إلى الكوفة، وذلك يوم عيد

ج2 ص350 .

(1) تاريخ مدينة دمشق ج27 ص105 وتهذيب تاريخ دمشق ج7 ص305 وراجع: ص306 و 307 وأنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ج2 ص353 و 354.

(2) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص125 الخطبة رقم 75 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص169 وبحار الأنوار ج31 ص500 و 501 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج8 ص248.

(3) الجوهرة في نسب علي بن أبي طالب وآله «عليهم السلام» ص108.

(4) البداية النهاية ج7 ص279 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص309.

الفطر أو الأضحى(1).

وفي النهروان رجع منهم ثمانية آلاف، وبقي أربعة آلاف.. وقد ذكرنا ذلك فيما سبق.

وقيل: ناظرهم علي «عليه السلام»، فرجع منهم ستة آلاف، ثم ناظرهم ابن عباس، فرجع منهم ألفان(2).

وزعمت بعض المصادر: أن الراجعين كانوا أربعة آلاف(3).

وقال ابن كثير: إن الخوارج كانوا ستة عشر ألفاً، أو اثني عشر ألفاً، فناظرهم علي «عليه السلام»، فرجعوا معه إلى الكوفة، ثم

---

(1) البداية والنهاية ج7 ص282 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص312 وراجع: المعيار والموازنة ص198 - 201.

(2) العقد الفريد ج2 ص288 و 289.

(3) مناقب الإمام علي لابن المغازلي ص413 وتاريخ مدينة دمشق ج27 ص104 وج29 ص143 وج42 ص467 وتهذيب تاريخ دمشق ج7 ص304 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص591 والبداية والنهاية ج7 ص281 و 282 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص311 و 312 ونيل الأوطار ج7 ص349 ومسند أحمد ج1 ص87 والمستدرك للحاكم ج2 ص153 والسنن الكبرى للبيهقي ج8 ص180 ومجمع الزوائد ج6 ص236 وفتح الباري ج12 ص263 ومسند أبي يعلى ج1 ص369 ونصب الراية ج4 ص360 .

خرجوا إلى النهروان(1).

وصرح عبد الرزاق: بأنه قد رجع منهم عشرون ألفاً(2).

وهناك نصوص وأقوال أخرى لا حاجة لتتبعها.

ولعل لجميع هذه الأقوال أصلاً أصيلاً، لأن الإحتجاج قد تواصل، ورجوعهم، أو رجوع طوائف منهم قد تعدد.

ثانياً: كان الخوارج يشعرون بضعفهم أمام حجج علي «عليه السلام» وأصحابه، وقد قالوا: «وقد ردنا بكلامه الحلو في غير موطن»(3).

وقال الراسبي لأصحابه: «ألقوا الرماح، وسلّوا سيوفكم من جفونها، فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء، فترجعوا»(4).

---

(1) البداية والنهاية ج7 ص282 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص310.

(2) المصنف للصنعاني ج10 ص160.

(3) مناقب الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» لابن المغازلي ص407.

(4) المصنف للصنعاني ج10 ص148 والسنن الكبرى للبيهقي ج8 ص170 والسنن الكبرى للنسائي ج5 ص164 والبداية والنهاية ج7 ص291 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص322 ومطالب السؤول ص144 والرياض النضرة ج3 ص225 وكفاية الطالب ص177 ونزل الأبرار ص60 وصحيح مسلم ج2 ص748 و 749 و (ط دار الفكر) ج3 ص115

وعن زيد بن وهب، قال: خطبنا علي «عليه السلام» بقنطرة الديرخان، فقال: أن قد ذكر لي بخارجة تخرج من قبل المشرق. وفيهم ذو الثدية، فقاتلهم.

فقالت الحرورية بعضها لبعض: فردكم كما يردكم يوم حروراء؟! فشجر بعضهم بعضاً بالرماح[1].

ثالثاً: قد أظهرت كلمات أمير المؤمنين «عليه السلام»، وسائر النصوص الأخرى: أن قتال وبغي الخوارج لم يكن سببه الإعتقاد الجازم بأمر خاطئ، بل مرده إلى شكوك راودت أذهانهم، خالطها حقد يجدونه في صدورهم، فتمازج مع حب الدنيا، ومع تزيينات الشيطان لهم بأنهم ظاهرون. بالإضافة إلى جفاء وقسوة، وعناد،

وسنن أبي داود ج2 ص429 وفرائد السمطين ج1 ص276 ونيل الأوطار ج7 ص338 والعمدة لابن البطريق ص464 وبحار الأنوار ج33 ص330 ونهج السعادة ج8 ص90 وفتح الباري ج12 ص263 وكشف الغمة ج1 ص126 وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص432 ونظم درر السمطين ص117 لكنه قال: إن ذلك هو قول علي «عليه السلام»، وكنز العمال ج11 ص280 و 281 و (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص294 (عن مسلم ج1 ص343 وعن عبد الرزاق وخشيش، وأبي عوانة، وابن أبي عاصم، والبيهقي).

(1) خصائص علي بن أبي طالب «عليه السلام» للنسائي ص143 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص592 وراجع: تاريخ بغداد ج7 ص237 وج1 ص159.

وطموحات، وأهواء، ونزوات ورغبات، وعصبيات طاغية، ونفوس باغية.

يضاف إلى ذلك كله: جهل ذريع، وبعد عن المعايير الشرعية والأخلاقية، مع قلة فهم، وضعف ظاهر لهيمنة العقل على تصرفاتهم ومواقفهم، وعجب بالنفس نشأ عن كثرة قراءتهم للقرآن، وكثرة عبادتهم المضنية، من دون وعي لمضامينها، ومن دون خشوع أو لين في القلوب إلى ذكر الله.

فإذا اجتمعت هذه المؤثرات، فإنها تؤدي بصاحبها إلى الهلاك والبوار، ويصبح الهوى شريعة، والإنحراف ديناً، حيث تفقد الروادع الدينية، والموازين الشرعية، أو الأخلاقية، أو الوجدانية التي يميزون بها الحق من الباطل، والدين من الهوى..

ولذلك سمعنا منهم قولهم: كنا إذا هوينا أمراً صيرناه حديثاً..

فإذا كان الأمر كذلك، فإن الجهل، والشك، والهوى، والعصبية، لا يكون عذراً لأحد في ممارسة العدوان والتمرد، بل الجهل يحتم على الجاهل السؤال والتعلم، ولا يبرر له الإبتداع في الدين.

والشك يحتم البحث عن البصيرة واليقين.

والنزوات والأهواء والأحقاد تحتم الخضوع للحق، والطاعة لأولياء الأمر، والإلتزام بالقيود والحدود..

والعبادة والصلاة، وقراءة القرآن لا تبرر قتل الناس، ونقض عرى الشريعة، وتضييع الحقوق، واستعراض الأمة بالسيف، والفساد في

الأرض..

بل تحتم عليهم أن يرجعوا إلى الله، وإلى تعاليم القرآن، والإلتزام بأوامر ونواهي الرسول «صلى الله عليه وآله»، وتوجيهاته..

رابعاً: حتى لو فرضنا أنهم لم يكونوا شكاكاً، بل كانوا على يقين من أمرهم.. فإن ذلك لا يغير من واقع الأمور شيئاً، فإن الجهل المركب لا يبيح للجاهل استباحة المحرمات، والولوغ في دماء الناس، والإفساد في الأرض، فإن فعل ذلك وجب على الحاكم بعد أن يبذل وسعه في إرشاده، وتعريفه بالحق.. أن يتصدي له، ويمنعه من إشاعة البدع والإنحرافات، ولا بد من صده عن الإفساد في الأرض، وعن العبث بنظام الأمة، والتعرض للناس في أمنهم، ومن العدوان عليهم، والولوغ في دمائهم..

كما أن عليه أن يعمل على تحصين الناس من أن ينخدعوا بهؤلاء الجهلة والظالمين، الذين يجعلون وسيلتهم إلى خداع الناس قراءتهم للقرآن، الذي لا يجاوز تراقيهم، ويجعلون من عبادتهم التي لا أثر لها في تزكية نفوسهم، ومن ادِّعاء العلم والبصيرة في الدين، وإيهام الناس بالطهارة والإخلاص، والقرب من الله سبباً في نيل مآربهم، والحصول على شهواتهم.. ثم تنصيب أنفسهم دعاة وهداة، وادعاء القيمومة على الدين وعلى الشريعة، وعلى الناس أيضاً..

فإن البلاء الذي يصيب الدين وأهله من هؤلاء هو الأعظم والأخطر، وهم الذين قصدهم أمير المؤمنين «عليه السلام» بقوله:

«قصم ظهري اثنان: عالم متهتك، وجاهل متنسك..»[1].

وهذا يوضح لنا أيضاً بعض ما يرمي إليه ما روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، من أن الخوارج: «هم شر الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة»[2].

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص284 ومعدن الجواهر ص26 وعيون الحكم والمواعظ ص479 ومنية المريد ص181 وبحار الأنوار ج2 ص111 وميزان الحكمة ج3 ص2095 وفيض القدير ج6 ص525 والتفسير الكبير للرازي ج3 ص47 وتفسير البحر المحيط ج1 ص340 ومطالب السؤول ص248 والفصول المهمة ج1 ص551 وينابيع المودة ج2 ص415.

(2) مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص56 ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج2 ص361 و 543 ومناقب علي بن أبي طالب «عليه السلام» وما نزل من القرآن في علي لابن مردويه الأصفهاني ص171 وتنزيه الأنبياء ص202 وبشارة المصطفى ص371 ونهج الإيمان ص559 وكشف الغمة ج1 ص158 وشرح الأخبار ج1 ص142 و 431 وج2 ص60 و 65 والمسترشد للطبري ص281 وتفضيل أمير المؤمنين «عليه السلام» للمفيد ص35 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص268 والعقد النضيد ص131 وغوالي اللآلي ج4 ص87 وفتح الباري ج12 ص253 وقاموس الرجال للتستري ج12 ص169 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص267 وبحار الأنوار ج33 ص332 و 333 و 340 ج38 ص9 و 15 و 16 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص335

وفي لفظ آخر: «يقتلهم خيار أمتي، وهم شرار أمتي»(1).

أعظم جرائم الخوارج:

وإن أعظم الجرائم التي ارتكبها الخوارج، وأشدها فظاعة، والتي جعلتهم جديرين بوصف الرسول «صلى الله عليه وآله»: بأنهم شر الخلق والخليقة هي: حرمان الأمة من نصر مؤزر كان في متناول يد وصي الرسول «صلى الله عليه وآله» على القاسطين، فمهدوا بفعلتهم هذه السبيل لبني أمية ـ وهم الشجرة الملعونة في القرآن ـ ليتسلط فراعنتها على رقاب الناس، ويتلاعبوا في دين الله سبحانة، ويجروا الويلات على الأمة إلى يوم القيامة.

كما أن قيامهم في وجه أمير المؤمنين «عليه السلام»، قد أوجب صدود العراقيين عن جهاد أعداء الله، وذهاب ريحهم، وخمود رغبتهم

ومناقب أهل البيت للشيرواني ص147 ومستدرك سفينة البحار ج7 ص520.

(1) بحار الأنوار ج33 ص333 وفتح الباري ج12 ص253 والجوهرة في نسب الإمام علي وآله للبري ص110 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص337 وكشف الغمة ج1 ص159 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص545 و 652 ومجمع الزوائد ج6 ص239 عن البزار، والطبراني في الأوسط، وفي المحاسن والمساوئ ج2 ص99: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال عن ذي الثدية: إنه يقتل مع شر جيل يقتلهم خير جيل.

بالنفر لحرب القاسطين، وهم معاوية وأهل الشام بعد التحكيم.

لكم عندنا ثلاث:

وتقدم: أن علياً «عليه السلام» قال للخوارج حين قطعوا عليه خطبته، وصاروا يحكمون في نواحي المسجد: إن لكم عندنا ثلاثاً:

ـ لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، وهذا يعني حفظ معنى الحرية لهم، سواء في الإعتقاد، أو في الممارسة. ما داموا ملتزمين بحفظ الجهات التي كانت المساجد من أجلها، ولم يحاولوا الإستفادة منها في غير جهاتها الأساسية، كأن يجعلوا منها غطاء للتآمر والإفساد..

ـ ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا. وذلك يعني حفظ حقوقهم لهم ما داموا ملتزمين بالعقد الإجتماعي العام.

ـ ولا نقاتلكم حتى تبدأونا. فإن الأمن لا يكون من جانب واحد.. بل هو مضمون ومتبادل وفق مقولة: الأمن مقابل الأمن.

ـ زاد في نص آخر أمراً رابعاً: هو قوله: أحكم فيكم بكتاب الله، وسنة رسوله. فجعل المرجعية له ولهم حكم الشريعة، ولم يحتكرها لنفسه، لكي لا يتوهموا أنهم سيتعرضون للحيف معه.

ويلاحظ هنا ما يلي:

1 ـ إن أدنى ما يتوقعه الناس من أي حاكم يواجهه بعض رعيته بما يكره، وبما يسيء إلى موقعه، وإلى سلطته وهيبته هو أن يبادر

للأمر باعتقالهم، ومعاقبتهم بما يرى أنهم يستحقونه، ويكون كافياً لردعهم، ولأخذ غيرهم العبرة مما يجري لهم.

2 - إن علياً «عليه السلام» لم يفعل ذلك، لأنه لا يرى الحكم بما هو حكم إلا وسيلة لإقامة الحق، وإصلاح أمر الناس، وحل مشاكلهم، فهو يتعامل مع كل ما يواجهه فيه من موقع التكليف الشرعي، والمسؤولية الإلهية، لأن الحكم بنظره ليس امتيازاً، وإنما هو مسؤولية، وأمانة لا بد من أدائها على أهلها تامة غير منقوصة.

أما ما يقال عن هيبة الحكم، وهيمنة السلطان، فما هي ـ بنظره ـ إلا مجرد عناوين واعتبارات صنعها ضعف الإنسان، وصورها له خوفه من فقدان ما يراه امتيازاً له. مع أنه ليس في الواقع كذلك..

قيمة الأمور التي تعهد بها علي ×:

إنه «عليه السلام» قد حدد لتعامله مع الخوارج أموراً أربعة، تعهد بأن لا يتجاوزها معهم.

والمتأمل منهم ومن غيرهم في هذه الأمور يخرج بالحقائق التالية:

ألف: إنها تمس حياة الناس، وتلامس مصيرهم في الصميم، فالمطلوب من كل حاكم: أن يحفظ لرعيته هذه الأصول الأربعة ما داموا ملتزمين بمقتضياتها.

ب: إن جميع الطوائف والجماعات تحتاج إلى أن تعيش حياة

مستقرة وطبيعية، ولها نهج واضح، ووفق ضوابط محددة، ومقبولة ومعقولة..

ولا يسعدها أن يكون التعامل معها، وفق النوازع الشخصية، والقرارات المرتجلة، لأن ذلك يضيع عليها فرص الشعور بالأمان، ويفقدها الرؤية الواضحة للأمور، ويضيع عليها فرصة قراءة المستقبل، ويجعلها عاجزة عن التخطيط له..

ج: كما أن هذه الأمم والفئات تفضل أن تأخذ نهجها وضوابطها ومعاييرها من العالم الحكيم، والقادر العليم.. الذي لا يريد لها إلا الخير ولا يريد منها أن تجلب له هو نفعاً، ولا أن تدفع عنه ضراً أو شراً.. ولذلك أعطى «عليه السلام» عهده للخوارج: بأن يعمل فيهم بكتاب الله، وسنة رسوله..

د: بالنسبة لقسمة الفيء بالسوية نقول:

إنه لا ريب في أن هذا هو ما تقتضيه العدالة الإلهية، لأن المبرر للقسمة بالسوية، هو معنى الإنسانية، والإسلام، والتسليم لله ولرسوله، والمشاركة في حفظ الكيان الإنساني العام..

وهذا هو القاسم المشترك بين جميع الناس.. فلا مبرر للتفاضل الذي قرره بعض من تولى الحكم قبله «عليه السلام».

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» قد اشترط لإعطائهم من الفيء: أن تكون يدهم مع أيدي سائر المسلمين، فإذا نابذوا المسلمين وحاربوهم، وانفصلت الأيدي عن بعضها البعض، فلا يبقى لهم في الفيء نصيب..

هـ: وأما إعطاؤهم الحرية لارتياد مساجد الله سبحانه ليذكروا فيها اسم الله، فالمبرر له هو: نفس كون المساجد لله، وهم عباده الذين تجب عليهم طاعته وعبادته.. وهذا أمر يشاركون به سائر من أظهر الإسلام والعبودية لله تعالى..

ولعله لأجل الإلماح إلى هذه الخصوصية صرح «عليه السلام» بلفظ الجلالة هنا، فقال: «مساجد الله».

و: ولعله لأجل أنه ليس جميع الناس يذكرون الله سبحانه ويدخلون إلى قلوبهم حقيقة، فإن بعضهم يذكر اسم الله، ولا يجاوز تراقيه إلى قلبه ـ كما هو حال الخوارج ـ فإنه «عليه السلام» قال: «تذكروا فيها اسم الله»، ولم يقل: تذكروا الله فيها.

كما أن حقهم في ارتياد المساجد إنما يثبت لهم، ما دام هذا الإرتياد من مظاهر الوحدة، ومن موجبات القوة والمنعة، ومن مفردات المؤازرة والتعاون.

فإذا أصبح سبباً في التشتت والخلاف، والتمزق، وإشاعة حالة النفاق، والتآمر على وحدة المسلمين، وإلقاح الفتن بينهم، فليس لهم حق في دخول تلك المساجد..

ليس هذا من الحرب النفسية:

أما ما تقدم عن كتاب في دعائم الإسلام، من أن الرسول «صلى الله عليه وآله» قد أخبر علياً «عليه السلام» بالحال التي ستكون له مع الخوارج، وأنه لا يخرج منهم خارجة على أهل الحق، قلَّت، أو كَثُرت

إلى يوم القيامة، إلا جعل الله تعالى حتفها على يده وأيدي أهل الحق من شيعته.. فهو من أعلام النبوة. ومن دلائل الإمامة، حيث أظهرت الوقائع صدق هذا الخبر على مدى التاريخ..

وهذا ينتج هزيمة نفسية ومعنوية لهم أمام أهل الحق، حيث إن ذلك يجعلهم يتوقعون لأنفسهم الموت على أيديهم.. بالإضافة إلى شعورهم بالخذلان الإلهي لهم، ويلبسه رداء مذلة المبطلين، وخزي المعتدين والظالمين..

ولكنها هزيمة تأتي في سياق طبيعي، يرمي إلى تحصين الناس من الإنخداع بشعاراتهم، والإنسياق وراء ترهاتهم..

كما أنه يجعل لدى الكثيرين منهم الدافع للنأي بالنفس عن هذا المصير المحتوم، لأن الناس لا يرغبون عادة في الدخول في مأزق يعرفون نتائجه السلبية عليهم مسبقاً، كما أنهم ينفرون من التلبس بلباس الإتهام بالعدوان وبالظلم، فكيف يرضون لأنفسهم الدخول في الباطل، وفي الظلم بصورة صريحة ومفضوحة؟!

وبذلك يكون «عليه السلام» قد وضعهم أمام خيار تأباه فطرتهم ووجدانهم وكرامتهم، وينساقون وراء التخلص منه، والإبتعاد عنه بصورة طبيعية.

فاتضح: أن إخبارهم بقول رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيهم هو من مفردات الإحسان لهم، والرفق بهم، وسوقهم إلى النأي بأنفسهم عن هذا الواقع الذي يسعون بأنفسهم إليه..

إعطاء الدنية في الدين:

ويذكرنا قول يزيد بن عاصم المحاربي: «اللهم إنَّا نعوذ بك من إعطاء الدنية في ديننا، فإن إعطاء الدنية في الدين، إدهان في أمر الله عز وجل، وذل راجع بأهله إلى سخط الله» ـ يذكرنا ـ بما جرى في الحديبية لرسول الله «صلى الله عليه وآله» حين عاهد المشركين، وكتب الكتاب مع أبي سفيان وسهل بن عمرو. فاعترض بعض المسلمين على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقالوا: كيف نعطي الدنية في ديننا؟! ورفضوا الإحلال من إحرامهم.. بالرغم من إصرار النبي «صلى الله عليه وآله» عليهم بذلك.

وهذا بالذات ما يواجهه أمير المؤمنين «عليه السلام» مع الخوارج مع فارق يظهر حجم الظلم الذي يتعرض له «عليه السلام». فإن النبي «صلى الله عليه وآله» حين عاهد المشركين كان هو الذي قرر ذلك بملء إرادته، فاعترض عليه من اعترض، وشنع بما شنع، ربما لأنهم لم يفهموا سر القرار الذي أقدم عليه «صلى الله عليه وآله»..

ولكن الأمر بالنسبة لأمير المؤمنين «عليه السلام» مختلف تماماً، فإن هؤلاء القوم هم أنفسهم الذين أجبروه على إيقاف الحرب، وعلى قبول التحكيم، وهددوه بالقتل، وبتسليمه لمعاوية ليفعل به ما يشاء. وفرضوا عليه أن يكون الحكم شخصاً بعينه، وهو الأشعري..

ثم هم يحكمون عليه بالكفر، لأجل عمل هم فرضوه، ويلزمونه

بالتوبة من ذنب هم الذين اقترفوه، ويصرون عليه بأن ينقض العهد الذي أجبروه هم على إعطائه لأهل الشام معتبرين ذلك من إعطاء الدنية في الدين، ومن الإدهان في أمر الله عز وجل، ومن الذل الذي يفضي بأهله إلى سخط الله عز وجل.

فهم يخطئون، ويذنبون ويحملون غيرهم مسؤولية الخطأ، والذنب، ويدعونه إلى التوبة من ذنب لم يقارفه.

وهم يرتكبون الجريمة، ويريدون محوها ومعالجتها بجريمة أعظم منها..

فهل هناك من مصيبة أعظم من هذه المصيبة، أو من بلاء أشد من هذا البلاء؟!

مبدأ المقابلة بالمثل:

أما ما ورد في الرواية الأخيرة المتقدمة، من أنه «عليه السلام» لم يرض من أصحابه بالتصدي للخوارج حين قالوا: قاتله الله من كافر ما أفقهه، وقال لهم: رويداً، إنما هو سب بسب، أو عفو عن ذنب. ـ أما هذا ـ فهو يؤكد مبدأ العدالة والإنصاف حتى للأعداء عند علي «عليه السلام»..

وهو يشير أيضاً إلى مبدأ المقابلة بالمثل.. حيث يطلب منهم الإقتصار على السب مقابل السب..

ثم هو يشير أيضاً إلى فضيلة العفو عمن ظلمك مع قدرتك عليه،

حيث قال: أو عفو عن ذنب..

إن أنظار هذه الفحول طوامح:

وقوله «عليه السلام»: إن أبصار هذه الفحول طوامح، ثم أمره لهم بأن يلامس كل رجل منهم أهله، إذا رأى امرأة فأعجبته يشير إلى أنه «عليه السلام» لم يرد أن يتهمهم بأنهم نظروا إلى تلك المرأة بشهوة وبتعمد، ليكون نظرهم إليها حراماً، لأنه لا شيء يدل على أي من هذين الأمرين.. وإن كان ذلك محتملاً، ولكن لا ريب في أن الجمال يجلب النظر بلا ريب، ويثير الإعجاب. فجعل «عليه السلام» هذا مرتكزاً للأمر بملامسة الأهل، وتقرير القاعدة التي تقول: إنما هي امرأة بامرأة.

الفصل الرابع:

من حروراء.. إلى النـهروان..

الخوارج.. من حروراء إلى النهروان:

عن عبد الملك بن أبي حرة: «أن علياً «عليه السلام» لما بعث أبا موسى لإنفاذ الحكومة لقيت الخوارج بعضها بعضاً، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي، فحمد الله عبد الله بن وهب وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، فوالله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن، وينيبون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا ـ التي الرضا بها، والركون بها، والإيثار إياها (كذا) عناء وتبار ـ آثر عندهم من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والقول بالحق، وإن منَّ وضُرَّ فإنه من يُمَنّ ويُضَرّ في هذه الدنيا، فإن ثوابه يوم القيامة رضوان الله عز وجل والخلود في جناته.

فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال، أو إلى بعض هذه المدائن، منكرين لهذه البدع المضلة.

فقال له حرقوص بن زهير: إن المتاع بهذه الدنيا قليل، وإن الفراق لها وشيك، فلا تدعونكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها، ولا

تلفتنكم عن طلب الحق، وإنكار الظلم، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

فقال حمزة بن سنان الأسدي: يا قوم! إن الرأي ما رأيتم، فولوا أمركم رجلاً منكم، فإنه لابد لكم من عماد وسناد، وراية تحفون بها، وترجعون إليها.

فعرضوها على زيد بن حصين الطائي، فأبى، وعرضوها على حرقوص بن زهير، فأبى، وعلى حمزة بن سنان، وشريح بن أوفى العبسي، فأبيا، وعرضوها على عبد الله بن وهب، فقال: هاتوها، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا، ولا أدعها فرقاً من الموت.

فبايعوه لعشر خلون من شوال، وكان يقال له: ذو الثفنات.

ثم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي، فقال ابن وهب: اشخصوا بنا إلى بلدة نجتمع فيها لإنفاذ حكم الله، فإنكم أهل الحق.

قال شريح: نخرج إلى المدائن فننزلها، ونأخذ بأبوابها، ونخرج منها سكانها، ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا.

فقال زيد بن حصين: إنكم إن خرجتم مجتمعين اتبعتم، ولكن اخرجوا وحدانا مستخفين، فأما المدائن، فإن بها من يمنعكم، ولكن سيروا حتى تنزلوا جسر النهروان، وتكاتبوا إخوانكم من أهل البصرة.

قالوا: هذا الرأي.

وكتب عبد الله بن وهب إلى من بالبصرة منهم يعلمهم ما اجتمعوا

عليه، ويحثهم على اللحاق بهم، وسير الكتاب إليهم، فأجابوه أنهم على اللحاق به.

فلما عزموا على المسير تعبدوا ليلتهم؛ وكانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة، وساروا يوم السبت.

فخرج شريح بن أوفى العبسي وهو يتلو قول الله تعالى: **(فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ)[1]»[2].**

ونقول:

1 ـ زعم الراسبي: أنه يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع أنهم هم الذين تركوا المعروف، وأخذوا بالمنكر، وارتكبوا الذنب العظيم بتمردهم على إمامهم وتهديدهم إياه بالقتل، وكانوا أكثر من

(1) الآيتان 21 و 22 من سورة القصص.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص74 و (ط الأعلمي) ج4 ص55 والكامل في التاريخ ج2 ص398 و (ط دار صادر) ج3 ص335 و 336 والإمامة والسياسة و (تحقيق الزيني) ج1 ص121 (تحقيق الشيري) ج1 ص161 والأخبار الطوال ص202 نحوه، وفيه: «حمزة بن سيار ويزيد بن حصين» بدل «حمزة بن سنان وزيد بن حصين». وراجع: أنساب الأشراف ج3 ص137 وموسوعة الإمام على بن أبي طالب «عليه السلام» ج6 ص345 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص316.

عشرين ألفاً في صفين، ثم كفّروه، ونابذوه، وأعلنوا الحرب عليه..

فإن كان الراسبي يريد بالمنكر هو العهد الذي أعطاه علي «عليه السلام» لأهل الشام، ويريدون أن يلزموه بنقضه، فمن الواضح: أنه ليس له «عليه السلام» أن يفعل ذلك، لأن الله تعالى قد أمر بالوفاء بالعهد بعد إعطائه.. لأن إعطاء العهد يجعل للطرف الآخر حقاً لا يجوز جحده والتعدي عليه، إلا إذا كان هو الذي ينقضه ويتخلى عنه، ولم يفعل ذلك أهل الشام بعد..

كيف وقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعهد للمشركين، فضلاً عمن يظهر الإسلام.

2 ـ لقد كان الأحرى بالخوارج، وهم الذين ارتكبوا ذلك الذنب العظيم أن يصبوا جام غضبهم على أنفسهم، فإنهم أحق بالعقوبة، بل ليس ثمة من يستحقها غيرهم..

3 ـ ويلفت النظر هنا: قول حمزة بن سنان الأسدي: «فولوا أمركم رجلاً منكم، فإنه لا بد لكم من عماد وسناد، وراية تحفون بها، وترجعون إليها..».

فولوا الراسبي على أنفسهم. ثم صاروا يولون الأمراء على أنفسهم كلما سقط منهم أمير، أو كلما أرادت فئة منهم التحرك، وكلما اختلفوا وانقسموا..

وهذا نقض منهم لمقولتهم: «لا حكم إلا لله» حيث أرادوا: «لا إمرة إلا لله»، وها هم يجعلون الإمرة لبعضهم كلما احتاجوا إليها.

ليكون لهم عماداً وسناداً، وليكون صاحب الراية التي يحفون بها، ويرجعون إليها.

4 ـ أما رفض من عدا الراسبي قبول الإمارة، فلم يكن تعففاً وزهداً بالدنيا كما ادعاه الراسبي، بل كان خوفاً من الموت في مواجهة أمير المؤمنين «عليه السلام». فإن حبهم للدنيا كان مشهوداً في تصرفاتهم، وبحثهم عن حطامها. وتناحرهم عليها إلى حد الإستماتة حتى أنهم كانوا يقاتلون على القدح يؤخذ منهم، والسوط، والعلف والحشيش أشد قتال كما ذكرناه في كتابنا «علي والخوارج»، فراجع.

وقد قال أمير المؤمنين «عليه السلام» لهم: «لا خير لكم في دنيا تقاتلون عليها»[(1)](2).

5 ـ قد لفت نظرنا: إقتراح شريح بن أوفى العبسي على أصحابه بأن يذهبوا إلى المدائن، ويخرجوا منها أهلها، لكي يجعلوها مقراً لهم، فلم ينكر عليه أصحابه رأيه هذا ولم يروا فيه عدواناً، وظلماً للناس..

ولم يقل له أحد منهم: إن كان علي «عليه السلام» مذنباً في إصراره على العهد مع أهل الشام إلى انقضاء الأجل، فما ذنب أهل االمدائن؟! ولو كان ذنب للكبار، فما ذنب النساء، والمرضى والعاجزين والصغار فيها؟!

---

(1) علي «عليه السلام» والخوارج ج2 ص24 و 25.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص72 و (ط الأعلمي) ج4 ص53 وراجع: علي والخوارج ج2 ص24 و 28 ففيه نصوص عديدة حول هذا الموضوع.

إستشهاد ابن خباب:

عن أيوب، عن حميد بن هلال، عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج ثم فارقهم قال: دخلوا قرية، فخرج عبد الله بن خباب ذعراً يجر رداءه، فقالوا: لم تُرَعْ؟!

قال: والله لقد رعتموني!

قالوا: أنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: نعم.

قالوا: فهل سمعت من أبيك حديثاً يحدثه عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» تحدثناه.

قال: نعم. سمعته يحدث عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه ذكر فتنةً، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي. قال: فإن أدركت ذلك، فكن عبد الله المقتول.

قال أيوب: ولا أعلمه إلا قال: ولا تكن عبد الله القاتل.

قالوا: أأنت سمعت هذا من أبيك يحدثه عن رسول «صلى الله عليه وآله».

قال: نعم.

قال: فقدموه على ضفة النهر فضربوا عنقه، فسال دمه كأنه

شراك نعل ما أبذقر[1]. وبقروا أم ولده عمًّا في بطنها[2].

وفي نص آخر: أن الذي قتله هو مسعر بن فدكي، «ضربه

(1) ما أبذقر دمه: ما تفرق ولا تمذر. لسان العرب ج4 ص51.

(2) موسوعة الإمام على بن أبي طالب «عليه السلام» ج6 ص346 عن: مسند أحمد ج7 ص452 ح21121 و (ط دار صادر) ج5 ص110 ومجمع الزوائد ج7 ص302 و 303 ومسند أبي يعلى ج6 ص374 ح7180 و (ط دار المأمون للتراث سنة 1412هـ) ج13 ص177 والمعجم الكبير ج4 ص60 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص81 و (ط الأعلمي) ج4 ص60 والمحلى لابن حزم ج11 ص106 وسبل السلام ج4 ص39 ونهج السعادة ج2 ص375 والمصنف للصنعاني ج10 ص118 والآحاد والمثاني ج1 ص215 والمصنف لابن أبي شيبة ج8 ص732 والمعجم الكبير ج4 ص61 وسنن الدارقطني ج3 ص99 والطبقات الكبرى لابن سعد ج5 ص245 و 246 وفيه: أيوب بن حميد بن هلال، وأنساب الأشراف ج3 ص143 نحوه، وتاريخ بغداد ج1 ص205 و 46 و (ط دار الكتب العلمية سنة 1417 هـ) ج1 ص219 و 220 وج12 ص286 نحوه، وذكر فيه أيضاً: أن عبد الله بن خباب ولد في زمان رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان موصوفاً بالخير والصلاح والفضل، وفي ج7 ص237: أن عبد الله بن خباب كان عامل الإمام على «عليه السلام» على النهروان. وراجع: كنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص150 والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص105 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص318 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص73 وبحار الأنوار ج33 ص346 وميزان الحكمة ج 1 ص 736.

ضربة على أم رأسه فقتله، ثم دخلوا إلى منزله».

وذكر ابن أعثم وغيره: أن عبد الله بن خباب قال: إنه سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول ذلك(1).

وفي نص آخر: عن حميد بن هلال: أن الخارجة التي أقبلت من البصرة جاءت حتى دنت من إخوانها بالنهر، فخرجت عصابة منهم، فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار، فعبروا إليه، فدعوه، فتهددوه، وأفزعوه، وقالوا له: من أنت؟!

قال: أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله «صلى الله عليه وآله». ثم أهوى إلى ثوبه يتناوله من الأرض، وكان سقط عنه لما أفزعوه.

فقالوا له: أفزعناك؟!

قال: نعم.

قالوا له: لا روع عليك، فحدثنا عن أبيك بحديث سمعه من النبي «صلى الله عليه وآله» لعل الله ينفعنا به.

قال: حدثني أبي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن فتنة تكون يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه، يمسى فيها مؤمناً، ويصبح فيها كافراً، ويصبح فيها كافراً، ويمسى فيها مؤمناً.

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج4 ص255.

فقالوا: لهذا الحديث سألناك. فما تقول في أبى بكر وعمر؟!

فأثنى عليهما خيراً.

قالوا: ما تقول في عثمان في أول خلافته، وفى آخرها؟!

قال: إنه كان محقاً في أولها، وفى آخرها.

قالوا: فما تقول في علي قبل التحكيم، وبعده؟!

قال: إنه أعلم بالله منكم، وأشد توقياً على دينه، وأنفذ بصيرة.

فقالوا: إنك تتبع الهوى، وتوالى الرجال على أسمائها لا على أفعالها، والله! لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحداً، فأخذوه، فكتفوه. ثم أقبلوا به وبامرأته وهي حبلى متم[1]، حتى نزلوا تحت نخل مواقر، فسقطت منه رطبة، فأخذها أحدهم، فقذف بها في فمه.

فقال أحدهم: بغير حلها وبغير ثمن، فلفظها وألقاها من فمه.

ثم أخذ سيفه، فأخذ يمينه، فمر به خنزير لأهل الذمة، فضربه بسيفه.

فقالوا: هذا فساد في الأرض، فأتى صاحب الخنزير، فأرضاه من خنزيره.

فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال: لئن كنتم صادقين فيما أرى، فما عليَّ منكم بأس، إني لمسلم ما أحدثت في الإسلام حدثاً، ولقد

---

(1) أتمت الحبلى فهي متم: إذا تممت أيام حملها. لسان العرب ج12 ص68.

آمنتموني، قلتم: لاروع عليك.

فجاؤا به، فأضجعوه، فذبحوه، وسال دمه في الماء.

وأقبلوا إلى المرأة، فقالت: إني إنما أنا امرأة، ألا تتقون الله!

فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء، وقتلوا أم سنان الصيداوية(1).

ثم أمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي الجرمي، وحرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية.

ثم ساروا حتى دخلو النهروان في اثني عشر ألفاً من بين فارس وراجل(2).

ونقول:

نلاحظ هنا الأمورالتالية:

1 - ذكرت الرواية المتقدمة برقم [2]: أن الخوارج سألوا ابن

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص81 و (ط الأعلمي) ج4 ص60 والكامل في التاريخ ج2 ص403 و (ط صادر) ج3 ص341 و 342 وأنساب الأشراف ج3 ص142 عن أبي مجلز، والإمامة السياسة (تحقيق الشيري) ج1 ص167 و(تحقيق الزيني) ج1 ص126 كلاهما نحوه، وراجع: أسد الغابة ترجمة عبد الله بن خباب. وموسوعة الإمام على بن أبي طالب «عليه السلام» ج6 ص347 و 348 وراجع: نهج السعادة ج2 ص369.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج4 ص255 و 256.

خباب عن عثمان، فقال لهم: إنه يراه محقاً في أول خلافته وفي آخرها..

وهذا كلام يصعب تصديق نسبته إلى ابن خباب. فإن ابن خباب كان مع أمير المؤمنين «عليه السلام»، ومن الصحابة، ونحن نعلم أن أمير المؤمنين «عليه السلام» وأصحابه، ومعه أكثر الصحابة كانوا يخطئون عثمان، ولا يصوبونه..

فمن القريب جداً أن تكون هذه الفقرة مدسوسة في الرواية..

أما بالنسبة لأبي بكر وعمر، فقد تقدم: أن معاوية كان يحاول أن يستدرج علياً «عليه السلام» للطعن بهما، فلم يفلح، وكان «عليه السلام» ينهي أصحابه عن الإستجابة لمثل هذا الاستدراج..

فكلام ابن خباب في حقهما موافق لهذه السياسة.

2 ـ تقدم: أن بعض الروايات تقول: إن ابن خباب روى لهم الحديث عن أبيه، عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وبعضها يقول: إنه حدثهم بما سمعه هو عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ولعله حدثهم على النحوين معاً، تارة بما سمعه بنفسه، وأخرى بما سمعه بواسطة أبيه.

3 ـ إن عبد الله بن خباب ـ كما يقولون ـ ولد في زمن رسول الله «صلى الله عليه وآله».

بل روي عن زكريا بن العلاء، قال: أول مولود ولد في الإسلام

عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن خباب [1].

ورووا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي سماه عبد الله [2].

غير أننا نقول:

إن قوله: إن أول مولود ولد في الإسلام عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن خباب غير صحيح، والصحيح: أن ولادتهم كانت بعد الهجرة، فلعل الراوي أراد هذا المعنى.. لأن الإسلام قد بدأ منذ بعثة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مكة قبل الهجرة بثلاث عشرة سنة.

4 ـ تقدم: أن ابن أعثم يقول: إن الذي قتل ابن خباب هو مسعر بن فدكي بضربة منه على أم رأسه.

لكن رواية أخرى تقول: إنهم ضربوا عنقه.

وثالثة، تقول: إنهم ذبحوه..

وهذا الإختلاف لا يعني التشكيك في أصل قتله، لأن قتله متفق عليه كما هو معلوم..

---

(1) الإصابة ج2 ص302 و (ط دار الكتب العلمية سنة 1415هـ) ج4 ص64 عن ابن مندة، وتاريخ مدينة دمشق ج28 ص156 و 157 وأسد الغابة ج3 ص150 .

(2) الإصابة ج2 ص302 و (ط دار الكتب العلمية سنة 1415هـ) ج4 ص64 عن ابن مندة، وتاريخ بغداد ج1 ص219.

5 - إختلفت الروايات في الحديث الذي نقله ابن خباب لهم عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، غير أننا نقول:

ربما يكون قد حدثهم بأكثر من حديث، فنقل كل راو ما راق له..

6 - إن الذي قتل ابن خباب هم خوارج البصرة الذين أرسل إليهم الراسبي ليلاقوا إخوانهم من خوارج الكوفة في النهروان..

وقد روي عن الحسن البصري: أن الصرم لقي ابن خباب بالدار، وهو متوجه إلى علي «عليه السلام» بالكوفة، ومعه امرأته، وولده، فقال: هذا رجل من أصحاب محمد، نسأله عن حالنا، وأمرنا ومخرجنا.

فانصرفوا إليه، فسألوه، فقال: أمَّا فيكم بأعيانكم فلا، ولكن سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: يكون بعدي قوم يقرأون القرآن، لا يجاوز تراقيهم..

ثم ذكر أنهم قتلوه، وقتلوا امرأته، وهي حامل متم**(1)**.

7 - ويظهر من النص الثاني المتقدم: أن قتل ابن خباب قد حصل قبل التقاء خوارج البصرة بخوارج الكوفة، وقبل تأمير الراسبي على الفريقين معاً. وقد التقوا بإخوانهم قبل بلوغهم النهروان معاً..

---

(1) الإصابة ج2 ص302 و (ط دار الكتب العلمية سنة 1415هـ) ج4 ص64 عن الطبراني، ومجمع الزوائد ج6 ص230 وراجع: كنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص207.

يخطب في الكوفة.. والخوارج في النهروان:

لما خرجت الخوارج وهرب أبو موسى إلى مكة، وَرَدَّ علي «عليه السلام» ابن عباس إلى البصرة [وأتت الخوارج النهروان]، قام «عليه السلام» في الكوفة، فخطبهم، فقال:

الحمد لله، وإن أتى الدهر بالخطب الفادح، والحدثان الجليل، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله «صلى الله عليه وآله».

أما بعد.. فإن المعصية [معصية الناصح الشفيق، والعالم المجربِ] تورث الحسرة ـ وتعقب الندم ـ وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفى هذه الحكومة أمري، ونحلتكم رأي لو كان لقصير أمر! ولكن أبيتم إلا ما أردتم. فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين، قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما، وأحييا ما أمات القرآن، واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله، فحكما بغير حجة بينة، ولا سنة ماضية، واختلفا في حكمهما، وكلاهما لم يرشد، فبرئ الله منهما ورسوله، وصالح المؤمنين.

استعدوا وتأهبوا للسير إلى الشأم، وأصبحوا في معسكركم إن

شاء الله يوم الإثنين[1].

ونقول:

الحمد على المكروه والمحبوب:

إن الحمد هو الثناء على الله تعالى، لأنه مظهر كل جلال وكمال، وجمال.. فله الحمد تعالى وهو يستحقه لأجل صفات الفعل، ويستحقه لأجل صفات الذات أيضاً، بل الحمد لله تعالى بحجم الوجود كله، بكل ما فيه من نعم، وعطايا، وتدبير وإتقان، وغنى وكمال، وأسرار.. وما إلى ذلك.

وكل ما يعرض من نقص، أو سوء فإنما هو بسوء اختيار البشر، أو نتيجة إهمال وتقصير في تدبيرهم، ونقصان في قيامهم بالواجبات،

---

(1) راجع: الأمم والملوك ج5 ص77 و (ط الأعلمي) ج4 ص56 و 57 والكامل في التاريخ ج2 ص400 و (ط دار صادر) ج3 ص338 وأنساب الأشراف ج3 ص140 و (ط الأعلمي سنة 1394 هـ) ص365 و 366 عن عامر الشعبي، وجبير بن نوف وغيرهما، وعن مروج الذهب ج2 ص412 ونهج السعادة ج2 ص356 - 358 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص204 والإمامة والسياسة ج1 ص143 والبداية والنهاية ج7 ص287 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص317 ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص84 وشجرة طوبى ج2 ص346 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج5 ص388 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص349.

أو لعدوانهم على المواقع المحظورة، وارتماسهم إلى حد الغرق في المحذور الكبير والخطير..

والإنتهاء إلى هذه النتيجة، والإبتلاء بآثار ذلك كله لا يبرر التقصير في الحمد، وفي الثناء على الله، لأن النقصان لم يأت من قبله تعالى، بل كل ما جاء من عنده فهو محبوب ومطلوب على قاعدة: **(مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا)**(1).

وقوله تعالى: **(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)**(2).

وأما المكروه الذي يأتي به القضاء وفق السنن الجارية في الخلق، فليس من السوء في شيء، بل هو خير وصلاح، وإن لم ندرك الوجه التفصيلي لذلك..

ولذلك نحمد الله على المكروه، ونقول: «الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه». ولا بد من حمد الله على السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، والعافية والبلاء.. وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا ورد عليه أمر يسره قال: الحمد لله على هذه النعمة، وإذا

---

(1) الآية 79 من سورة النساء.

(2) الآية 51 من سورة التوبة.

ورد عليه أمر يغتم به قال: الحمد لله على كل حال(1).

ولذلك حمد «عليه السلام» الله تعالى هنا حتى حين أتى الدهر بالخطب الفادح، والحدثان الجليل، بما فعلوه معه في صفين، وبما انتهت إليه الأمور في التحكيم.. فإن ذلك إنما جاء بسوء تصرف الناس، فاللوم فيه يقع عليهم، ولا بد أن يتمحض الحمد لله على نعمه وتوفيقاته له «عليه السلام»، لكل خير، ويسر له القيام بما يجب عليه على أكمل وجه وأتمه، حتى تمكن من دفع الكثير من الأخطار، وفضح «عليه السلام» بسياساته الحكيمة مكر الماكرين، وأحبط الكثير من خططهم ومكائدهم الشيطانية..

الشهادتان لماذا؟!:

ثم أتبع «عليه السلام» هذا الحمد بالشهادتين، فإنه إذا كان الناس قد انساقوا وراء أهوائهم، وعبدوا الجاه والمقام، وأشركوا في أعمالهم غير الله، فإنه «عليه السلام» يخلص له في توحيده، وفي عبادته. ويتأسى في عبوديته لله برسول الله «صلى الله عليه وآله» الذي هو عبد الله ورسوله، وهو يؤمن برسوليته، ويلتزم بما جاء به، ولا يتخلى

(1) الكافي ج2 ص97 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج3 ص247 و (الإسلامية) ج2 ص896 وبحار الأنوار ج68 ص33 وميزان الحكمة ج1 ص692 وج2 ص1488 وسنن النبي للطباطبائي ص357 وجامع السعادات للنراقي ج3 ص190.

عنه كرمى لعين فلان وفلان، ولا يطمع بمال الدنيا، ولا في جاهها، ولا في زخرفها، ولا يتخلى عن أصول دينه لاجلها..

النصيحة الأغلى:

ثم تحدث «عليه السلام» عن لزوم الحذر من معصية الناصح الشفيق، والعالم المجرب، وذلك لما يلي:

1 - إنه لا شك في أن الإمتناع عن قبول إيقاف الحرب حين رفع المصاحف في صفين كان هو الصواب الذي لا محيص عنه.. وأن مخالفة الناس لأمير المؤمنين في نصيحته لهم في هذا الأمر قد أعقبت الندامة، وجرت المصائب والبلايا على الدين، وعلى المسلمين..

فقد أعطت القاسطين الفرصة لاستعادة قوتهم، ومعاودة عدوانهم على الدين بما كانوا يثيرونه من شبهات، وما يزرعونه من بدع ويشيعونه من ترهات وأباطيل وجهالات..

بالإضافة على معاودتهم العدوان على الناس، والسعي للتسلط عليهم، واستلاب حقوقهم، وتكريس الظلم فيهم، وإشاعة الإنحرافات والمعاصي فيما بينهم.. واستهداف كل مظاهر الخير والصلاح فيهم بالإفساد.

2 - إن معاوية وأهل الشام لم ينيبوا إلى الحق، ولم يرضوا به، مع أن الحق كان أوضح من الشمس، وأبين من الأمس.. فكانوا بذلك محاربين لإمامهم، مدَّعين لما لا يحق لهم، معلنين بالإفتراء على أهل

الحق وليست لديهم أية شبهة في ذلك..

ولو كان أهل الشام قد رضوا بالحق لكانوا قد اعترفوا به، وسلموا به لأهله، وأعلنوا توبتهم، وندامتهم ورضوا بحكم الله تعالى فيهم..

3 ـ على أن من يستسلم حين يرى البأس، وتلوح له بشائر نصر أهل الحق عليه لا ينتفع باستسلامه، فضلاً عن أن يملي شروطه على المنتصر.. بل عليه أن يستسلم بدون قيد أو شرط.. فما معنى اشتراط أهل الشام جعل حكمين.. وقد قال تعالى: **(فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِين فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ)**(1).

4 ـ وبذلك يعرف: كيف أن مخالفة النصيحة التي أسداها أمير المؤمنين «عليه السلام» لأولئك الأغبياء الجهلة قد أورثت الحسرة والندامة.

صفات الناصح:

وحين خلص «عليه السلام» إلى التأكيد على صحة رأيه ذكر: أن الذي يجب الأخذ برأيه يجب أن تتوفر فيه الشرائط التالية:

1 ـ أن يكون شفيقاً: وهي تعني استشعاره الرقة والعطف المقتضي للإندفاع لمساعدة العاجز والضعيف، والغافل عن أمر

---

(1) الآيتان 84 و 85 من سورة غافر.

يراد به، أو يوشك أن يقع فيه، ولو اقتصرت المساعدة على لفت نظره إلى الخطر الذي يتهدده.

2 ـ أن يكون عالماً بالأمر الذي يخبر به، إما بالأخذ من المعدن الأصيل للمعرفة، كالأنبياء الذين يخبرون قومهم بما ينتظرهم من عذاب وعقوبات، أو بالتعلم والدراسة للعلوم المختلفة، ومن قبل العلماء الباذلين للجهود المضنية في كشف الحقائق، والوصول إلى الغوامض، للإستفادة منها في دفع عجلة الحياة، بعد الوقوف على أسرارها، وآثارها، وخصائصها، ومنافعها، وأضرارها..

3 ـ أن يملك التجربة العملية الكافية التي تعطيه الخبرة بحالات الناس، وتوقفه على طرائق تعاملهم مع بعضهم البعض، وتكشف له أحابيلهم، وبعض مكرهم..

4 ـ أن يكون ممن يريد الخير والسعادة والصلاح لمن يسدي له النصيحة، وأن يكون ممن يسعى لإحقاق الحق، لكي يتخذ بذلك صفة الناصح لهم، لا صفة التاجر، أو صفة الغادر، أو الماكر..

فإذا توفرت هذه الصفات في أي كان من الناس، فعلى الجاهل، والعاجز، والضعيف التدبير، والقاصر في التفكير أن يطيعه، ويأخذ بما يقول.

علي × أكثر من ناصح:

وقد أعلنت الآيات والروايات وأكدت على أن علياً «عليه السلام» هو ولي للناس بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل هو

أولى بهم من أنفسهم. وليس لهم أن يتخلفوا عنه، أو أن يخالفوه في قول أو فعل..

ولكنه «عليه السلام» بعد أن جرى ما جرى في صفين لم يتكلم مع مخالفيه على هذا الأساس، بل خاطبهم من موقع المحبة، والشفقة والرفق، لكي لا يجدوا في أنفسهم أي حرج، ولا يشعروا بأية غضاضة. إنه «عليه السلام» يوجه كل اهتمامهم، وكل تفكيرهم، وكل خلجات قلوبهم إلى مصلحتهم، والنظر إلى مستقبلهم، ليشعروا أن حركتهم كلها في مصلحتهم، وهي لهم، ومن أجلهم..

فقدم نفسه لهم على أنه مجرد شفيق، وعالم مجرب للأمور، وناصح يريد الخير لهم، ولا يريد لهم أن يواجهوا عذاب الحسرة، ولا ألم الندامة.. لأن ذلك سيكون أيسر عليهم، وأحب وأرضى لنفوسهم، وأعذب وألذ لذائقتهم..

مقارنة.. لأجل التحذير:

ثم إنه «عليه السلام» ذكَّرهم بموقفهم من نصيحته التي أسداها لهم من موقع الشفيق، والعالم المجرب.. فقابلوها بالجفاء والعنجهية والغرور، فكان حاله معهم حين خالفوه، وباعدوه، ونابذوه..

كما قال الآخر:

أريـــد حـــبـــاءه ويريد قتلي عذيـــرك مـــن خليلك من مراد

أو كما قال دريد بن الصمة:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

لقد ذكَّرهم بحالهم معه لكي يحذروا من الوقوع من جديد بما وقعوا به من قبل.

وبيَّن لهم: أن منابذتهم له قد بلغت في العنف، والشدة حداً يجعل الناصح يشك في نصيحته، ويتوهم أن فيها من الخلل والخطل، ما يجعلها تعد مكيدة بدل أن تكون نصيحة..

الأمر الذي يدعو ذلك الناصح إلى التحفظ عن الجهر بأي شيء يدور في خلده، لكي لا يواجه الإتهام الذي يصل إلى حد المخالفة، والعداء والمنابذة..

إنه «عليه السلام» يصف لهم حالهم معه، وحاله معهم، لكي يراجعوا أنفسهم، ويعرفوا خطأهم، لكي لا يقعوا فيه مرة أخرى..

وهذا أيضاً من عظيم شفقته عليهم، وحبه الخير لهم، ومن الرفق بهم.. وليس للتشفي، والإنتقام. والتأنيب بقواذع القول، وقوارع الكلام.

وهو يعطينا: أن على القائد أن يتوخى أفضل ما يقدر عليه من أساليب تربوية تناسب حال من يتعامل معهم، ويريد أن يصلح حالهم..

الفصل الخامس:

راسلهم
إلى أن قتلوا رسوله..

كتاب علي × لأهل النهروان:

1 - روى البلاذري عن أبي مجلز: أن علياً «عليه السلام» بعث إلى الخوارج: أن سيروا إلى حيث شئتم، ولا تفسدوا في الأرض؛ فإني غير هائجكم ما لم تحدثوا حدثاً.

فساروا حتى أتوا النهروان، وأجمع علي على إتيان صفين، وبلغ [ذلك] معاوية، فسار حتى أتى صفين.

وكتب علي إلى الخوارج - بالنهروان -:

«أما بعد.. فقد جاءكم ما كنتم تريدون، قد تفرّق الحكمان على غير حكومة ولا اتفاق، فارجعوا إلى ما كنتم عليه، فإني أريد المسير إلى الشام».

فأجابوه:

إنه لا يجوز لنا أن نتخذك إماماً وقد كفرت، حتى تشهد على نفسك بالكفر، وتتوب كما تبنا، فإنك لم تغضب لله، إنما غضبت

لنفسك.

فلما قرأ جواب كتابه إليهم يئس منهم، فرأى أن يمضي من معسكره بالنخيلة، وقد كان عسكر بها حين جاء خبر الحكمين [ليسير] إلى الشام، وكتب إلى أهل البصرة في النهوض معه(1).

2 ـ عن عبد الملك بن أبي حرة قال: كتب [علي «عليه السلام»] إلى الخوارج بالنهر:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين، وعبد الله بن وهب، ومن معهما من الناس.

أما بعد، فإن هذين الرجلين اللذين ارتضينا حكمهما قد خالفا كتاب الله، واتبعا أهواءهما بغير هدى من الله، فلم يعملا بالسنة، ولم ينفذا للقرآن حكما، فبرئ الله ورسوله منهما والمؤمنون، فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا؛ فإنَّا سائرون إلى عدونا وعدوكم، ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه. والسلام.

وكتبوا إليه:

أما بعد، فإنك لم تغضب لربك، إنما غضبت لنفسك، فإن شهدت

---

(1) أنساب الأشراف ج3 ص141 و (ط الأعلمي سنة 1394هـ) ص367 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص351 ونهج السعادة ج2 ص358 و و 367 وج5 ص372.

على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نابذناك على سواء، إن الله لا يحب الخائنين.

فلما قرأ كتابهم أيس منهم، فرأى أن يدعهم ويمضي بالناس إلى أهل الشام حتى يلقاهم فيناجزهم[1].

وقال البلاذري: روي: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» كتب إلى الخوارج:

أما بعد.. فإني أذكركم الله أن تكونوا من الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً بعد أن أخذ الله ميثاقكم على الجماعة، وألَّف بين قلوبكم على الطاعة، وأن تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات[2].

ونقول:

---

(1) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص350 عن: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص77 و 78 و (ط الأعلمي) ج4 ص57 والكامل في التاريخ ج2 ص401 و (ط دار صادر) ج3 ص338 و 339 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص520 والأخبار الطوال ص206 نحوه، وراجع: البداية والنهاية ج7 ص287 والإمامة والسياسة ج1 ص123 وجمهرة رسائل العرب ج1 ص503.

(2) أنساب الأشراف ج2 ص144 و (ط الأعلمي سنة 1394هـ) ص370 ونهج السعادة ج2 ص377 وج5 ص153.

حريات وحقوق مشروطة:

تقدم عن البلاذري:

أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال للخوارج : سيروا إلى حيث شئتم، ولا تفسدوا في الأرض إلخ..

وهذا يعطي:

أولاً: أن للناس، كل الناس، حتى الذين يخالفون الحاكم في الولاء، الحق في اختيار المكان الذي يريدون للسكنى أو العمل، أو للنزهة، أو لأي عمل آخر، شرط أن لا يكون عملاً إفسادياً.

ثانياً: إن لهم كل الحرية في الحركة والإنتقال، والوصول إلى أي مكان يحبون الوصول إليه.. شرط أن لا يفسدوا في الأرض أيضاً.

ثالثاً: إن لهم حق العيش بأمان، فلا يجوز التعرض لهم، ولا إهاجتهم، وليس هذا حقاً مشروطاً بالولاء والتسليم، بل هو مشروط بعدم التمرد، وأن لا يحدثوا حدثاً، ولا يثيروا فتنة.

وهذا يظهر الفرق الشاسع بين حكومة علي وأهل الحق، وحكومة غيرهم، فإن الذي نعهده من الحكومات التي ليست في خط أهل البيت «عليهم السلام» هو البطش بكل من يخالف الحكم علناً، والسعي لقهره، ومصادرة حرياته، وحرمانه من حقوقه.

وإن كان لا يواليهم، ولم يعلن مخالفته، فإنهم يحاولون حرمانه من الإمتيازات، والتضييق عليه، وإرباكه في حياته، ووضع العراقيل أمامه ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً..

الحكمان لم يحكما:

وجاء في رواية البلاذري المتقدمة: أنه «عليه السلام» قال للخوارج: إن المحذور الذي زعموا أنهم خافوا أن يقع منه، لم يحصل، لأن الحكمين اختلفا، ولم يتفقا، فلم يصدرا حكماً لكي يجعلوا فيه ذريعة لتكفيره، كما أن المدة التي ضربت للهدنة قد انقضت، فلم يعد هناك مانع من حرب القاسطين..

فلاحظ: أنه «عليه السلام» قد تجاهل الحديث عن الذي فرض التحكيم بالقوة، ربما لكي لا يثير شعورهم بضرورة الدفاع عن أنفسهم، بإلقاء اللائمة على غيرهم ولو زوراً.. وهذا من مفردات رفقه «عليه السلام» بهم، وتيسير التراجع عن الخطأ عليهم.

ولكن سفاهة هؤلاء القوم قد أمعنت في سوقهم نحو الغي والشقاء، وقد تجلى ذلك في إصرارهم على منابذته «عليه السلام»، حين قالوا له: لا يجوز لنا أن نتخذك إماماً وقد كفرت إلخ..

وهذا الكلام لا يعبأ به..

فأولاً: إن إمامته «عليه السلام» ليست مجعولة منهم، وإنما هي بنص من الله سبحانه وتعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله».. كما في قوله تعالى: **(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)(1)**. وكما في حديث: «من كنت

(1) الآية 55 من سورة المائدة.

مولاه فهذا علي مولاه»، وحديث: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»، وحديث البيعة في يوم الغدير، وغير ذلك..

ثانياً: إنه «عليه السلام» لم يرض بالتحكيم إلا مكرهاً، وبعد التهديد بالقتل، أو التسليم إلى معاوية يداً بيد، فما معنى نسبه الكفر إليه، أو أن يقر بالكفر، لأجل كفر غيره، ثم يطالب بالتوبة من ذنب لم يصدر منه، بل صدر منهم؟!

ثالثاً: من أين علموا أنه «عليه السلام» لم يغضب لله، وإنما غضب لنفسه؟! هل أطلعهم الله تعالى على غيبه، أو هل كشف الله تعالى لهم عن مكنونات قلبه «عليه السلام»؟!

رابعاً: إنه «عليه السلام» قد اشترط على الحكمين أن لا يحكما برأيهما، ولا يتبعا أهواءهما. بل طلب منهما أن يستخرجا حكم الله من الكتاب والسنة..

وقد عصى الحكمان، فما ذنبه هو «عليه السلام»؟!

الإستنفار لحرب معاوية:

وقالوا:

1 - ثم سار «عليه السلام» بالناس حتى عسكر بالنخيلة، وقال لأصحابه: «تأهبوا للمسير إلى أهل الشام، فإني كاتب إلى جميع إخوانكم ليقدموا عليكم، فإذا وافوا شخصنا إن شاء الله».

ثم كتب كتابه إلى جميع عماله: أن يخلفوا خلفاءهم على أعمالهم،

ويقدموا عليه(1).

2 - وروى الطبري عن جبر بن نوف: أن علياً لما نزل بالنخيلة وأيس من الخوارج، قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، فإنه من ترك الجهاد في الله وأدهن في أمره كان على شفا هلكة، إلا أن يتداركه الله بنعمة، فاتقوا الله، وقاتلوا من حاد الله، وحاول أن يطفئ نور الله.

قاتلوا الخاطئين الضالين، القاسطين المجرمين، الذين ليسوا بقراء للقرآن، ولا فقهاء في الدين، ولا علماء في التأويل، ولا لهذا الأمر بأهل سابقة في الإسلام.

والله، لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل؛ تيسروا، وتهيؤوا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب.

وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم، فإذا قدموا فاجتمعتم شخصنا إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكتب علي إلى عبد الله بن عباس ـ مع عتبة بن الأخنس بن قيس من بني سعد بن بكر ـ:

أما بعد، فإنَّا قد خرجنا إلى معسكرنا بالنخيلة، وقد أجمعنا على

---

(1) الأخبار الطوال ص206 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص352 عنه.

المسير إلى عدونا من أهل المغرب، فاشخص بالناس[1] حتى يأتيك رسولي، وأقم حتى يأتيك أمري. والسلام[2].

3 ـ فلما قدم عليه الكتاب قرأه على الناس، وأمرهم بالشخوص مع الأحنف بن قيس، فشخص معه منهم ألف وخمسمائة رجل، فاستقلَّهم عبد الله بن عباس، فقام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد يا أهل البصرة.. فإنه جاءني أمر أمير المؤمنين يأمرني بإشخاصكم، فأمرتكم بالنفير إليه مع الأحنف بن قيس، ولم يشخص معه منكم إلا ألف وخمسمائة، وأنتم ستون ألفاً سوى أبنائكم، وعبدانكم، ومواليكم..

ألا انفروا مع جارية بن قدامة السعدي، ولا يجعلن رجل على نفسه سبيلاً، فإني موقع بكل من وجدته متخلفاً عن مكتبه، عاصياً

(1) المراد: أشخص الناس حين يأتيك رسولي.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص78 و (ط الأعلمي) ج4 ص57 والكامل في التاريخ ج2 ص401 و (ط صادر) ج3 ص339 و 340 وراجع: الأخبار الطوال ص206 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج3 ص284 و 285 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص522 و 523 وراجع: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ق1 ص181والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص124 و(تحقيق الشيري) ج1 ص164 و (ط أخرى) ج1 ص144 و 145.

لإمامه، وقد أمرت أبا الأسود الدؤلي بحشركم، فلا يلم رجل جعل السبيل على نفسه إلا نفسه.

فخرج جارية فعسكر، وخرج أبو الأسود فحشر الناس، فاجتمع إلى جارية ألف وسبعمائة، ثم أقبل حتى وافاه علي بالنخيلة، فلم يزل بالنخيلة حتى وافاه هذان الجيشان من البصرة، وهم ثلاثة آلاف ومائتا رجل.

فجمع إليه رؤوس أهل الكوفة، ورؤوس الأسباع، ورؤوس القبائل، ووجوه الناس، وطلب منهم أن يكتب له رئيس كل قوم ما في عشيرته من المقاتلة، وأبناء المقاتلة الذين أدركوا القتال، وعبدانهم، وعشيرتهم، ومواليهم، ثم يرفعون ذلك إليه.

فرفعوا إليه أربعين ألف مقاتل، وسبعة عشر ألفاً من أبنائهم الذين بلغوا القتال، وثمانية آلاف من مواليهم وعبدانهم(1).

نبدأ بقتال الخوارج:

4 ـ قالوا: وبلغ علياً أن الناس يقولون: لو سار بنا إلى هذه الحرورية فبدأنا بهم، فإذا فرغنا منهم وجهنا من وجهنا ذلك إلى المحلين.

---

(1) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص78 - 80 و (ط الأعلمي) ج4 ص58 و 59 والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص124 و 125 و (تحقيق الشيري) ج1 ص164 و 165 و (ط أخرى) ج1 ص145.

فقام في الناس [أهل الكوفة]، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، فإنه قد بلغني قولكم: لو أن أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت عليه فبدأنا بهم، فإذا فرغنا منهم وجهنا إلى المحلين.

ألا إن غير هذه الخارجة أهم على أمير المؤمنين، فدعوا ذكرهم، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين ملوكاً، ويتخذوا عباد الله خولاً.

قال: فتنادى الناس من كل جانب: سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت(1).

[قال: فقام إليه صيفي بن فسيل الشيباني، فقال:]

فنحن حزبك وأنصارك؛ نعادي من عاداك، ونشايع من أناب إليك وإلى طاعتك، فسر بنا إلى عدوك كائناً من كان، فإنك لن تؤتى من قلة ولا ضعف.

[وقام إليه محرز بن شهاب التميمي، فقال:] فإن قلوب شيعتك

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص80 و (ط الأعلمي) ج4 ص59 والكامل في التاريخ ج2 ص402 و (ط دار صادر) ج3 ص341 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص353 و 354 والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص125 و (تحقيق الشيري) ج1 ص166 و (ط أخرى) ج1 ص145 ونهج السعادة ج2 ص363.

كقلب رجل واحد في الإجتماع على نصرتك، والجد في جهاد عدوك، فأبشر يا أمير المؤمنين بالنصر، وأشخص إلى أي الفريقين أحببت، فإنا شيعتك التي ترجو في طاعتك وجهاد من خالفك صالح الثواب من الله، تخاف من الله في خذلانك. والتخلفُ عنك شديد الوبال.

فبايعوه على التسليم والرضا، وشرط عليهم كتاب الله وسنة رسوله «صلى الله عليه وآله»(1).

5 ـ وقالوا أيضاً: نزل علي الأنبار، والتأمت إليه العساكر، فخطب الناس، وحرضهم على الجهاد، وقال:

سيروا إلى قتلة المهاجرين والأنصار قدماً؛ فإنهم طالما سعوا في إطفاء نور الله، وحرضوا على قتال رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومن معه.

ألا إن رسول الله أمرني بقتال القاسطين؛ وهم هؤلاء الذين سرنا إليهم، والناكثين؛ وهم هؤلاء الذين فرغنا منهم، والمارقين؛ ولم نلقهم بعد.

فسيروا إلى القاسطين؛ فهم أهم علينا من الخوارج، سيروا إلى

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص80 و 81 و (ط الأعلمي) ج4 ص59 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص354 والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص125 و (تحقيق الشيري) ج1 ص166 ونهج السعادة ج2 ص363.

قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين، يتخذهم الناس أرباباً، ويتخذون عباد الله خولاً، ومالهم دولاً.

فأبوا إلا أن يبدؤوا بالخوارج، فسار علي إليهم[1].

6 - روى أحمد، عن زيد بن وهب قال: لما خرجت الخوارج بالنهروان قام علي «رضي الله عنه» في أصحابه، فقال: إن هؤلاء القوم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا في سرح الناس، وهم أقرب العدو إليكم وإن تسيروا إلى عدوكم، أنا أخاف أن يخلفكم هؤلاء في أعقابكم[2].

(1) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص353 عن مروج الذهب ج2 ص415 ونهج السعادة ج2 ص365 وميزان الحكمة ج1 ص733 والدر النظيم ص369 والنصائح الكافية ص46.

(2) مسند أحمد (ط دار صادر) ج1 ص91 و 92 و (ط أخرى) ج1 ص198 حديث رقم 706 وراجع: المصنف للصنعاني ج10 ص148 وفي هامشه عن المصادر التالية: مسلم ج1 ص343 و (ط دار الفكر) ج3 ص115 وفرائد السمطين ج1 ص276 و 116 وعن الطبقات الكبرى لابن سعد ج4 ق2 ص36 والسنن الكبرى للبيهقي ج8 ص170 وتيسير المطالب في أمالي الإمام علي بن أبي طالب ص35 وكنز العمال ج11 ص271 و 280 و (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص294 عن البيهقي، ومسلم، وعبد الرزاق، وخشيش، وأبي عوانة، وابن أبي عاصم. وراجع: الرياض النضرة ج3 ص225 ونزل الأبرار ص60 وسنن أبي داود ج2 ص429 والسنن الكبرى للنسائي ج5 ص164 ومطالب السؤول ص144 ومنتخب

ونقول:

علينا أن نشير هنا إلى ما يلي:

قتال القاسطين أولى:

يلاحظ: أنه «عليه السلام» حين يئس من الخوارج صرف نظره عنهم، وكتب إلى عماله ليوافوه، ودعا الناس للنفر إلى حرب معاوية وأهل الشام.. وصرح: بأن قتال أهل الشام أهم عنده من قتال الخوارج.

ولا نظن، ولا نحتمل أنه «عليه السلام» فعل ذلك على سبيل التجاهل المتعمد الهادف للتأثير على الناس، ليكونوا هم الذين يطلبون الخروج إلى حرب الخوارج، لأنهم أهل بلادهم وأبناؤهم، ولا يريد أن تأتي الدعوة منه إلى قتالهم، لأن ذلك سيكون صعباً عليهم.

نعم، لا نظن، بل الأحرى لا نحتمل ولا نتوهم ذلك، بل نقول:

بالإضافة إلى أن أمير المؤمنين «عليه السلام» لا يمكن أن يستعمل أساليب ملتوية في تعامله مع الناس، فإن من أهم الميزات التي يجب أن تتوفر في القائد والحاكم، هي ميزة تحديد الأولويات العملية

كنز العمال (مطبوع بهامش مسند أحمد) ج5 ص429 ونظم درر السمطين ص116 ومجمع الزوائد ج6ص238 وكفاية الطالب ص177 والبداية والنهاية ج7ص291 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص321 وراجع: نيل الأوطار ج7 ص338.

بصورة دقيقة، لأن أي خلل في هذا الأمر قد يعرض الأمة لانتكاسة خطيرة يصعب تداركها..

وقد كانت الأولوية الواضحة لدى أمير المؤمنين «عليه السلام» هي صيانة الدين قبل كل شيء، من أن يتعرض للتحريف أو التزييف على أيدي أناس يعرف أن هذا ما يسعون إليه، ويعولون في سياساتهم عليه، فإنه «عليه السلام» يرى أن الدين ليس ملكاً للأفراد ولا للجماعات، ولا حتى لأهل عصر بعينه، بل للبشرية جمعاء، مهما أوغلت في أعماق الأحقاب المتوالية، وإلى يوم القيامة..

كما أنه «عليه السلام»، كان يعرف: أن ثمة فرقاً شاسعاً بين أفراد أو جماعات من الجهلة والأغبياء، وقاصري النظر، الذين تكون لهم طموحات متواضعة ومحدودة، ولا يفكرون إلا بصغائر الأمور، فيقاتلون على السوط أو على العلف يؤخذ منهم أشد قتال.. وبين أناس يحملون للأمة مشروع ضلال، وانحراف يلامس جوهر الدين، ويُعنى بالعبث بحقائقه، وعقائده، ومرتكزاته وأساسياته.. بل إن محط نظرهم، ومرتكز جهدهم هو المحادة لله، والعمل على إطفاء نوره. ليكونوا ملوكاً جبارين، وليقدموا أنفسهم للناس على أنهم أرباب من دون الله، فتكون آراءهم شريعة للناس، وأهواؤهم المضلة ديناً، ولتصبح شبهاتهم وضلالاتهم بنظر الناس هي الحق والصدق، وترهاتهم وانحرافاتهم منهج حياة، وسبيل نجاة.

إن مشروع هؤلاء هو الأشر والأضر، والأخطر والأمر، لأنه

منسجم ومتناغم مع أهواء الناس وشهواتهم، وهو يحمل معه لهم أعظم المغريات، ومنها: المال، والجاه، والسلطان، والإمكانات العسكرية، وقوة المكر، والغدر والحيلة، والخيانة، والترهات والشبهات، وما إلى ذلك.

إن هؤلاء يقاتلون الأنبياء والأوصياء، ويقتلونهم، وكل من معهم من الأخيار والعلماء الأبرار، كيما يكونوا في الأرض جبارين ملوكاً، ويتخذهم المؤمنون أرباباً، ويتخذون عباد الله خولاً، ومال الله دولاً.

فهم بمثابة الوباء الذي ينتشر بسرعة، وينتقل من جيل إلى جيل، ويتجذر ويبقى، ويسكن ويستقر في النفوس، ويتشبث بالقلوب، ويستولى ويهيمن على المشاعر والأحاسيس، ويقدم نفسه على أنه البديل عن الحق والدين، وعن شريعة سيد المرسلين..

وهذه هي أطروحة القاسطين، وهذا هو مكمن الخطر فيها..

أما الخوارج، فهم أحقر وأذل، وخطرهم أصغر وأقل من أن يصل إلى هذا الحد، بل قصارى ما عندهم هو إلحاق الأذى بأشخاص، أو بطائفة من الناس. ثم يتحول هذا الأذى ليصبح سوطاً تجلد به ظهور الذين تسببوا به، ويصير بمثابة اللعنة التي تلاحقهم أينما كانوا، وحيثما وجدوا، لكي ينفر الناس منهم، ويبتعدوا عنهم، ويؤلبهم عليهم.

وقد كان لا بد لأمير المؤمنين «عليه السلام» من أن يعمل على رفع مستوى الوعي لدى الناس، لكي يدركوا خطر أولئك وهؤلاء، ويوازنوا بين الخطرين، ثم يكونون هم الذين يختارون ما يفعلون..

فإذا اختاروا البدء بالتخلص من الخطر الأصغر، فلا بد من أن يستعدوا لتقديم المبررات التي خولتهم ذلك، وسيسألهم وجدانهم، قبل أن يقفوا بين يدي الله عن سبب تقديمهم الجهاد الأصغرعلى الأكبر؟! وكيف استجازوا إعطاء الفرصة، وإفساح المجال للخطر الأكبر المعدي، والمهلك للأمة، وللأجيال كلها، لكي يواصل فتكه بالدين وبالأمة، وتلهَّوا بمعالجة خطر ضئيل الحجم، ضعيف الجسم، لا يستطيع إلا أن يؤذي أفراداً، ثم يؤول إلى التلاشي والإندثار، فبماذا ستجيبون؟! وكيف تصنعون؟!

تهديدات ابن عباس للناس:

وتقدم: أن ابن عباس قد تهدد الناس: بأنه مُوْقِعٌ بكل من تخلف عن الخروج مع جارية بن قدامة ، فلا يلومن رجل جعل السبيل على نفسه إلا نفسه..

فكيف جاز لابن عباس أن يجبر الناس على النَّفر للقتال؟! وما الفرق بينه وبين غيره من حكام الجور الذين يجبرون الناس على حمل السلاح، وتنفيذ ما يطلبونه منهم؟!

وهل كان علي «عليه السلام» يعلم بهذا التصرف من عامله؟! وإذا كان قد علم به، هل رضيه؟! أم اعترض عليه ؟!

ونجيب:

أولاً: إنه «عليه السلام» إمام حق منصوب من قبل الله ورسوله، حسبما ذكرناه مرات عديدة، ثم إن له في عنق جميع الناس بيعة،

وعهد أعطوه له: بأن ينصروه إن احتاج إلى النصر..

وهو هنا قد احتاج إلى النصر، لا لدفع عدوه هو عن نفسه، بل لدفع عدوهم عنهم. وهذا واجب عليهم، من جهة أنه عدوهم، ومن جهة الوفاء ببيعتهم وعهدهم، ومن جهة أنه «عليه السلام» إمامهم الواجب الطاعة، المنصوب من قبل الله، ورسوله.

ثانياً: إن هؤلاء المسجلين في ديوان الجيش، ويأخذون العطاء من بيت المال إنما يعطون هذا المال مقابل قيامهم بهذا الواجب، فهل يمكن لهم أن يتخلفوا عن أداء مهمة كانوا وما زالوا يأخذون الأموال في مقابل قيامهم بها؟!

هل رواية أحمد مكذوبة؟!:

وبعدما تقدم نقول:

ليس لنا أن نتوهم: أن رواية أحمد بن حنبل المتقدمة برقم [6] مكذوبة، إذ سيأتي: أنه بعد أن رفض أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» السير إلى حرب معاوية أولاً، وآثروا التخلص من الخوارج، لأنهم خافوا منهم على أهلهم وذراريهم وأموالهم.. لم يجد «عليه السلام» الهمة الكافية منهم للنفر إليهم، فخطبهم عدة مرات يحرضهم على ذلك.

فلعل رواية أحمد قد جاءت لتؤكد هذا السياق.. أي أنها إنما تتحدث عما جرى بعد أن تقرر البدء بحرب الخوارج، وبعد تباطؤ الناس في الخروج إليهم..

الشهيد الحارث بن مرة:

قالوا:

بلغ علياً «عليه السلام» ومن معه من المسلمين ما فعله الخوارج، من قتل ثلاث نسوة من طيء، وقتل أم سنان الصيداوية، ومِن قَتْلِهِم عبد الله بن خباب واعتراضهم الناس، بعث «عليه السلام» إليهم الحارث بن مرة العبدي ليأتيهم، فينظر فيما بلغه عنهم، ويكتب به إليه على وجهه، ولا يكتمه.

فخرج حتى انتهى إلى النهر ليسائلهم، فخرج القوم إليه فقتلوه.

وأتى الخبر أمير المؤمنين والناس، فقام إليه الناس، فقالوا: يا أمير المؤمنين! علام تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا؟! سر بنا إلى القوم، فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام.

وقام إليه الأشعث بن قيس الكندي، فكلمه بمثل ذلك، وكان الناس يرون أن الأشعث يرى رأيهم؛ لأنه كان يقول يوم صفين: أنصفنا قوم يدعون إلى كتاب الله. فلما أمر علياً بالمسير إليهم علم الناس أنه لم يكن يرى رأيهم.

فأجمع على ذلك، فنادى بالرحيل(1).

---

(1) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص355 و 356 عن: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص82 و (ط الأعلمي) ج4 ص61 والكامل في التاريخ ج2

ونقول:

الفساد في الأرض:

صرح هذا النص: بأن الشكاوى من الخوارج التي وصلت إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» لم تقتصر على مجرد الشكوى من قتل ابن خباب والنسوة اللواتي قتلن.. بل تعدتها إلى الشكوى من اعتراضهم الناس أيضاً.. الأمر الذي يعني إخافتهم السبيل، وانعدام الأمن.. فأصبحوا بذلك مصداقاً للمفسدين في الأرض، الذين تجب المبادرة إلى ردعهم، ومجازاتهم بما يستحقونه..

ولو أن الأمر اقتصر على مجرد القتل، فربما كان المتوقع منه «عليه السلام» هو التريث لمعرفة الأسباب، إذ لعل لذلك أسباباً من شأنها التخفيف من حجم الجريمة، كأن يكون القتل خطأً، أو دفاعاً عن النفس. أو ما إلى ذلك.

ولكن الأمر قد تعدى ذلك حتى أصبح ظاهرة لها عنوان عام، وهو اعتراض الناس، وهو يدل على أن العدوان من طرف واحد،

ص403 و (ط دار صادر) ج3 ص341 وأنساب الأشراف ج2 ص368 والإمامة والسياسة ج1 ص168 كلاهما نحوه، وراجع: الأخبار الطوال ص207 والبداية والنهاية ج7 ص288 والفخري في الآداب السلطانية ص94 والفصول المهمة (ط النجف) ص90 و 91 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ق2 ص180.

وأنه ليس له مبرر من قبل الأطراف الذين يقع العدوان عليهم.

لا بد من التأكد:

واللافت هنا: أنه «عليه السلام» لم يكتف بما سمعه من الناس بهذا الخصوص. بل بادر إلى البحث والتقصي..

وقد لاحظنا في هذه المبادرة أموراً يحسن الوقوف عندها، وهي التالية:

أولاً: إن هذه المبادرة إحسان للخوارج أنفسهم، وإنصاف لهم، حيث لم يكتف «عليه السلام» بالصورة التي كانت قد تكونت لديه عنهم بسبب ممارساتهم التي جعلته يتعرف على طبائعهم، وعلى جهلهم وجفائهم: ولم يعتمد على ما عرفه عن مبلغ تفكيرهم. بل جعل نفس الحدث والحركات والتصرفات الواقعية التي صدرت عنهم هي المعيار والميزان. والمنطلق لأي تصرف أو موقف يتخذه..

ثانياً: إنه «عليه السلام» لم يرسل إليهم من يأمرهم بالحضور عنده، ولم يطلب منهم إرسال بعضهم إليه ليسأله عما جرى.. فلعل مانعاً يمنعهم من إجابة طلبه، حتى لو كان هو الإستكبار والإستنكاف عن الإعتراف بشرعية حكومته. وعن التعامل معه من موقع الحاكمية..

ثالثاً: إنه «عليه السلام» لم يكتف بشهادات الناس ضد الخوارج، ولم يجعل من وجود القتلى شاهداً كافياً لإدانتهم، كما أنه «عليه السلام» لم يرسل مبعوثه إلى الأطراف الأخرى، ليستوضح منها

حقيقة ما جرى، فلعل شهاداتهم كانت متحيزة أو مجتزأة، بل أرسله إلى الخوارج أنفسهم ليسمع منهم قبل كل أحد..

رابعاً: إنه ألزم مبعوثه بالبوح له بكل الحقيقة التي يجدها أمامه، وحذره من أن يكتم عنه شيئاً، لأنه يعرف أن عامل الخوف من الخوارج، وحب السلامة قد يدعوه إلى كتمان بعض ما يظن أنه يثير حفيظتهم ضده..

وهذا الأمر لا بد أن يأخذه «عليه السلام» بنظر الإعتبار، لأنه يؤثر على فهم الوقائع، وربما يؤدي إلى تضييع حقوق الناس، أو تغذية الإنحراف، وتشجيع الظالمين على مواصلة ظلمهم..

خامساً: لقد جاء قتل الخوارج لرسوله «عليه السلام» إليهم، الذي أراد «عليه السلام» أن يكون إرساله إليهم إنصافاً لهم، ورفقاً بهم ـ لقد جاء قتله ـ بمثابة الدليل القاطع الذي يحسم الأمر عند علي «عليه السلام» أولاً، ثم عند الناس ثانياً، فقد أدركوا حجم الخطر الذي يتهددهم من قبل هؤلاء الأغبياء. فبادروا بمطالبته «عليه السلام» بالبدء بهم.

الأشعث ليس من الخوارج:

وقد أظهر الأشعث حماسة في دعوته علياً «عليه السلام» إلى البدء بحرب الخوارج.. فدلّ بذلك على أنه لم يكن يرى رأيهم، بل كان يتاجر بهم، ويستفيد منهم في خدمة أغراضه، وفي التخفيف عن معاوية، الذي كان يرى أن الدنيا التي يحبها ويسعى إليها موجودة

عنده، وليست عند علي «عليه السلام»، ولا عند الخوارج، بل الذي عند الخوارج هو الطيش والرعونة، وقصر النظر، والموت الأحمر.

فإن كان الأشعث قد حث على المسير إلى حرب الخوارج، فهو صادق في ذلك، لأنه يسدي بذلك خدمة للقاسطين، حيث يكون قد أجّل مسير علي «عليه السلام» بجيشه إلى حربهم ولو لفترة من الوقت، ثم يكون لكل حادث حديث، ويكون لديه متسع من الوقت لبث سمومه، وتثبيط الناس عن المسير إلى الشام.

الفصل السادس:

الخطب الثلاث..

الرسول اليهودي لا يقتل:

وحين قتل الخوارج الحارث بن مرة العبدي، رسول علي «عليه السلام» إليهم، أرسل «عليه السلام» إليهم رسولاً من يهود السواد، (لكي لا يقتلوه، كما قتلوا رسوله المسلم)، فطلب إليهم أن يبعثوا إليه بقتلة إخوانه، ثم يتركهم إلى أن يفرغ من معاوية.

فبعثوا إليه: «كلنا قتلة أصحابك، وكلنا مستحل لدمائهم، مشتركون في قتلهم»**(1)**.

والظاهر: أن رسل علي «عليه السلام» إلى الخوارج كانوا كثيرين. ومنهم ابن عباس، وقد بقي ثلاثة أيام يناظرهم، والبراء بن عازب، وبقي يدعوهم ثلاثة أيام أيضاً**(2)**.

بالإضافة إلى صعصعة، وقيس بن سعد، وابن أبي عقب، وغيرهم.

---

(1) مروج الذهب ج2 ص405 والدر النظيم ص370 و 371.

(2) تاريخ بغداد ج1 ص177 و (ط دار الكتب العلمية) ج1 ص189.

ولا ندري من أين استقى الخوارج هذا الفقه الرائع والراقي الذي يستحل قتل المسلم، حتى لو كان رسولاً.. فإن كان إسلامه سبب حل قتله، فإن المفروض أن يكون إسلامه حاقناً لدمه، والإسلام لو كان موجباً لهدر الدم، فلماذا لا يقتل بعضهم بعضاً، وهم يعتقدون بأنهم مسلمون؟!

وإن كان كفره هو الذي أحل دمه، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان لا يقتل رسل المشركين، وهم كفار محاربون له، ساعون في هدم دينه، كما أن الذمي كافر أيضاً، فلماذا حقنوا دمه؟!

الحث على المسير للخوارج:

وبعد أن تقرر المسير إلى الخوارج في النهروان، وكانوا قد نزلوها في اثني عشر ألفاً ما بين فارس وراجل، نادى «عليه السلام» في الناس، فجمعهم في المسجد، فخطبهم ـ والنّص لابن أعثم ـ:

«فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس! إن الله عز وجل بعث محمداً «صلى الله عليه وآله» نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وشهيداً على هذه الأمة بالتحريم والتحليل، وأنتم يا معشر العرب إذ ذاك في شر دار، وعلى شر دين، يبيتون على حجارة خشن، وحيات صم، وشوك مهوب في البلاد، تشربون الأجاج، وتأكلون الخبيث [الجشب] من الطعام، سبلكم خائفة، والأنصاب فيكم منصوبة، **(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ**

مُشْرِكُونَ)[1]، فمنَّ الله عليكم بمحمد «صلى الله عليه وآله»، فبعثه إليكم رسولاً من أنفسكم.

وقال تبارك وتعالى: **(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)**[2] وقال عز وجل: **(لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)**[3].

فكنتم أنتم وهو رسوله إليكم، تعرفون حسبه ونسبه، وشرفه وفضله. وكان يتلو عليكم الآيات، ويأمركم بصلة الأرحام وحقن الدماء وإصلاح ذات البين، ونهاكم عن التظالم، والتغاشم، والتقاذف والتباهت، وأمركم بالمعروف ونهاكم عن المنكر، وكل خير يدني من الجنة ويبعد من النار فقد أمركم به، وكل شر يدني من النار فقد نهاكم عنه.

فلما استكمل «صلى الله عليه وآله» مدته توفاه الله إليه مشكوراً سعيه، مرضياً عمله، مغفوراً له ذنبه، كريماً عند الله نزله، فيا لها من مصيبة خصت وعمت المؤمنين، لم يصابوا بمثلها قبلها، ولا يعاينون بعدها مثلها.

---

(1) الآية 106 من سورة يوسف.

(2) الآية 2 من سورة الجمعة.

(3) الآية 164 من سورة آل عمران.

وبعد، فقد علمتم ما كان من هؤلاء القوم من الإقدام والجرأة على سفك الدماء، وهم قوم فسَّاق مرَّاق، عماة حفاة، يريدون فراقي وشقاقي، وفيهم من قد عضه بالأمس السلاح، ووجد ألم الجراح، فجدوا رحمكم الله، وخذوا آلة الحرب، فإني سائر إليهم إن شاء الله ولا قوة إلا بالله.

قال: ثم نزل عن المنبر، ولم يجبه إلا اليسير من أهل الكوفة، ودخل إلى منزله وغضب لذلك.

الخطبة الثانية لعلي ×:

قال ابن أعثم:

ثم خرج إلى الناس وخطبهم ثانياً.

قال: فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيتها الفئة المجتمعة أبدانهم، المتفرقة أديانهم [المختلفة أهواؤهم]! إنه والله ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح من قاساكم، كلامكم يوهن الصم الصلاب، وفعلكم يطمع فيه عدوكم، أنا أدعوكم إلى أمر فيه صلاحكم، والذب عن حريمكم، اعتراكم الفشل، وجبنتم بالعلل، ثم قلتم كيت وكيت، وذيت وذيت، أعاليل وأضاليل، وأقوال أباطيل..

ثم سألتموني التأخير، دفاع ذي الدين المطول، هيهات!! إنه لا ينفع الصم الدليل [لا يمنع (يدفع) الضيم الذليل]، ولا يدرك الحق إلا بالجد، فخبروني يا أهل العراق مع أي إمام بعدي تقاتلون؟! أم أية دار

تمنعون؟!

والذليل والله من نصرتموه، والمغرور من غررتموه، لقد أصبحت لا أطمع في نصركم، ولا أصدق قولكم [ولا أوعد العدوّ بكم]، فرق الله بيني وبينكم، وأبدلكم بي غيري، وأبدلني بكم من هو خير لي منكم.

أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وأثرة قبيحة، يتخذها الظالمون عليكم سنة، فتبكي عيونكم، ويدخل الفقر بيوتكم، وتتمنون في بعض حالاتكم أنكم رأيتموني فنصرتموني، وأرقتم دماءكم دوني، فلا يبعد الله إلا من قد ظلم.

يا أهل الكوفة! أعظكم فلا تتعظون، وأوقظكم من سنتكم فلا تنتبهون، إن من فاز بكم فقد فاز بالخيبة، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل.

أف لكم! لقد لقينا منكم ترحاً، يوماً أناديكم، ويوماً أناجيكم، فلا أحرار عند النداء، ولا إخوان صدق عند المصائب، فيا لله! ما ذا منيت به منكم، لقد منيت بصم لا يسمعون، وكمه لا يبصرون، وبكم لا يعقلون..

أما والله، لولا أني حين أمرتكم بأمري حملتكم على المكروه منه، فإن استقمتم هديتم، وإن أبيتم علي بدأت بكم وكانت الزلفى، ولكني تراخيت لكم وتوانيت عنكم، وتماديت في غفلتكم، فكنت أنا وأنتم كما قال الأول:

أمرتكم أمري بمنقطــع اللــوى فلـم تستبينوا الرشـد إلا ضــحى الغد

اللهم! إن دجلة والفرات نهران أصمان أبكمان، اللهم! فأرسل عليهما ماء يحرك وانزع منهم ماء نصرك، حبذا إخواني الصالحون! إن دعوا إلى الإسلام قبلوه أو قرأوا القرآن أحكموه، أو ندبوا إلى الجهاد طلبوه، فحقق اللهم لهم الثناء الحسن، واشوقاه إلى تلك الوجوه.

قال: ثم ذرفت عيناه، ونزل عن المنبر. وقام إليه نافع بن طريف فقال: إنا لله إلى ما صرت إليه يا أمير المؤمنين!

فقال علي: نعم.. **(إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)**[1] إلى ما صرت إليه، صرت إلى قوم إن أمرتهم خالفوني، وإن اتبعتهم تفرقوا عني، جعل الله لي منهم فرجاً عاجلاً.

قال: ثم وثب فدخل إلى منزله مغموماً، ودخل إليه جماعة من فرسان أصحابه فقالوا: يا أمير المؤمنين! لا يسؤك الله! ها نحن بين يديك، فسر بنا إلى أعداء الله إذا شئت لترى منا ما تحب.

قال: ثم تقدم إليه رجل من أصحابه، فقال: يا أمير المؤمنين! إن الناس قد ندموا على ما كان من تثبطهم، وقعودهم عن نصرتك، على أن الحظ في ذلك لهم، فلو عاودتهم بالخطبة لعلهم كانوا يرتدعون، ويرجعون إلى محبتك.

---

(1) الآية 156 من سورة البقرة.

قال: فلما كان من غد خرج علي «رضي الله عنه» حتى دخل المسجد الأعظم وهو غاص بأهله، وأصحابه متواترون.

الخطبة الثالثة:

قال: ثم صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس! ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقضت؟! وإلى بلادكم تغزى؟! وأنتم ذوو عدد جم، وشوكة شديدة؟! فما بالكم اليوم لله أبوكم؟! من أين تؤتون؟! ومن أين تسحرون؟! وأنى تؤفكون؟!

انتبهوا رحمكم الله، وأنبهوا نائمكم، وتجردوا لحرب عدوكم، فقد أبدت الدعوة عن التصريح، وقد أضاء الصبح لذي عينين، فاسمعوا قولي هداكم الله إذا قلت، وأطيعوا الله أمري إذا أمرت، فوالله لئن أطعتموني لم تغووا، وإن عصيتموني لن ترشدوا، وخذوا للحرب أهبتها، وأعدوا لها عدتها، واجمعوا آلتها، فقد شبت وأوقدت نارها، وتجرد لكم الفاسقون لكي يطفئوا نور الله بأفواههم ويغزوا عباد الله، فوالله إن لو لاقيتهم وحدي وهم أضعاف ما هم عليه لما كنت بالذي أخافهم ولا أهابهم، ولا أستوحش منهم. لأني من ضلالتهم، والحق الذي أنا عليه لعلى بصيرة ويقين، وإني إلى لقاء ربي مشتاق، ولحسن ثوابه منتظر.

وهذا القلب الذي ألقاهم به الذي لقيت به الكفار مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو القلب الذي لقيت به أهل الجمل وأهل صفين وليلة الهرير، فإذا أنا أنفرتكم فـ (**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا**

بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)(1).

ولا تثاقلوا إلى الأرض فيفروا بالحيف، فإن أخا الحرب من إن نام عنها لم تنم عيناه، ومن غفل أوذي، ومن ضعف ذل، ومن ترك الجهاد في الله كان المغبون المهين، اللهم اجمعنا على التقوى وجنبنا وإياهم البلوى، واجعل الآخرة لنا ولهم خيراً من الأولى.

قال: فلما فرغ من خطبته أجابه الناس سراعا، فاجتمع إليه أربعة آلاف رجل أو يزيدون.

قال: فخرج بهم من الكوفة وبين يدي[ـه] عدي بن حاتم الطائي يرفع صوته وهو يقول:

نسير إذا ما كاع قوم وبلدوا برايات صدق كالنسور الخوافق
إلى شر قوم من شراة تحزبوا وعادوا إله الناس رب المشارق
طغاة عماة مارقين عن الهدى وكل لعين قوله غير صادق
وفينا علي ذو المعالي يقودنا إليهم جهارا بالسيوف البوارق(2)

---

(1) الآية 156 من سورة البقرة.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج4 ص257 - 261 وراجع أقساماً من الخطبة الثانية، تطول وتقصر في المصادر التالية: البيان والتبيين ج2 ص54 والإمامة والسياسة ج1 ص150 و (تحقيق الزيني) ج1 ص130 و (تحقيق الشيري) ج1 ص171 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص117

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم عدة وقفات، نقتصر منها على ما يلي:

مضامين الخطبة الأولى:

لا نريد أن نرهق القارئ الكريم بشروح مستفيضة لما تضمنته خطبته «عليه السلام» في حث أصحابه على الخروج لحرب عدوهم، بل نكتفي بتسجيل إشارات يسيرة، ونترك ما عداه لفرصة أخرى نسأل الله تعالى تيسيرها.. وإلا فيبقى المجال مفتوحاً أمام أهل النظر، الذين يفوزون بهذا الشرف الباذخ، والعز الشامخ إن شاء الله تعالى.. فلاحظ الأمور التالية:

1 - إنه «عليه السلام» قد ضمَّن خطبته الأولى بياناً كافياً وشافياً لمعاناة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجهده في إقامة الدين في ذلك المجتمع الجاهلي، الفاقد لأي شيء من مقومات الحياة، والسبب في ذلك:

عن الكليني، ومطالب السؤل ص292 وأنساب الأشراف (ط الأعلمي سنة 1394هـ) ص381 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص355 وتاريخ مدينة دمشق ج1 ص321 ودعائم الإسلام ج1 ص391 وشرح الأخبار ج2 ص73 والإرشاد للمفيد ج1 ص273 والأمالي للطوسي ص180 وبحار الأنوار ج34 ص131 ج74 ص337 ونهج السعادة ج2 ص542 والمعيار والموازنة ص99 والعقد الفريد.

أولاً: أن يضعهم أمام القيمة الكبرى للإنجاز الذي تحقق على يد رسول الله «صلى الله عليه وآله». فلا يظنن أحد أن بالإمكان التنازل عنه، أو التفريط به، مهما بلغت الأثمان التي سوف يتكلفها المؤمنون، والصالحون.. ولن يبخلوا بالأموال، ولا بالأرواح، ولا بالأبناء، ولا بأي شيء في هذا السبيل.

ثانياً: إن نقل الأمة من الواقع المزري الذي وصفه «عليه السلام» إلى قمة الإنسانية حتى أنتجت أمثال: سلمان، وعمار، وأبي ذر، والمقداد، وأبي الهيثم، ونظرائهم يدل دلالة قاطعة على الرعاية الربانية، والتدخل الإلهي، والذي سدد وأيد، وأقام هذا البناء الشامخ وشيد، إن دل على شيء، فهو يدل على أنه لا يمكن أن يسمح لشرذمة من الجهلة الأغبياء، بإحباط جهود الأنبياء، وتضييع جهاد الأوصياء والأولياء..

النبي النذير، الأمين، الشهيد:

إنه «عليه السلام» بدأ كلامه عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالإشارة إلى أمور ثلاثة، هي:

1 ـ أن الله تعالى بعث رسوله محمداً «صلى الله عليه وآله» نذيراً للعالمين، ولم يشر إلى التبشير، ربما لأنه يريد أن يحذر الناس من تضييع جهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويضعهم أمام مسؤولياتهم.

ونحن نعلم: أنه من أجل حفظ جهود الأنبياء، وعدم التفريط

بشرع الله جاءت الشريعة بسلسلة من الأحكام العقابية الصارمة، لتضمن بها تحقيق الأهداف، وصيانة حريم الدين، وتدفع عدوان أهل الباطل على الحق وأهله..

2 - أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمين على التنزيل. فلا بد له من أداء الأمانة إلى أهلها، وأهلها هم البشرية كلها إلى يوم القيامة، فلا يمكن السماح لفئة قليلة من الناس بأن تعبث بهذه الأمانة وتضيعها..

3 - أنه «صلى الله عليه وآله» شهيد على الأمة بالتحريم والتحليل، وشهادته هذه تقضي بلزوم ضبط كل حركة، ومراقبة أي تصرف، والتدقيق في مطابقته لما أمر به النبي «صلى الله عليه وآله»، ونهى عنه، وهي تلك الأمور التي عددها «عليه السلام» في خطبته الأولى، بدءاً من قوله «عليه السلام»: ويأمركم بصلة الأرحام وحقن الدماء.. إلى قوله «عليه السلام»: وكل شر يدني من النار، فقد نهاكم عنه.

بعث إليكم رسولاً من أنفسكم:

وقد أكد «عليه السلام» في خطبته الأولى على أن هذا الرسول الذي حقق الله تعالى على يده هذا الإنجاز العظيم قد كان من هؤلاء الناس أنفسهم، ثم أكد أيضاً على معرفتهم بحسبه، ونسبه، وشرفه، وفضله..

ولا يوجد شيء مبهم عنده، مما يعني: أنه حائز على أقصى درجات الوثوق بسبب هذا الوضوح.

ولعل من أسباب هذا التأكيد على كونه منهم: أنه يريد أن يشعرهم بالعزة والكرامة، ويثير فيهم حمية الدفاع عن أمر لهم فيه حظ وافر، وأثر ظاهر، لأنهم هم بدأوه، وعليهم أن يحفظوه، لأنه منهم، ولهم به: المجد، والشرف، والكرامة، والعزة..

فلا معنى للتفريط به، أو للتخلي عنه، وكيف يمكن أن يرضوا بأن يعبث بهذا المجد الشامخ، والشرف الباذخ: «قوم فساق مراق، عماة جفاة» على حد تعبيره «عليه السلام».

وقد أكد «عليه السلام» ما قرره، من أن إنجاز الرسول كان مصدر عزتهم وكرامتهم بما بينه من أن موته «صلى الله عليه وآله» كان خسارة كبرى، ومصيبة عظمى دخلت على الناس عامة، وعلى المؤمنين خاصة.

نظرة في مضامين الخطبة الثانية:

ونختار من الخطبة الثانية المتقدمة بضع فقرات أيضاً، نلقي بعض الضوء عليها، لأن استقصاء الحديث في جميع فقراتها غير ميسور لنا في كتاب كهذا..

وقبل ذلك، نلفت نظر القارئ الكريم إلى أن النص المتقدم لهذه الخطبة إنما نقلناه عن الفتوح لابن أعثم.. والحال: أن كثيراً من فقرات

الخطبة مذكور في مصادر أخرى أيضاً(1).

كما أن بعض العلماء يرى: أن القسم الذي ورد في نهج البلاغة، الخطبة رقم [21] إنما هو جزء من خطبة الجهاد التي ذكرها الشريف الرضي «رحمه الله» في قسم الخطب برقم [27] حين بلغه أن خيلاً لمعاوية وردت الأنبار، فقتلوا عاملاً له يقال له: حسان بن حسان البكري(2).

ولسنا بصدد التحقيق في هذا الأمر، لعدم وجود دليل معتد به عليه يمكن الإستناد إليه.

إجتماع الأبدان لا يجدي:

لقد خاطب أمير المؤمنين «عليه السلام» أهل العراق بكلام عبَّر فيه عن عمق المشكلة التي كان يواجهها معهم. ولا سيما أهل الكوفة والبصرة وسوادهما.. فإن هذين البلدين قد مصرا في عهد عمر بن الخطاب، ليكونا معسكرين تجتمع فيهما الجيوش من سائر البلاد، ثم

---

(1) نهج البلاغة الخطبة رقم 29 والبيان والتبيين ج1 ص170 والإمامة والسياسة ج1 ص150 والعقد الفريد ج4 ص71 وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص380 ودعائم الإسلام ج1 ص391 ومنهاج البراعة ج4 ص21.

(2) منهاج البراعة ج4 ص21 عن المجلسي في بحار الأنوار، والإحتجاج للطبرسي، والإرشاد للمفيد.

تنطلق لغزو البلاد الشرقية، وغيرها..

فصار الناس يقصدون هذين البلدين، وينزلون فيهما وفي السواد القريب منهما، والبلاد المجاورة لهما. ثم يذهب المقاتلون للغزو كلما مست الحاجة، ثم يرجعون إلى عيالهم..

فكانوا هم الجند الذين يرتزقون من بيت المال من جهة، بالإضافة إلى الغنائم، والسبايا، والموالي، والتحف، والإقطاعات التي يحصلون عليها في الحروب وسواها..

ولأجل ذلك كان العراق قبلة للطامعين، ومحط أنظار الطالبين، وكانوا أيضاً خليطاً وأشواباً من الناس، ومن فئات شتى، ومن مستويات وبيئات مختلفة. كل منهم مهتم بمصالحه، لا تجمعه مع سائر من حوله رابطة يرى أنها ذات قيمة، أو لها أثر يذكر في حياته.

ولذلك قال لهم «عليه السلام»: «أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم». وهذه الحالة لا تعطي القوة للجماعة، بل هي تسهم في تفككها، وتفرق أجزاءها، وذهاب ريحها.. ولا تبقي منها إلا الضجيج والعجيج. ولكن الفعل الذي يتبعه لا يعدو كونه مبادرات أفراد، لا يجمعهم جامع، ولا يزعهم عن التفرق وازع.

وكان «عليه السلام» يعرف: أنه لو بذل لهم الأموال لاندفعوا إلى الحرب، ولكن هذه سنة سيئة تزيد من شراهتهم، وتفسد نواياهم، وتحولهم إلى عبَّاد مال ودينا، وتسلبهم الروحانية، وتجعل قلوبهم قاسية، وتنزع منها معنى الرحمة والشفقة وحب الفقراء، ومعونة

الضعفاء..

لذا كان التعامل معهم بهذه الطريقة مرفوضاً عند علي «عليه السلام»، لأنه تفريط بأموال الأمة، وإفساد لحياة الناس، ولقلوبهم.. ويزيد من أنانيتهم، ومن حبهم للدنيا، ويهيؤهم للفرار عند أول مواجهة للأخطار.

وهناك طريقة أخرى يمكن أن تخرجهم لقتال العدو، وهو أن يعاملهم بالعنف والقسوة، كما يعامل الحكام الظالمون رعاياهم..

وهذه الطريقة أيضاً كسابقتها مرفوضة عند علي «عليه السلام»، لأنه لا يرى صلاحهم بإفساد نفسه، ولا يمكن لعلي «عليه السلام» أن يطلب النصر بالجور، لأنه يرى أن للوسيلة قداستها كما للغاية.. فلا يمكن أن يفرط بهذه القداسة، باعتماد الوسائل الملتوية وغير المشروعة!!

لا يمنع الضيم الذليل:

وبعد أن ذكر «عليه السلام»: أن ما يدعوهم إليه، لا تعود فوائده عليه، بل هو منهم وإليهم، وبالرغم من توافر الدواعي لأن يجيبوا دعوته، مثل: أن الأمر تعود منفعته إليهم، وأنه هو ما تدعو إليه الحمية، لأنه يمثل ذبَّاً عن الحريم، ودفاعاً عن الشرف ـ نعم.. بالرغم من ذلك ـ فقد آثروا النكول والصدود، وصم الآذان عن هذه الدعوة، لا لشيء معقول ومقبول، سوى الفشل والجبن، الذي حاولوا تجنب نسبته إليهم بالتعلل بالأضاليل وترويج الأباطيل.

وسعوا إلى إبعاد شبح المواجهة عنهم بالمماطلة، وطلب تأخيرها، تماماً كما هو حال ذي الدَّين المَطُول، رجاء أن يتمكنوا من تلافي ما يحذرونه، والحصول على ما يرجونه..

ولكن هيهات، أن يتحقق لهم ذلك. فإن ثمة قاعدة تقول: «لا يمنع الضيم الذليل، ولا يدرك الحق إلا بالجد» كما تقدم.

وهي تعني:

أولاً: أن الحق السليب لا يسترد إلا بالقوة.

ثانياً: أن تحقيق القسط، ودفع الحيف والظلم، لا يكون إلا بالحديد الذي نزل مع الأنبياء، لأن الأنفة والشهامة، والشعور بالعزة الكرامة، تستتبع النهوض لمنع الضيم بقوة الحديد والسلاح.. فإن الذليل لا يمنع الضيم.. كما قال أمير المؤمنين «عليه السلام».

ثالثاً: إن الحق يؤخذ من المعتدين والظالمين، ولا يتوقع منهم أن يعطوه تكرماً، واختياراً منهم.. لأنهم إنما غصبوا حقوق الناس ليعيشوا بها، فإذا أوجبت موتهم، فإنهم سيتخلون عنها، ليبحثوا عن أي شيء آخر يحفظ لهم الحياة.

مع أي إمام، وعن أي دار تقاتلون؟!:

1 ـ ثم انتقل «عليه السلام» إلى تقرير قاعدة أخرى هامة جداً في الحياة، وهي من أعظم وأهم أسباب النهوض هو وجود الإمام المسدد، والعالم المؤيد، والذي له في عنقهم بيعة صحيحة، وقد نصبه الله

ورسوله إماماً لهم، ولا يعاملهم إلا بالعدل، ويسير بهم بسيرة رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولا يريد لهم إلا الخير والصلاح، والفلاح والنجاح، وهو أفضل الخلق بعد النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو ينظر إلى الغيب من ستر رقيق، وهو الإمام العابد والتقي الزاهد، والحكيم القائد.. والعضد والساعد. إلى غير ذلك من مآثر وفضائل، وسمات وشمائل.

فإذا لم يقاتلوا معه، ويحصلوا على السعادة والفوز في الدنيا والآخرة.. فمع أي إمام يقاتلون؟!

2 ـ وإذا لم يدافعوا عن دارهم، ووطنهم، وموضع عزهم، ومحل أمنهم، وعنوان شرفهم وكرامتهم، وهي ـ قبل ذلك وبعده ـ دار الإسلام الذي يجب عليهم نصره، ودفع الأعداء عنه ـ فعن أي دار يقاتلون؟!

وقد كتب عدي بن أرطأة إلى عمر بن عبد العزيز يخبره سوء طاعة أهل الكوفة، فوقع في كتابه: لا تطلب طاعة من خذل علياً، وكان إماماً مرضياً(1).

السقوط المريع:

وقد قرر «عليه السلام» أيضاً: أن هذه الأحوال التي يراها فيهم،

______

(1) بهج الصباغة ج1 ص505.

وأشار إليها هي الدليل القاطع على السقوط المريع والهائل الذي انتهت إليه حال هؤلاء، وهو تعامل مع أناس فاشلين مهزومين، استحقوا أن يقول لهم: «الذليل والله من نصرتموه، والمغرور من غررتموه».

وقد صور حاله مع هؤلاء الناس أدق تصوير. فإن من ينخدع بأحابيل، وأضاليل، وأباطيل هؤلاء الناس، هو الخاسر الأكبر، وهو وحده الذي يصح أن يوصف بأنه مخدوع، ولن يكون هو علي «عليه السلام»، لأنه أكيس وأكثر وعياً، وأجل قدراً، من أن ينخدع بمثل هذه الأضاليل والأباطيل..

كما أن من يعتمد على قوم هذه حالهم، ويعتبر نفسه أنه قد فاز بهم، فإنما فاز بالسهم الأخيب..

وهو السهم الذي يتحمل صاحبه جميع الخسائر والغرامات. ويقابله السهم الرابح، والسهم الذي لا نصيب له، ولا غرم عليه.

كما أن من رَمَى بهم رمى بسهم أفوق ناصل. أي مكسور الفوق، وهو مشقّ رأس السهم حيث يقع الوتر، والناصل هو السهم الذي خرج منه نصله، أعني حديدته..

الدفاع عن الدار، والوطن:

إنَّ تخلي الناس عن أوطانهم، وأرضهم، وبيوتهم أمر يأباه الناس ويرفضونه بكل وجودهم.. وقد جاء الإسلام ليؤكد قيمة وحرمة

الأوطان، ويعتبر: «حب الوطن من الإيمان»[1].

وقد روي عن علي «عليه السلام» أنه قال: «عمرت البلدان بحب الأوطان»[2].

وعنه «عليه السلام»: «من كرم المرء بكاؤه على ما مضى من زمانه، وحنينه إلى أوطانه»[3].

وقد استفاد فرعون «لعنه الله» من حقيقة تعلق الناس بأوطانهم وبأرضهم، فقد ادعى لبني إسرائيل: أن موسى «عليه السلام» ساحر، يريد أن يخرجهم من أرضهم بسحره، قال تعالى: **(يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ)**[4].

وللدلالة على قيمة الأرض قال تعالى على لسان بني إسرائيل:

---

(1) مستدرك سفينة البحار ج10 ص375 وميزان الحكمة ج4 ص3566 عن سفينة البحار ج8 ص525 و (ط أخرى) ج2 ص668 وأمل الآمل ج1 ص11.

(2) بحار الأنوار ج75 ص45 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج12 ص197 عنه، وتحف العقول ص207 وميزان الحكمة ج4 ص3566.

(3) كنز الفوائد ص34 وبحار الأنوار ج71 ص264 ومستدرك سفينة البحار ج1 ص72 وج10 ص375 وميزان الحكمة ج1 ص44 وج3 ص2684 وج4 ص3566 ونهج السعادة ج7 ص424 وأعلام الدين للديلمي ص179 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج20 ص274.

(4) الآية 110 من سورة الأعراف.

(قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا)(1).

وقال تعالى: **(لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)**(2).

وقال تعالى: **(وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا)**(3).

متى يتنبه الفاشلون؟!:

وقد دعا «عليه السلام» الله بأن يفرق بينه وبين هؤلاء القوم، ويبدلهم به غيره، ويبدله بهم خيراً منهم..

وليس هذا دعاء العاجز، بل هو دعاء الحريص على هداية قوم لم يعد من سبيل إلى هدايتهم إلا ما أشار إليه «صلوات الله وسلامه عليه» في دعائه..

فإنهم بعد أن حباهم الله بأعظم نعمة، بأن يسَّر لهم إماماً هو أفضل

---

(1) الآية 35 من سورة الشعراء، وراجع: الآية 110 من سورة الأعراف، والآية 63 من سورة طه، والآية 75 من سورة طه.

(2) الآيتان 8 و 9 من سورة الممتحنة.

(3) الآية 57 من سورة القصص.

مخلوقات الله بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فكفروا بهذه النعمة، وتمردوا على الله، وعصوا وليه، وملأوا قلبه قيحاً.. فلم يعد من سبيل إلى هدايتهم إلا أن يذوقوا طعم حكومة غير هذا الولي الذي هو علي «عليه السلام»، لكي يميزوا بصورة حسية بين حكومة المبطلين، وحكومة وصي رسول رب العالمين، لأنهم هم الذين اختاروا طريق التمرد والعصيان، وأطاعوا أولياء الشيطان، الذين يريدون أن يحكموا الناس بغرائزهم، وبأهوائهم، وبتسويلات نفوسهم.

وسرعان ما سيعرفون مدى الفرق بين حكومة العدل والرحمة، والبصيرة والحكمة، ومن هو أرأف بهم، وأكثر شفقة عليهم من أمهاتهم اللاتي ولدنهم، وحكومة أهل الدنيا، وأولياء الشيطان..

وقد أخبرهم «عليه السلام» بالحال التي سيكونون عليها في ظل حكومة أهل الباطل، حيث قال ـ حسبما تقدم ـ: أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وأثرة قبيحة، يتخذها الظالمون عليكم سنة، فتبكي عيونكم، ويدخل الفقر بيوتكم، وتتمنون في بعض حالاتكم أنكم رأيتموني فنصرتموني، وأرقتم دماءكم دوني إلخ..

وحسبنا ما ذكرناه حول ما اخترناه من الفقرات هذه الخطب الحافلة بأدق المعاني، وأروع التعاليم، وأنصع الحقائق. فإنه لم يكن غرضنا استقصاء ذلك، إنما أحببنا الإلمام بالميسور، والمقدور، ولم نرد أن نوقع أنفسنا في المعسور والمحذور.. والله من وراء القصد.

ألا ترون إلى بلادكم تغزى ؟!:

وقد ذكر النص المتقدم قول أمير المؤمنين «عليه السلام» في خطبته الثالثة: «ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقضت، وإلى بلادكم تغزى، وأنتم ذوو عدد جمّ، وشوكة شديدة»!

وهذا يدل على أن هذه الخطب الثلاث قد حصلت بعد أن بدأ معاوية يشن غاراته على أطراف علي «عليه السلام»، ويشير إلى ذلك أيضاً:

1 ـ ما نقله المعتزلي عن الكليني، من أنه «عليه السلام» استصرخ الناس عقيب غارة الضحاك على أطراف أعماله، فتقاعدوا، فخطبهم فقال: «ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم»[(1)].

وهذه الفقرة قد تقدمت في أوائل الخطبة الثانية..

2 ـ خطب الضحاك بن قيس على منبر الكوفة، وقال: أما إني

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص117 وراجع: الإرشاد ج1 ص273 والأمالي للطوسي ص180 ونهج السعادة ج2 ص540 وكنز العمال (ط مؤسسة الأعلمي) ج11 ص355 وتاريخ مدينة دمشق ج1 ص320 و 321 وأنساب الأشراف ج3 ص154 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص131.

صاحبكم الذي أغرت على بلادكم، فكنت أول من غزاها(1).

وقد ذكروا أنه غزا الكوفة في سنة 38 هـ.. وقد اختلفوا في تاريخ حرب النهروان، هل هو سنة 37، أو 38، أو 39.

ومهما يكن من أمر، فإننا نقول:

إن ذلك لا يمنع أن يكون هناك من سبق الضحاك في الإغارة على بعض البلاد القريبة من بلاد معاوية، وهو ما قصده «عليه السلام» بالفقرة المنقولة عنه آنفاً لكن الضحاك كان أول من وصل إلى قرب الكوفة.

وخلاصة الأمر هنا: هو أنه بعد أن جرى في دومة الجندل ما جرى، صار أمير المؤمنين «عليه السلام» يدعو الناس إلى المسير إلى الشام لحرب معاوية، فاستبق معاوية الأمور، وأرسل جرائد خيله للإغارة على أطراف علي «عليه السلام». والظاهر: أنه بدأ بالبلاد القريبة من بلاد الشام بهدف إحداث بلبلة وإرباك في صفوف أهل العراق تصعب على الناس إطاعته في الخروج لحرب أهل الشام، خوفاً من الإغارة على أهليهم في غيابهم..

---

(1) الغارات للثقفي ج2 ص436 و 437 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص120 و 121 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج11 ص303.

الفصل السابع:

كذب المنجمون.. ولو صدقوا..

علي × يكذب المنجمين:

1 - روى ابن ديزيل، قال: عزم علي «عليه السلام» على الخروج من الكوفة إلى الحرورية، وكان في أصحابه منجم، فقال له: يا أمير المؤمنين! لا تسر في هذه الساعة، وسر على ثلاث ساعات مضين من النهار، فإنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصحابك أذى وضر شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفر ت، وظهرت وأصبت ما طلبت.

فقال له علي «عليه السلام»: [كما في تذكرة الخواص: الله لا إله إلا هو، وعلى الله فليتوكل المؤمنون. قال الله لنبيه: **(قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ)**[1]. وسمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: من صدق منجماً، وكاهناً فكأنما كذب ما أنزل على

---

(1) الآية 188 من سورة الأعراف.

محمد.

وفي رواية: فقد كفر.

وسمعته يقول: إنما أخاف على أمتي اثنين: التصديق بالنجوم، والتكذيب بالقدر].

وفي نص آخر: أتدري ما في بطن فرسي هذه: أذكر هو أم أنثى؟!

قال: إن حسبت علمت.

فقال علي «عليه السلام»: من صدقك بهذا فقد كذب بالقرآن، قال الله تعالى: **(إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ)**(1).

ثم قال «عليه السلام»: إن محمداً «صلى الله عليه وآله» ما كان يدعى علم ما ادعيت علمه، أتزعم أنك تهدى إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها، وتصرف عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها؟!

فمن صدقك بهذا فقد استغنى عن الإستعانة بالله جل ذكره في صرف المكروه عنه.

وينبغي للموقن بأمرك أن يوليك الحمد دون الله جل جلاله، لأنك بزعمك هديته إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها، وصرفته

---

(1) الآية 34 من سورة لقمان.

عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها.

فمن آمن بك في هذا لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ضداً ونداً. اللهم لا طير إلا طيرك، ولا ضر إلا ضرك، ولا إله غيرك.

ثم قال «عليه السلام»: نخالف ونسير في الساعة التي نهيتنا عنها.

ثم أقبل «عليه السلام» على الناس، فقال: أيها الناس! إياكم والتعلم للنجوم إلا ما يهتدى به في ظلمات البر والبحر، إنما المنجم كالكاهن، والكاهن كالكافر، والكافر في النار.

أما والله لئن بلغني أنك تعمل بالنجوم [لأجلدنك حدَّ المفتري]، ولأخلدنك في السجن أبداً ما بقيت، ولأحرمنك العطاء ما كان لي من سلطان.

ثم سار في الساعة التي نهاه عنها المنجم، فظفر بأهل النهر وظهر عليهم.

ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجم لقال الناس: سار في الساعة التي أمر بها المنجم، فظفر وظهر.

أما إنه ما كان لمحمد «صلى الله عليه وآله» منجم، ولا لنا من بعده، حتى فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر.

أيها الناس! توكلوا على الله، وثقوا به، فإنه يكفي ممن سواه.

[وفي نص آخر: فثقوا بالله، واعلموا أن هذه النجوم مصابيح

جعلت زينة ورجوماً للشياطين، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، والمنجمون أضداد الرسل، يكذبون بما جاؤا به من عند الله، لا يرجعون إلى قرآن، ولا شرع، إنما يتسترون بالإسلام ظاهراً، ويستهزؤون بالنبيين باطناً، فهم الذين قال الله فيهم: **(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)**[1]»][2].

2 ـ وفي نص آخر:

أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء، والساعة التي من سار فيها حاق به الضر؟! من صدقك بهذا استغنى بقولك عن الإستعانة بالله عز وجل في ذلك الوجه، وأحوج إلى الرغبة إليك في دفع المكروه عنه، وينبغي له أن يوليك الحمد دون ربه عز وجل، فمن آمن لك بهذا فقد اتخذك من دون الله نداً وضداً.

ثم قال «عليه السلام»: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا ضير إلا ضيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك.

---

(1) الآية 106 من سورة يوسف.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص269 و 270 ومنهاج البراعة ج2 ص215 عنه، وراجع: الكامل في التاريخ ج3 ص343 وتذكرة الخواص ص158 وأنساب الأشراف ج2 ص368 وراجع: تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص61 حوادث سنة 37 وبحار الأنوار ج33 ص346 و 247 وج55 ص264 و 265 وبغية الباحث ص170 و 171 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج10 ص278 و 279.

ثم التفت إلى المنجم، فقال «عليه السلام»: بل نكذبك ونخالفك، ونسير في الساعة التي نهيت عنها[1].

3 - **وفي نص آخر:** أن المنجم هو مسافر بن عوف بن الأحمر، وأنه جاء إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقال له ذلك لما انصرف من الأنبار، أو الكوفة لقتال الخوارج.

4 - [وفي رواية: أن ابن أحمر قال لعلي «عليه السلام»: لا تسر في هذه الساعة!

قال: ولم؟!

قال: لأن القمر في العقرب.

فقال: قمرنا، أو قمرهم؟!][2].

5 - **وقال ابن جرير الطبري:** نادى علي «عليه السلام» بالرحيل إلى الخوارج، وخرج فعبر الجسر فصلى ركعتين بالقنطرة، ثم نزل دير عبد الرحمان، ثم دير أبي موسى، ثم أخذ على قرية شاهي، ثم

---

(1) الأمالي للصدوق المجلس64 ص338 ح16 و(ط مؤسسة البعثة 1417 هـ) ص501 وفرج المهموم ص57 وبحار الأنوار ج55 ص223 و 224 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج11 ص371 و 372 و(الإسلامية) ج8 ص269 و270 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج1 ص211 و212 وج11 ص264 و265.

(2) تذكرة الخواص (ط النجف) ص158.

على دباها، ثم شاطئ الفرات، فلقيه في مسيره ذلك منجم أشار عليه إلخ..[1].

6 - وهناك رواية أخرى، رويت باختصار تارة، وبتفصيل أخرى، مع وجود بعض الإختلاف بينهما، ولكنه اختلاف ناشئ عن سوء حفظ الرواة في أصل القضية، ونختار النص المطول الذي ذكره ابن رستم الطبري، وهو التالي:

عن قيس بن سعد، قال: كنت كثيراً أساير أمير المؤمنين «عليه السلام» إذا سار إلى وجه من الوجوه، فلما قصد أهل النهروان وصرنا بالمدائن، وكنت يومئذ مسائراً له إذ خرج إليه قوم من أهل المدائن، من دهاقينهم، معهم براذين قد جاؤوا بها هدية إليه فقبلها، وكان فيمن تلقاه دهقان من دهاقين المدائن يدعى (سرسفيل) وكانت الفرس تحكم برأيه فيما مضى، وترجع إلى قوله فيما سلف.

فلما بصر بأمير المؤمنين «عليه السلام» قال له: يا أمير المؤمنين! لترجع عما قصدت!

قال: ولم ذاك يا دهقان؟!

قال: يا أمير المؤمنين! تناحست النجوم الطوالع، فنحس أصحاب السعود، وسعد أصحاب النحوس، ولزم الحكيم في مثل هذا اليوم الإستخفاء والجلوس.

(1) تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص61 حوادث سنة 37.

وإن يومك هذا يوم مميت، قد اقترن فيه كوكبان قتالان، وشرف فيه بهرام في برج الميزان، واتقدت من برجك النيران، وليس الحرب لك بمكان.

فتبسم أمير المؤمنين «عليه السلام» ثم قال: أيها الدهقان المنبئ بالأخبار، والمحذر من الأقدار، ما نزل البارحة في آخر الميزان؟! وأي نجم حل في السرطان؟!

قال: سأنظر ذلك، واستخرج من كمه أسطرلاباً وتقويماً.

قال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: أنت مسيِّر الجاريات؟!

قال : لا.

قال: فأنت تقضي على الثابتات؟!

قال: لا.

قال: فأخبرني عن طول الأسد وتباعده من المطالع والمراجع؟! وما الزهرة من التوابع والجوامع؟!

قال: لا علم لي بذلك.

قال: فما بين السراري إلى الدراري؟! وما بين الساعات إلى المعجزات؟! وكم قدر شعاع المبدرات؟! وكم يحصل الفجر في الغدوات؟!

قال: لا علم لي بذلك.

قال: فهل علمت يا دهقان أن الملك اليوم انتقل من بيت إلى بيت

بالصين، وانقلب برج ماجين، واحترق دور بالزنج، وطفح جب سرانديب، وتهدم حصن الأندلس، وهاج نمل الشيح، وانهزم مراق الهندي، وفقد ديان اليهود بأيلة، وهزم بطريق الروم برومية، وعمي راهب عمورية، وسقطت شرفات القسطنطنية.

أفعالم أنت بهذه الحوادث وما الذي أحدثها، شرقيها أو غربيها من الفلك؟!

قال: لا علم لي بذلك.

قال: وبأي الكواكب تقضي في أعلى القطب؟! وبأيها تنحس من تنحس؟!

قال: لا علم لي بذلك.

قال: فهل علمت أنه سعد اليوم اثنان وسبعون عالماً، في كل عالم سبعون عالماً، منهم في البر، ومنهم في البحر، وبعض في الجبال، وبعض في الغياض، وبعض في العمران، وما الذي أسعدهم؟!

قال: لا علم لي بذلك.

قال: يا دهقان: أظنك حكمت على اقتران المشتري وزحل لما استنارا لك في الغسق، وظهر تلألؤ شعاع المريخ وتشريقه في السحر، وقد سار فاتصل جرمه بجرم تربيع القمر، وذلك دليل على استحقاق ألف ألف من البشر كلهم يولدون اليوم والليلة، ويموت مثلهم ـ وأشار بيده إلى جاسوس في عسكره لمعاوية، فقال ـ: ويموت هذا،

فإنه منهم.

فلما قال ذلك، ظن الرجل أنه قال: خذوه.

فأخذه شيء بقلبه، وتكسرت نفسه في صدره، فمات لوقته.

فقال «عليه السلام»: يا دهقان! ألم أرك غِيَرَ التقدير في غاية التصوير؟!

قال: بلى يا أمير المؤمنين.

قال: يا دهقان! أنا مخبرك أني وصحبي هؤلاء لا شرقيون ولا غربيون، إنما نحن ناشئة القطب، وما زعمت أن البارحة انقدح من برجي النيران، فقد كان يجب أن تحكم معه لي، لأن نوره وضياءه عندي، فلهبه ذاهب عني.

يا دهقان هذه قضية عيص، فأحسبها وولدها إن كنت عالماً بالأكوار والأدوار.

قال: لو علمت ذلك لعلمت أنك تحصي عقود القصب في هذه الأجمة.

ومضى أمير المؤمنين «عليه السلام» فهزم أهل النهروان وقتلهم، وعاد بالغنيمة والظفر.

فقال الدهقان: ليس هذا العلم بما في أيدي أهل زماننا، هذا علم

مادته من السماء(1).

وقيل: إن حديث المنجم كان في مسيره «عليه السلام» إلى خوارج النخيلة بعد النهروان(2).

ونقول:

لاحظ ما يلي:

إحالة على فصل سابق:

تقدم معنا في الجزء الرابع والعشرين من هذا الكتاب في باب: لولا علي «عليه السلام»، فصل بعنوان: علي «عليه السلام» والمنجمون.. تحدثنا منه عن هذه الروايات فرأينا أن الأنسب هو إرجاع القارئ إلى ما ذكرناه في ذلك الفصل..

أما هنا، فسوف نكتفي بالإشارة إلى بعض الخصوصيات الأخرى التي لم نتعرض لها في ذلك الفصل، وسنقتصر على ما له مساس بالنهج الفريد الذي ميز الإمام في سياساته التعليمية، والتربوية وغيرها عن غيره ممن ادعى لنفسه ما ليس له، فنقول:

---

(1) بحار الأنوار ج55 ص229 - 232 وراجع: فرج المهموم ص102 و 103 ودلائل الامامة ص58 - 61 والإحتجاج ج1 ص239.

(2) عن الكامل في الأدب للمبرد ج7 ص175.

الطريقة والأسلوب الفريد:

إن مراجعة ما جرى بينه وبين المنجمين هنا يعطي: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يبادر إلى زجر المنجم، ولم يعلن رأيه السلبي في موضوع التنجيم إلا بعد ما حاور المنجم بكل وضوح ورضى ورفق، واستدل عليه بما ساقه إلى الإعتراف بأنه لا يملك دليلاً على صحة ما يقول، بل اعترف بأنه يجهل الكثير مما سأله عنه أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقد سار «عليه السلام» في بيانه لحقيقة الأمور له سيراً تدريجياً وتصعيدياً.. حتى بلغ به حد الحكم على من يتعاطى التنجيم بالكفر.

فلما بلغ الأمر إلى هذا الحد، وأصبحت الأمور واضحة أمام عيني ذلك المنجم، ولم يعد يحتمل في حقه الجهل، أو القصور غيَّر «عليه السلام» لهجته معه.. ولكن ليكون على بينة من طريقة التعامل معه في المستقبل، لا ليحاسبه على ممارسة التنجيم فيما مضى، لأنه لم يكن عالماً، بل كان جاهلاً وغافلاً.. فله عذره المعقول والمقبول.

ودليل ذلك: أنه قد جاء ناصحاً لأمير المؤمنين «عليه السلام»، كما هو ظاهر حاله..

وبعد أن استدل «عليه السلام» على ذلك المنجم بما قطع عذره، وأقام الحجة عليه.. أراد أن يحصن أصحابه الذين قد يكون فيهم من لا يملك من الثقافة والقدرة الفكرية ما يمكنه من فهم ما يجري.. فبادر إلى إقرار يهدف إلى إثارة فضولهم، وتقريب الأمر إلى أفهامهم، لكي

يعالج هذه الحالة فيهم بطريقة مؤثرة، وذلك حين مارس المخالفة العملية والصريحة لما أمر به المنجم، ليظهر لهم بصورة حسية ومشهودة كذب ما جاء به ذلك المنجم. وذلك بالإستفادة من نفس الواقع والحدث الذي صنعه أولئك الناس، أو شاركوا في صنعه بأيديهم..

حيث سار في نفس الساعة التي نهاه المنجم عن السير فيها، وحقق ذلك النصر المؤزر الذي يندر حدوثه، بل هو لم يحدث لغير علي «عليه السلام» حيث لم يقتل من أصحابه عشرة، ولم ينج من الخوارج عشرة، بالرغم من أن الخوارج كانوا يعدون بالألوف، وبالرغم من أن أصحابه «عليه السلام» كانوا أقل منهم عدداً، كما سنرى..

استدلالات علي ×:

وأما استدلالات علي «عليه السلام» التي واجه بها ذلك المنجم، فقد اتبع فيها أسلوبين:

أحدهما: أسلوب استدراجه بالسؤال إلى أن اعترف بما أراد «عليه السلام» له أن يعترف به..

الثاني: أسلوب تقرير الدليل، وتوضيحه للناس.

ولم يقتصر «عليه السلام» على نوع واحد، بل ساق له أنواعاً من الأدلة مثل الآية القرآنية، ثم الرواية عن الرسول «صلى الله عليه وآله»، ثم الإستدلال بسيرة النبي «صلى الله عليه وآله» وبما يحكم به العقل والوجدان، بالإضافة إلى تجسيد فشل النظرية بصورة حسية..

الأدلة التي ساقها ×:

ومن الأدلة التي ساقها «عليه السلام»:

1 - الإشارة إلى أن الإعتماد في الإقدام والإحجام على التنجيم ينافي التوكل على الله سبحانه.. مع أن الله تعالى أمر بالتوكل عليه..

2 - إن الله تعالى هو المالك والمتصرف في الأشياء، وهو الذي يملك النفع والضرر وليس للنجوم تأثير في ذلك بذواتها، بل بإذن من الله وبتدبير منه، فلا يمكن معرفة هذا الإذن، والتدبير وحدوده، وكيفياته وحالاته، ومواضعه ووجوده، وعدمه إلا إذا أخبر الله تعالى به، وبالمقدار الذي يأتي به الخبر عنه سبحانه.

وهذا الإخبار إنما يكون عن طريق الأنبياء والأوصياء.. كما هو الحال في النهي الوارد عنهم «عليه السلام» عن السفر، وعن إيقاع عقد التزويج، والقمر في برج العقرب..

3 - لو كان للنجوم هذا التأثير الذي يزعمه لها المنجم لأعلم الله تعالى به أنبياءه، ولاستغنوا به عن أخبار جبرئيل لهم بالغيب، بالإستفادة من علم النجوم.

4 - إن تصديق المنجمين والكهنة، ملازم لتكذيب الأنبياء، لأن العلم بالغيب إذا كان ميسوراً للمنجم والكاهن، لم يعد بالإمكان تصديق النبي بأن الغيب الذي يخبر به إنما جاء به عن الله، فلعله أخذه بواسطة الكهانة، أو التنجيم.

5 - إنه «عليه السلام» قد جعل المنجم في مواجهة فعلية مع

القرآن، حيث ساقه إلى ادعاء معرفة ما في بطن دابته، ثم كذبه بآية: **(وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ)**[1].

وبذلك يكون «عليه السلام»:

أولاً: قد وجه صفعة للمنجم نفسه.

ثانياً: إنه وضع حاجزاً نفسياً واعتقادياً يمنع الناس من الإنسياق مع المنجم، ووضعهم في دائرة الحذر من تصديقه، وجعلهم يرتابون في أقواله، من خلال الإستفادة من محذور اعتقادي، وحاجز نفسي يمنعهم من الإنسياق معه.

6 - إنه «عليه السلام» وضع من يصدق المنجم في مواجهة مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل ومع الله تعالى أيضاً، من حيث أنه يجعل للمنجم شراكة مع الله تعالى في كونه مصدراً للعلم بالحقائق وكشف الواقع، والتعريف بالغيب.

كما أن الأفضلية تصير له على الأنبياء، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يدع لنفسه هذا العلم..

فمن صدق المنجم بعد هذا، يكون قد اتخذ منه ضداً لله تعالى، ويكون قد فضله على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً..

كما أن المنجم نفسه سوف يصاب بصدمة كبيرة حين يكتشف أن

---

(1) الآية 28 من سورة لقمان.

ما يقوم به ينتهي به إلى هذه النتائج الخطيرة، التي تجعله في معرض الهلاك والبوار في الدنيا، وفي الآخرة.

تصحيح المسار:

ولم يكتف «عليه السلام» بموقف الرفض والإدانة لعمل المنجمين، بل انتقل ليقدم البديل الصحيح والنافع للناس، فدعاهم إلى دراسة النجوم للإستفادة منها في بناء الحياة، وفي إسعاد الإنسان، وحل مشاكله، ومن ذلك الإهتداء بها في ظلمات البر والبحر..

ثم بين «عليه السلام» للناس واقع المنجمين المحترفين، الذين يصرون على مخالفة توجيهات الأنبياء وأوصيائهم لكي يحذرهم الناس، ويعرفوا حقيقة نواياهم، وما يريدون أن يصلوا ويوصلوا الناس إليه.

لعلها أحداث عديدة:

وبعد.. فإن الروايات حول ما جرى قد تعددت، واختلفت، وربما يكون سبب ذلك هو قضية اعتراض المنجمين على أمير المؤمنين في مسيره إلى الخوارج قد تكررت، وقد يساعد على هذا الإحتمال: اختلاف سياق الحديث في الروايات، واختلاف أسماء المنجمين، واختلاف المواضع التي أوردوا فيها اعتراضاتهم، وغير ذلك.

قمرنا، أو قمرهم!!:

وما أروع السؤال الذي طرحه أمير المؤمنين «عليه السلام»

على مسافر بن عوف بن الأحمر، حيث ادعى أن كون القمر في العقرب يعني حتمية أن تكون نحوسته واقعة على علي «عليه السلام» وأصحابه، مع أن هذه الحتمية غير ظاهرة، فلعلها تعود على الفريق الآخر، وهم الخوارج أنفسهم.. هذا لو صح أن تكون له نحوسة..

وهذا السؤال هو نفسه يتوجه إلى الدهقان الذي تحدث عن تناحس النجوم في رواية ابن رستم الطبري. حيث أجاز لنفسه أن يكون متوجهاً لعلي وأصحابه، فلماذا وبماذا استجاز هذا التحديد؟! ولم لا يكون العكس.

نعم، لو جاء الخبر من النبي أو من وصيه بأن لبعض الحالات الأثر في أمر من الأمور، فلا بد من الأخذ به، لأنه خبر صادر عن خالق الكون، ومسبب الأسباب، وليس مجرد تكهن ورجم بالغيب.

لماذا قبل هدية الدهقان؟!:

وقد يسأل سائل عن سبب عدم قبوله هدية أهل القرى حين مسيره إلى صفين، وقبلها هنا من دهاقين المدائن؟!

ويجاب:

بأنه «عليه السلام» لم يرد أن يجعل ذلك سنة مفروضة على أهل القرى، الذين هم في الأغلب من الضعفاء، ومن المسلمين.. لأن هذه الهدايا كانت إلزامية، يطالب بها القرى، وقد يتعرضون للأذى في

صورة عدم المبادرة إليها..

وأما الدهاقين الذين هم من كفار العجم، فقد كان من المصلحة قبولها منهم، لتدل بها على الرضا، وعدم وجود كدورة في العلاقة بينهم وبين المسلمين.

علماً بأن المهم هو كسر حالة الإلزام بالهدية.. وقد حصل ذلك وانتهى الأمر.

الفصل الثامن:

آخر المراسلات..
امتحان الرسول..

علي × يكاتب الخوارج:

قال ابن أعثم:

وسار علي «رضي الله عنه» حتى نزل على فرسخين من النهروان، ثم دعا بغلامه، فقال له: اركب إلى هؤلاء القوم وقل لهم عني: ما الذي حملكم على الخروج علي.

ألم أقصد في حكمكم؟!

ألم أعدل في قسمكم؟!

ألم أقسم فيكم فيئكم؟!

ألم أرحم صغيركم؟!

ألم أوقر كبيركم؟!

ألم تعلموا أني لم أتخذكم خولاً، ولم أجعل مالكم نفلاً؟!

وأنظر ماذا يردون عليك! وإن شتموك فاحتمل، وإياك أن ترد على أحد منهم شيئاً.

قال: فأقبل غلام علي حتى أشرف على القوم بالنهروان، فقال لهم ما

أمره به.

فقالت له الخوارج: ارجع إلى صاحبك، فلسنا نجيبه إلى شيء يريده أبداً، وإنا نخاف أن يردنا بكلامه الحسن كما رد إخواننا بحروراء عبد الله بن الكواء وأصحابه، والله تعالى يقول: **(بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ)**[1]. ومولاك علي منهم، فارجع إليه وخبره بأن اجتماعنا ههنا لجهاده ومحاربته لا لغير ذلك.

قال: فرجع الغلام إلى علي وأخبره بما سمع من القوم.

قال: فعندها كتب إليهم علي «كرم الله وجهه»[2]:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله وابن عبده أمير المؤمنين، وأجير المسلمين، أخي رسول الله «صلى الله عليه وآله» وابن عمه، إلى عبد الله بن وهب، وحرقوص بن زهير، المارقين من دين الإسلام!

أما بعد، فقد بلغني خروجكما واجتماعكما هنالك بغير حق كان لكما ولأبويكما من قبلكما، وجمعكما لهذه الجموع الذين لم يتفقهوا في الدين، ولم يعطوا في الله اليقين، والزما الحق، فإن الحق يُلْزِمُكما منزلة الحق، ثم لا يقضى إلا بالحق، ولا تزيغا فيزيغ من معكما من أخباركما فيكون

---

(1) الآية 58 من سورة الزخرف.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج4 ص261 و موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص357 و 358 عنه.

مثلكما ومثلهم كمثل غنم نفشت في أرض ذات عشب، فرعت وسمنت، وإنما حتفها في سمنها.

وقد علمنا: بأن الدنيا كعروتين سفلاً وعلواً، فمن تعلق بالعلو نجا، ومن استمسك بالسفل هلك.

والسعيد من سعدت به رعيته، والشقي من شقيت به رعيته.

وخير الناس خيرهم لنفسه وشرهم شرهم لنفسه.

وليس بين الله وبين أحد قرابة.

و **﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(1)**.

والكلام كثير، وإنما نريد منه اليسير، فمن لم ينتفع باليسير ضره الكثير.

وقد جعلتموني في حالة من ضل وغوى، وعن طريق الحق هوى.

خرجتم علي مخالفين بعد أن بايعتموني طائعين غير مكرهين، فنقضتم عهودكم ونكثتم أيمانكم.

ثم لم يكفكم ما أنتم فيه من العمى وشق العصا، حتى وثبتم على عبد الله بن خباب، فقتلتموه، وقتلتم أهله وولده بغير ترة كانت منه إليكم ولا دخل، وهو ابن صاحب رسول الله «صلى الله عليه وآله».

---

(1) الآية 58 من سورة الزخرف.

ولن يغني القعود عن الطلب بدمه، فادفعوا إلينا من قتله، وقتل أهله وولده، وشرك في دمائهم، ولا تقتلوا أنفسكم على عمى وجهل، فتكونوا حديثاً لمن بعدكم.

وبالله أقسم قسماً صادقاً لئن لم تدفعوا إلينا قاتل صاحبنا عبد الله بن خباب لم أنصرف عنكم دون أن أقضي فيكم إربي ـ وبالله أستعين، وعليه أتوكل.

والسلام والرحمة من الواحد الخلاق على النبيين وعلى عباده الصالحين.

قال: ثم طوى الكتاب، وختمه، ودفعه إلى عبد الله بن أبي عقب وأرسله(1).

جواب الراسبي:

ثم أجاب عبد الله بن وهب إلى علي بن أبي طالب جواباً:

ورد علي كتابك مع رسولك، فقرأته وفهمت ما فيه.

وأما قولك تأمرني أن ألزم الحق يوم لا يقضى بالحق، فقد صدقت، وأنا لازم الحق جهدي وطاقتي.

وأما قولك: لا أزيغ فيزيغ من معي، فأنت معدن الزيغ وأهله، وقد

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج4 ص262 و 263 وراجع: مناقب آل أبي طالب ج3 ص189 وبحار الأنوار ج33 ص390.

قال الله تعالى: **(فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)**(1).

وأما قولك: إن السعيد من سعدت به رعيته، والشقي من شقيت به رعيته، فقد صدقت، وما أعلم سعيداً سعدت به رعيته بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» غير أبي بكر ومن بعده عمر، ولا أعلم شقياً شقيت به رعيته بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» غيرك وغير عثمان بن عفان.

والقول كما قلت كثير، والتفسير يسير، فمن شاء هذر ونثر، ومن شاء قال بقدر.

وأما قولك: أن ادفع إلينا قاتل عبد الله بن خباب، فكلنا قتله.

وأما ذكرك المسير إلينا لقتالنا، فإذا شئت فاقدم، فإنا عازمون على حربك. والسلام(2).

قال: ثم طوى الكتاب، وختمه، ودفعه إلى ابن عقب.

فأخذه وأقل إلى علي «عليه السلام»، فخبره بالذي دار بينه وبين القوم.

ونقول:

لاحظ ما يلي:

____

(1) الآية 58 من سورة الزخرف.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج4 ص267.

لماذا هذه الأسئلة بالخصوص؟!:

1 - إنه «عليه السلام» قد حمل غلامه، ولعل المقصود به قنبر «رحمه الله» أسئلة يطرحها على الخوارج.

والمتأمل في هذه الأسئلة يلاحظ:

أولاً: أنها أسئلة عن أمور تتعلق بأشخاص أولئك الناس، وهي محط اهتمامهم، أو عليها يدور غضبهم ورضاهم.. ولا ترتبط بالأمة، أو بالدين، أو بالقضايا الكبرى التي يهتم عقلاء البشر، وحكماء الأمة، وأصحاب الهمم العالية..

ثانياً: إن هذا يدل على مدى انحدار المستوى الفكري لهؤلاء الناس، وعلى حجم طموحاتهم، وطبيعة اهتماماتهم. وما يرضيهم وما يغضبهم..

ثالثاً: إن بإمكان الباحث الأريب أن يستنتج من هذا: أن هؤلاء لم يغضبوا لله تعالى، وأنهم لم يثوروا إلا لأن النعمة أبطرتهم، فطلبوا المزيد.

أي أنهم أرادوا أن يستأثروا لأنفسهم بالسلطة، ليجعلوا منها وسيلة ابتزاز للأموال، أو لأي شيء من حطام الدنيا يراود خواطرهم، وتشتهيه أنفسهم، فكان مثلهم كمثل: **(قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ**

وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)(1).

وعاقبة هذا البطر قد بينته آية أخرى في كتاب الله هي قوله تعالى: **(وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ)**(2).

2 - إن هذه الأسئلة قد تضمنت أهم السياسات العملية التي يحتاجها الحاكم في تعامله مع رعيته، وبها يكون صلاح الرعية، ورضاها وراحتها وسعادتها. ولا تطلب الرعية من حاكمها فيما يرتبط بالحياة الشخصية الهانئة والسعيدة أكثر من ذلك..

وهذه الأمور هي:

ألف: القصد في الحكم، وهو اعتماد خط الإعتدال، وعدم الإفراط والتوغل، أو التفريط والتضييع. أي أنه «عليه السلام» لم يجر في حكمه بحيث يفرط ويبالغ في العقوبات، ويتجاوز المرسوم، ولم يتساهل في أحكامه على حد التفريط، وإطماع أهل الأطماع بالتعدي على الناس..

ب: العدل في القسمة، فلم يفضل أحداً على أحد، بل ساوى بين القرشي وغيره، وبين العربي وغير العربي، وبين الرئيس والمرؤوس..

---

(1) الآية 112 من سورة النحل.

(2) الآية 58 من سورة القصص.

ج: تقسيم فيئهم فيهم، ولم يصرفه إلى غيرهم، من الناس، ولم يؤثر به أقاربه، وأصحابه، أو قومه..

د: الرحمة لصغيرهم، لأن الصغير يحتاج إلى الرحمة والرفق، وعدم القسوة، والمداقة في محاسبته، بل يعامل بالعفو والتسامح، وغض النظر.

هـ: توقير الكبير، والمحافظة على موقعه، واحترامه. لأن ذلك من موجبات طمأنينته، وشعوره بالأمان، من مكر وغدر الزمان.. وأن كبر سنه لا يعني إهماله، والشعور بالإستغناء عنه، وفقدانه قيمته، بل هو يؤكد قيمته، ويزيد من التعلق به، ومن الشعور بالحاجة إليه.

و: الإبتعاد عن التعامل بروحية التعالي والإستكبار، والإستخفاف بالناس إلى حد اعتبار الحاكم الناس عبيداً عنده، وخولاً له، فإن ذلك اضطهاد لمشاعرهم واستلاب لكرامتهم الإنسانية التي جعلها الله تعالى لهم في قوله: (**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**)(1). وتكريس هذا الشعور في الناس من موجبات العذاب النفسي لهم..

ز: حفظ أموال الناس للناس، فلا يجعلها بمثابة الغنيمة لكل طالب، وموضع طمع كل راغب، ونهبة لكل ناهب. فإنها أمانة عنده،

---

(1) الآية 70 من سورة الإسراء.

لا بد من أدائها إلى أهلها، كاملة غير منقوصة..

هل خاطر × بأسئلته التقريرية؟!

وقد يتوهم متوهم: أنه «عليه السلام» قد خاطر بتوجيه هذه الأسئلة إلى قوم هم في غاية الجهل والغباء، والوقاحة، والبعد عن اللياقة، ولا سيما بعد أن نصبوا العداوة له، وأعلنوا الحرب عليه، وأصبحوا يكفرونه، ويستحلون دمه.. ويجهدون لإلحاق الأذى به، ولم يتورعوا عن الكذب عليه حين أشاعوا أنه قد تاب من كفره.. فأعلن على منبر الكوفة: أنهم قد كذبوا عليه.

فما الذي جعله يأمن من أن يجيبوا غلامه: بأن كل ما قاله غير صحيح، وأنه لم يقصد في الحكم، ولا عدل في القسم، ولم يقسم فيأهم فيهم، ولم يرحم صغيرهم، ولم يوقر كبيرهم، وأنه اتخذهم خولاً، ومالهم نفلاً؟! فإن من كذب عليه، وادعى أنه قد تاب من كفره، قد يقدم على مثل هذه الكذبة مرة أخرى..

ونجيب:

بأنه «عليه السلام» كان يعرف بأن حقدهم، وطمعهم، قد أعمى بصرهم وبصيرتهم، وأن عنجهيتهم واستكبارهم سوف تمنعهم من الإقدام على إنكار هذه الحقيقة الناصعة..

وإن لم يمنعهم ذلك، فسيمنعهم علمهم بأن إنكارهم هذه الحقائق سيضعهم أمام فضيحة كبرى أمام جميع الناس، وربما يتسبب في

حدوث صراعات فيما بينهم أنفسهم، لأن الكثيرين منهم سوف يعترضون على هذا الكذب الفاضح، والواضح.. الذي يظهرهم أمام الناس بصورة المفترين المنكرين لما هو أجلى من الشمس، وأوضح من الأمس.

أما ادعاء التوبة، فأمر يمكن المكابرة فيه، والإصرار عليه، بادعاء: أن ذلك قد حصل سراً فيما بينهم وبين علي «عليه السلام».

خوف الخوارج من حجة علي ×:

وقد لاحظنا: أن جواب الخوارج قد تضمن التصريح: بأن علياً «عليه السلام» قد رد إخوانهم بحروراء بكلامه الحسن، وأدخلهم الكوفة.. وتضمن أيضاً التصريح بخوفهم من مواجهة حجته من جديد..

ولكن يحق لنا أن نوجه إلى الخوارج الأسئلة التالية:

هل الكلام الحسن يغير قناعات الناس، ويبطل حججهم؟! ولا سيما إذا كان هؤلاء الناس هم أناس يدَّعون أنهم علماء وعقلاء، وأهل مبدأ، ويلتزمون بالحكم الشرعي؟!

وهل الكلام الحسن يغير أحكام الله، ويمنع من التمييز بين الحلال والحرام، وبين الواجب والمباح؟!

وكيف لم يميز ابن الكواء وأصحابه، وهو ألوف، ويدعون أن ابن الكواء كان من علمائهم، إن لم يكن أعلمهم ـ كيف لم يميز ـ بين الدليل

والحجة، وبين الكلام الحسن؟!

وكيف اختلط الأمر عليهم؟!

ولماذا لم يستفيدوا في هذه الموارد من علومهم ومن عقولهم؟! ولماذا تخلوا عن طاعة ربهم، والعمل بأحكامه وشرائعه، وانساقوا وراء كلام حسن؟!

وإذا كانوا يقصدون بالكلام الحسن هو الحجة والبرهان، كما يفهم من قولهم: **(بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ)**(1). فلماذا يهربون من الحجة والدليل؟!

وإن كان المقصود أنه «عليه السلام» كان يجادلهم بالباطل، فلماذا لا يبينون له بطلان حجته، ويفضحونهم في عملهم هذا وينتهي الأمر؟!

لا فقه ولا يقين:

1 - وقد أشاع مناوئوا علي «عليه السلام» أن في الخوارج فقهاً وعلماً!!

ولكن أمير المؤمنين «عليه السلام» وهو الفقيه في دين الله، والأكثر معرفة بالفقيه من غيره. قد عاش مع الخوارج وعرفهم، وخبر أحوالهم، وسمع أقوالهم، ورأى أفعالهم، وهو يشهد عليهم بأنهم

(1) الآية 58 من سورة الزخرف.

لم يتفقهوا في الدين.

وهذا يعني: أن ما يقولونه في الفقه إنما هو مجرد آراء لهم، لا تستند إلى حجة، ولم يأخذوها من مصادر صحيحة وموثوقة.

فلماذا يريدون أن ينسبوا إلى الخوارج مقام الفقاهة، وهو بريئون من هذه النسبة، براءة الذئب من دم يوسف، بعيدون عن هذا المقام بعد السماء عن الأرض؟!

أليس لأجل التشنيع على علي «عليه السلام»، والطعن عليه بأنه قد قتل علماء الأمة وفقهاءها؟!

2 ـ وقد أشاع مناوئو علي «عليه السلام» أيضاً: أن الخوارج كانوا أهل بصيرة ويقين.

ولكن علياً «عليه السلام» وهو الصادق المصدق، الذي لا يقول إلا الحق، ولا ينطق إلا بالصدق يقول: إنهم كانوا شكاكاً، ويصرح لهم هنا: بأنهم لم يعطوا في الله اليقين. ولم يجبه الخوارج على هذين الأمرين، ولم ينفوهما عن انفسهم، ولو بكلمة واحدة، ولو استطاعوا تكذيبه، ولو بحرف واحد لما توانوا عن ذلك لحظة واحدة.

وكان أعداء علي «عليه السلام» يريدون بإطلاقهم هذه الإشاعات والأباطيل إما تعظيم أمر الخوارج، وادعاء التشدد في دين الله لهم، وإما التخفيف من ذنبهم بادعاء الجهل المركب لهم، ليكون لهم بعض العذر فيما أقدموا عليه من جرائم ومآثم.

وحسبنا ما ذكرناه، فإن شرح ما ورد في كتاب أمير المؤمنين

«عليه السلام» للخوارج يحتاج إلى فرصة أخرى. نسأل الله تعالى أن يوفق لها من يشاء من عباده الصالحين. والحمد لله رب العالمين.

الخوارج يختبرون ابن أبي عقب:

قال ابن أعثم:

فأقبل عبد الله بن أبي عقب إلى الخوارج بالكتاب، حتى إذا صار إلى النهروان تقدم إلى عبد الله بن وهب الراسبي وهو جالس على شاطىء النهروان محتب بحمائل سيفه، وحرقوص بن زهير إلى جانبه ورؤساء الخوارج جلوس حولهم.

قال: فسلم عبد الله بن أبي عقب ودفع الكتاب إلى عبد الله بن وهب.

فأخذه وفضه وقرأه عن آخره، ثم ألقاه إلى حرقوص فقرأه، ثم رفع رأسه إلى ابن أبي عقب، فقال له: لولا أنك رسول لألقيت منك أكثرك شعرا فمن أنت؟

قال: رجل من الموالي.

قال: من أي الموالي أنت؟!

قال: من موالي بني هاشم.

قال: إني أظنك من هذا الرجل بسبب، يعني علي بن أبي طالب.

فقال: أنا رجل من أصحابه.

قال: أفحلال أنت أم لا؟

قال: لا بل حرام دمي في كتاب الله عز وجل.

فقال: ما أراك تعرف كتاب الله.

قال: بلى، إني لأعرف منه الناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، والسفري والحضري.

قال: وتعرف الله حق معرفته؟!

فقال: نعم، إني لأعرفه ولا أنكره، أؤمن به ولا أكفره.

قال: وبما ذا عرفته؟!

قال: برسوله وكتابه المنزل.

قال: صدقت. فأصدقني ما تكون من علي بن أبي طالب.

قال: أنا أخوه في الإسلام.

قال عبد الله بن وهب: أومسلم أنت؟!

قال: أنا مسلم والحمد لله.

قال: وما الإسلام؟!

قال له ابن أبي عقب: إن الإسلام عشرة أسهم، خاب من لا سهم له فيها: شهادة أن لا إله إلا الله وهي الملة، والصلاة وهي الفطرة، والزكاة وهي الطهر، والصوم وهو الجُنَّة، والحج وهو الشريعة، والجهاد وهو الغزو، والأمر بالمعروف وهو الوفاق، والنهي عن المنكر وهو الحجة، والطاعة وهي العصمة، والجماعة وهي الألفة.

قال: صدقت، فخبرني ما الإيمان.

فقال: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله ونحن له مسلمون، والرضاء بما جاء من عند الله من سخط أو رضى، والجنة حق، والنار حق، وأن الله يبعث من في القبور.

فقال عبد الله بن وهب: أيها الرجل! إنه حرم علينا دمك، فخبرني أعالم أنت(1) أم متعلم.

قال: متعنت أنت أم مسترشد؟!

قال: بل مسترشد.

قال عبد الله بن وهب: فكم الصلوات؟!

فقال: أما الفريضة فإنها خمس ومعها نوافل، أفعن الفريضة تسألني، أم عن النافلة؟!

فقال: بل عن الفريضة أسألك، فكم في الفريضة من ركعة؟!

قال: سبع عشرة ركعة، وفيها سبع عشرة مرة سمع الله لمن حمده، وفيها أربعة وثلاثون سجدة، وفيها أربع وتسعون تكبيرة.

قال: صدقت، فكم السنة؟!

قال: السنة عشر، خمس منها في الرأس، وخمس في الجسد. فأما اللواتي في الرأس: فالمضمضة، والإستنشاق، وقص الشارب، والسواك، وفرق الشعر.

---

(1) الظاهر: أن هنا سقطاً، ولعل الساقط هو قوله: بل متعلم.

وأما اللواتي في الجسد: فالختان، وحلق العانة، والاستنجاء بالماء، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار.

فقال عبد الله بن وهب: صدقت أيها الرجل! ولكن خبرني كم يجب في خمس من الإبل صدقة.

فقال ابن أبي عقب: في خمس من الإبل شاة، وفي عشر شاتان، وفي خمس عشرة ثلاثة شياه، فإذا بلغت عشرين ففيها أربع شياه إلى أن تبلغ خمساً وعشرين، فإذا زادت واحدة ففيها بنت مخاض، فإن لم توجد بنت مخاض فابن لبون إلى خمس وثلاثين، فإذا زادت واحدة ففيها بنت لبون إلى أن تبلغ خمسا وأربعين، فإذا زادت واحدة ففيها جذعة إلى أن تبلغ خمساً وسبعين، فإذا زادت واحدة ففيها حقتان طريدتا الفحل إلى أن تبلغ عشرين ومائة، فإذا بلغت الإبل عشرين ومائة ففي كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة، فإذا بلغت الإبل ثلاثين ومائة فالحساب على ما خبرتك. وليس هذا من علم مثلي فسل عن غير هذا!

فقال له عبد الله بن وهب: ذر عنك هذا، فخبرني عن صدقة البقر.

قال: إذا أخبرك بذلك، في كل ثلاثين بقرة تبيع فهو حولي لسنة، وفي الأربعين بقرة منه إلا ما كان من البقر العوامل التي تحرث الأرض ويسقى عليها الحرث فإنه لا صدقة عليها، لأنها بمنزلة الدواب المركوبة، والتي يحمل عليها الأثقال من البغال والحمير، فقد خرج حكمها من حكم البقر السائمة، فسنة البقر السائمة بخلاف سنة البقر العوامل.

وأما من أراد بها التجارة فيقوم في رأس السنة وينظر إلى ثمنها، فيحسب ذلك ويخرج صاحبها زكاتها كما تخرج زكاة المال من كل مائتي درهم خمسة دراهم، ومن كل عشرين مثقالاً نصف مثقال، وما زاد فبالحساب.

فقال عبد الله بن وهب: صدقت فخبرني عن صدقة الغنم ما هي.

فقال ابن أبي عقب: نعم.

أما الغنم فإنها إذا كانت دون الأربعين فلا صدقة عليها، فإذا بلغت أربعين فصدقتها شاة إلى أن تبلغ عشرين ومائة شاة، فإذا زادت على العشرين والمائة واحدة فصدقتها ثلاث شياه، فإذا زادت على ثلاثمائة ففي كل مائة شاة، فهذا ما سألت عنه من صدقة الإبل والبقر والغنم، وليس مثلي من يسأل عن مثل هذا، ولكن سل أيها الرجل عما أحببت من العلوم الواسعة!

فقال ابن وهب: خبرني عن الواحد ما هو.

قال: فتبسم ابن أبي عقب ثم قال: هذه مسألة قد مضت في الدهر، الواحد هو الله وحده لا شريك له.

قال: فخبرني عن الاثنين لم يكن لهما في عصر ثالث.

قال: آدم وحواء.

قال: فخبرني عن ثلاث لا رابع لها.

قال: الطلاق.

قال: فخبرني عن أربع لا خامس لها.

قال: أربع نسوة حلال ولا تحل خامسة.

قال: فخبرني عن خامسة ليس لها سادسة.

قال: الخمس صلوات مكتوبة.

قال: فخبرني عن ستة لا سابع لها.

قال: الأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض.

قال: فخبرني عن سبعة ليست لها ثامنة.

فقال له ابن أبي عقب: يا هذا الرجل! إن السبعة في كتاب الله عز وجل كثير، وهن السماوات سبع، والأرضون سبع، والبحار سبع، وقال الله تعالى: **(لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ)**[1].

وقال: **(وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ)**[2].

وقال الريان بن الوليد ملك مصر: **(إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ)**[3].

وقال يوسف النبي: **(تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا)**[4]. ومثل هذا في كتاب الله كثير.

---

(1) الآية 44 من سورة الحجر.

(2) الآية 196 من سورة البقرة.

(3) الآية 43 من سورة يوسف.

(4) الآية 47 من سورة يوسف.

قال: فخبرني عن سبع وثمانية.

قال: نعم، قول الله عز وجل: (**سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا**)(1).

قال: صدقت، فخبرني عن ثلاث وأربع وخمس وست وسبع وثمان.

قال: فتبسم عبد الله بن أبي عقب ثم قال: يا سبحان الله! من جمع هذه الجموع وخرج على مثل علي بن أبي طالب، وهو يعلم أنه أقضى هذه الأمة وأبصر بحلالها وحرامها يسأل رسوله عن مثل هذه المسائل! قال الله تبارك وتعالى: (**سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ**)(2). فهذا ما سألت.

فقال حرقوص: أيها الرجل! فإني سائلك عن غير ما سألك صاحبي.

قال: سل عما بدا لك!

قال: من يتولى أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

قال: أتولى أولياء الله المؤمنين، أتولى أبا بكر، وعمر، وعثمان، ومقداداً، وسلمان، وأبا ذر، وصهيباً، وبلالاً، وأسلاف المؤمنين.

(1) الآية 7 من سورة الحاقة.

(2) الآية 22 من سورة الكهف.

قال: فممن تتبرأ؟!

قال: ما أتبرأ من أحد، **(تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)**(1).

قال: فما تقول في صاحبك علي، وما تقول في عثمان، وطلحة والزبير، ومعاوية، والحكمين: عمرو بن العاص، وعبد الله بن قيس؟!

فقال: أما صاحبي علي فلو قلت فيه سوءاً لم أكن بالذي أصحبه، ولا أقاتل بين يديه، ولا أقول بفضله.

وأما عثمان فإنه ابن عم النبي، وابن ابنة عمه، وختنه على ابنته رقية وأم كلثوم، وله فضائل كثيرة، وقد جاءت بها العلماء، ولا أقول فيه إلا خيراً.

وأما طلحة والزبير فإنهما حواري رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم أسمع صاحبي يقول فيهما إلا خيراً، ولا أقول فيهما إلا كقوله.

وأما معاوية والحكمان فمعاوية رضي برجل وعلي صاحبي برجل، فخدع أحدهما صاحبه، والخلافة لا تثبت لأحد بالمكر والخديعة، ونحن على رأس أمرنا إلى انقضاء المدة.

فقال حرقوص: أيها الرجل! إنك قد أوجبت على نفسك القتل.

---

(1) الآية 141 من سورة البقرة.

قال: ولم ذاك؟!

فقال: لأنك توليت قوماً كفروا بعد إيمانهم، وأحدثوا الأحداث.

فقال له ابن أبي عقب: أيها الرجل! إنك لم تبلغ في العلم ما يجب عليك أن تفتش عن علم الإمام، ولكني أسألك عن مسائل يسأل صبياننا بعضهم بعضا عنها في المكتب.

قال: سل عما بدا لك!

فقال ابن أبي عقب: خبرني أيها الرجل عن المتحابين ما هما؟! وعن المتباغضين ما هما؟! وعن المستبقين، والجديدين، والدائبين، وعن الطارف والتالد، وعن الطم والرم، وعن نسبة الله عز وجل ما هي؟!

قال حرقوص: ما رأيت أحداً يسأل عن مثل هذا، ولكن خبرني عنها وأنت آمن!

فقال له ابن أبي عقب: أما المتحابان، فالمال والولد.

وأما المتباغضان، فالموت والحياة.

وأما المستبقان، فالنور والظلمة.

وأما الجديدان، فالليل والنهار.

وأما الدائبان، فالشمس والقمر.

وأما الطارف والتالد، فالمال المستحدث، والمال القديم.

وأما الطم والرم، فالطم البحر، والرم الثرى.

وأما نسبة الله عز وجل، فإن قريشاً سألت النبي «صلى الله عليه وآله»، فقالوا: يا محمد! صف لنا ربك، فنزلت سورة الإخلاص وهي: **(قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)**(1).

قال: فتعجب القوم من كلام ابن أبي عقب وعلمه(2).

ونقول:

لنا مع هذا النص وقفات، هي التالية:

حامل الرسالة:

ذكر النص المتقدم: أن الذي حمل الرسالة إلى الراسبي وحرقوص ومن معهما هو ابن أبي عقب، وهو عبد الله بن بشار بن أبي عقب، الشاعر، الذي ذكر بعضهم: أنه كان رضيع الحسين بن علي «عليهما السلام»، مما يعني: أنه كان صحابياً، وكان يجالس عبيد الله بن الحر الجعفي، فيخبره بما خبره الحسين «عليه السلام» عن علي «عليه السلام»، وهو صاحب أشعار الملاحم.

وكان يقول: إن الحسين «عليه السلام» قال لي: إنك تقتل، يقتلك عبيد الله بن الحر بن زياد بالجازر.

وقال ابن الحر: إن ابن أبي عقب كان يخبرني عن الحسين «عليه

(1) سورة الإخلاص.

(2) الفتوح لابن أعثم ج4 ص108 - 118 و (ط دار الأضواء) ج4 ص263 - 267.

السلام» أشياء يكذبها عليه، ويزعم أن ابن زياد يقتله.

فأتاه عبيد الله بن الحر مشتملاً على السيف، فناداه، فخرج إليه، فقال [له]: أبلغ معي إلى حاجة لي.

فخرج معه ابن أبي عقب، فلما برز إلى السبخة ضربة بالسيف حتى مات(1).

وروى الكليني عن سهل بن زياد، عن بكر بن صالح، عن محمد بن سنان، عن معاوية بن وهب، قال:

تمثل أبو عبد الله «عليه السلام» ببيت شعر لابن أبي عقب.

وينحر بالزوراء منهم لدى الضحى ثمانون ألفا مثل ما تنحر البدن

وروي غيره: البزل.

ثم قال لي: تعرف الزوراء؟!

قال: قلت: جعلت فداك يقولون: إنها بغداد.

قال: لا، ثم قال «عليه السلام»: دخلت الري؟!

قلت: نعم.

قال: أتيت سوق الدواب؟!

(1) شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج11 ص433 و 434 عن أسماء المغتالين (ط القاهرة) ص173.

قلت: نعم.

قال: رأيت الجبل الأسود عن يمين الطريق؟!

تلك الزوراء يقتل فيها ثمانون ألفاً، منهم ثمانون رجلاً من ولد فلان، كلهم يصلح للخلافة.

قلت: ومن يقتلهم جعلت فداك؟!

قال: يقتلهم أولاد العجم[1].

واحتمل المجلسي: أن يكون المقصود بالزوراء موضعاً بالري. ويكون إشارة إلى واقعة تكون في زمن القائم «عليه السلام»، أو في زمن قريب منه. ولعل ابن أبي عقب كان قد سمع ذلك من المعصوم «عليه السلام»، فنظمه[2].

وقد ذكروا: أن الرجل الذي كان رضيع الإمام الحسين «عليه السلام» هو: «عبد الله بن يقطر»[3]، وفي الإصابة «عبد الله بن

---

(1) الكافي ج8 ص177 وإلزام الناصب ج2 ص138.

(2) مرآة العقول ج26 ص65.

(3) تاريخ الكوفة ص103 و 322 ومقتل الحسين لأبي مخنف ص244 والثقات لابن حبان ج2 ص310 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص359 والكامل في التاريخ ج4 ص93 وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص77.

يقظة»[1]، وليس ابن أبي عقب.

وعلى كل حال، فإن إلحاح الراسبي على هذا الرجل لمعرفته، ومعرفة موقعه ومحله من علي «عليه السلام» يدل على أنه لم يكن من الناس القريبين من علي «عليه السلام»، أو على الأقل لم يكن يكثر التردد عليه، ولا كان من الأعلام المعروفين لدى القاصي والداني.

معرفة الله:

وأما ادعاء ابن أبي عقب أنه يعرف الله حق معرفته فهو مجازفة كبيرة، بعد أن قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأمير المؤمنين «عليه السلام»: ما عرف الله إلا أنا وأنت، مع وجود أمثال سلمان وأبي ذر، والمقداد وعمار، وسائر الناس..

الخطأ في أنصبة الإبل:

ثم إنه إذا كان ابن عقب من أولياء أمير المؤمنين «عليه السلام»، فيفترض أن تكون فتاواه موافقة لما ورد عنه وعن أهل بيته «عليهم السلام»، ولكن مراجعة كلامه مع الراسبي تعطي خلاف ذلك، فقد أخطأ ابن أبي عقب في تعداده لأنصبة الإبل.

---

(1) الإصابة ج3 ص58 و (ط أخرى) ج4 ص59 والفصول المهمة للسيد شرف الدين ص197 عنه.

فأولاً: قفز من نصاب العشرين، ففيه أربع شياه إلى نصاب الست والعشرين، ففيه بنت مخاض.

مع أن في الخمس وعشرين من الإبل خمس شياه، فإذا صارت ست وعشرين، ففيها بنت مخاض(1). فأسقط نصاب الخمس شياه بالكلية.

ثانياً: جعل في نصاب الست وأربعين جذعة(2). مع أن الصحيح: أن فيه حقة(3).

ثالثاً: قفز من نصاب ست وأربعين إلى نصاب الست وسبعين، وقال: فيها حقبتان، مع أن الصحيح: أن الجذعة هي في نصاب الإحدى وستين الذي أسقطه. وأما نصاب الست وسبعين، ففيه بنتا لبون(4).

رابعاً: قفز من نصاب الست وسبعين إلى نصاب المئة وعشرين، وفيها في كل أربعين بنت لبون.. والصحيح: أن هناك نصاب الإحدى وتسعين، وفيه حقتان.. ولم يذكره ابن أبي عقب!!

خامساً: ليس لدينا في الإبل نصاب مئة وعشرين في كل أربعين

---

(1) وهي التي دخلت في السنة الثانية.

(2) وهي التي دخلت في السنة الخامسة.

(3) وهي التي دخلت في السنة الرابعة.

(4) وهي التي دخلت في السنة الثالثة.

بنت لبون.

بل لدينا نصاب مئة وإحدى وعشرين في كل خمسين حقة، وفي كل أربعين بنت لبون.

وفي نصاب مئة وثلاثين يحسب أربعينان ـ وخمسون.. فيعطى بنتا لبون وحقة. ولم يذكر هذا الأخير.

الخطأ في أنصبة البقر:

ذكر أن في البقر الذي أريد به التجارة، زكاة ـ ولكن على حد زكاة المال، تقوَّم في رأس السنة، ويحسب ثمنها، ويخرج زكاته كما تخرج زكاة المال من كل ماءتي درهم خمسة دراهم.. ومن كل عشرين مثقالاً نصف مثقال..

مع أن هذا غير صحيح في مذهب أهل البيت «عليهم السلام».

أنصبة الغنم:

وأخطأ في أنصبة زكاة الغنم، على مذهب أهل البيت «عليهم السلام» أيضاً، فـ:

أولاً: ذكر أن عدد الغنم إن زاد عن المئة وعشرين بواحدة فصدقتها ثلاث شياة..

وهذا غير صحيح، بل الواجب في هذا العدد هو شاتان فقط.

ثانياً: لم يذكر نصاب الماءتين وواحدة، ففيها ثلاث شياه.

ثالثاً: ذكر أن الشياه إذا زادت على ثلاث مئة، ففي كل مئة شاة..

مع أن الصحيح: أنه في ثلاث مئة شاة أربع شياه، ثم في الأربع مئة فصاعداً في كل مئة شاة، بالغاً ما بلغ..

صهيب وبلال والناكثان أولياء الله:

1 - إن ابن أبي عقب ادعى أنه يتولى أولياء الله المؤمنين. وهذا الإصطلاح «أولياء الله» لم نعهده إلا عند الشيعة، فإنهم يطلقونه على أئمتهم «عليهم السلام»، ولم يكن إطلاقه على أبي بكر وعمر وعثمان متداولاً آنئذ، فمن أين لابن أبي عقب أن يطلقه على غير علي وأهل بيته «عليهم السلام»، وعلى الأنبياء والأوصياء؟!

2 - ولو قبلنا إطلاقه على بعض الكبار والمعروفين من غير أهل البيت «عليهم السلام» أيضاً، فلما لم يذكر ابن أبي عقب أحداً من أهل البيت في جملة أولياء الله أيضاً..

3 - مع غض النظر عن ذلك نقول: ما شأن صهيب وبلال في هذا الأمر، وهما لم يكن لهما شأن ذو بال آنئذٍ. ولا كان أحد يتولاهما، أو يذكرهما بشيء في موضوع التولي والتبري؟!

وما معنى ذكرهما دون سائر الصحابة إلى جانب أبي بكر وعمر، وإلى جانب سلمان وأبي ذر؟!

والحال أن صهيباً كان عبد سوء كما ورد في الروايات(1).

---

(1) راجع: ترجمة صهيب في قاموس الرجال ج5 ص135 - 137 وراجع: بحار الأنوار ج22 ص142 وإختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج1

4 ـ ولو سلمنا هذا وذاك وذلك أيضاً.. فما معنى أن يعلن لهم ابن أبي عقب توليه لطلحة والزبير. اللذين نكثا بيعة أمير المؤمنين «عليه السلام»، وحارباه وقتلا وتسببا بقتل الألوف من المسلمين..

5 ـ كيف يدعي: أن علياً «عليه السلام» لا يقول في طلحة والزبير إلا خيراً، وقد تقدمت في هذا الكتاب جملة من أقواله فيهما؟!

6 ـ أما كون طلحة والزبير، حواري رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقد تقدم في هذا الكتاب أيضاً: أنه لا يصح.. ولا عبرة به.

صلة عثمان برسول الله ':

هذا.. وقد أثنى ابن أبي عقب على عثمان بأمرين:

أولاً: بأن عثمان ابن عم رسول «صلى الله عليه وآله» وابن بنت عمه.

ويجاب:

بأن هذه قرابة بعيدة، لا تعطيه امتيازاً على المئات، أو الألوف من الناس، لأنه من بني أمية، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» من بني هاشم..

ومع ذلك نقول:

إن القرابة بمجردها ليست فضيلة توجب الولاء، إن لم تنضم إليها

ص192 وخلاصة الأقوال ص83 ورجال ابن داود ص250 والتحرير الطاووسي ص93.

شرائط وحيثيات أخرى.. كالجهاد، والسابقة في الدين، والعلم، والفضل، والمزايا، والفضائل والكرامات ، وما إلى ذلك..

وقد ثار عامة صحابة الرسول على عثمان، وشاركوا في حصاره، وحرضوا على قتله، وعلى رأسهم عائشة أم المؤمنين، وطلحة والزبير، وسواهم..

ثانياً: إن عثمان ختن النبي على ابنته رقية وأم كلثوم، مع أنه قد تقدم: أن كونهما بنتي رسول الله على الحقيقة، موضع ريب كبير، بل الظاهر أنهما بنتاه بالتربية، والرعاية..

ومع ذلك، فإن ذلك لا يفيد عثمان شيئاً، لأن دوافع الزواج والتزويج كثيرة. وقد تحدثنا عن ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب وغيره.

ثالثاً: بالنسبة لفضائل عثمان الكثيرة التي جاء بها العلماء نقول:

لا شك في أن طائفة منها تنفيه الأدلة والبراهين.. وقد قتله الناس، وشارك الصحابة، في الثورة ضده، وفي دعوة الناس إلى قتله بما فيهم عائشة وطلحة والزبير، وسواهم..

ولم يهتموا لتلك الفضائل التي تذكر له.. أليس لأنهم يرون أنها إما غير صحيحة؟! وإما أنه قد نقضها بأفعاله؟! أو لأنهم يشككون في حيثياتها ودوافعها؟!

لماذا هذه الأسئلة؟!:

وبعد ما تقدم نقول:

إن ما ذكرناه يجعلنا نشك في صحة كثير من فقرات هذه المحاورة التي لم نستطع أن نعثر لها على مصدر آخر سوى ابن أعثم..

ونختم كلامنا بالإشارة إلى ما يلي:

أولاً: إن بعض الأسئلة المتقدمة أكثر من أسئلة صبيانية.. حتى إن بعضها يذكر عدد الصلوات اليومية، وعدد ركعاتها، وعدد تكبيراتها، وكم مرة يقول فيها سمع الله لمن حمده، وعدد سجداتها.

ثانياً: إن بعض الأسئلة شبيهة بالأحاجي والأسئلة عما في الضمير.

وبعضها يمكن الإجابة عليه بأكثر من وجه، ولا يجد السائل سبيلاً لردها..

وبعضها أسئلة عن معاني بعض الكلمات في لغة العرب..

ولنا أن نحتمل: أن بعضها ملتقط أو مستعار من أسئلة طرحها بعض أهل الكتاب على الأئمة الطاهرين «عليهم السلام».. حيث كانوا يعمدون إلى استخراج بعض الأحاجي التي يضمرون لها حلولاً تعتمد على مناسبات معينة، يظنون أن الإمام لا يلتفت إليها، ليتخذوا من عدم الإجابة عليها، وفق تلك المناسبات ذريعة للإصرار على الغي، ومبرراً لمواصلة إغوائهم للناس..

وبعض تلك الأسئلة قد اخترعت لتخدم اتجاهاً عقائدياً أو سياسياً بعينه، رأى مناصروه أنهم بحاجة إلى تقويته بهذه الأساليب الملتوية والمفضوحة..

لماذا الإختراع؟!:

ويبقى السؤال:

لماذا يا ترى تخترع هذه الحوارات، ويلجأ بعض الناس إلى هذه الأساليب؟!

ولا نبعد إذا قلنا في الجواب:

إن المطلوب هنا أمران:

أولهما: تبرئة طلحة والزبير، وأبي بكر وعمر، وعثمان وعائشة من أي خطأ أو تعد على حدود الشرع والدين. ومحاولة إلحاق معاوية بهم أيضاً، باعتبار أن له رأياً كما أن لعلي «عليه السلام» رأيا مثله. فالخلاف إنما هو في الرأي والاجتهاد. الأمر الذي يعني: أنه لم يرتكب جريمة، ولم يقترف ذنباً كما ينسبه إليه أنصار علي وأهل البيت «عليهم السلام».

الثاني: إظهار أن للخوارج فقهاً وعلماً، وبصيرة في الدين، وليسوا كما يقال عنهم ـ ولو كان القائل أمير المؤمنين «عليه السلام» بالذات ـ: إنهم أخفاء الهام، سفهاء الأحلام، أو إنهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم.. أو إنهم ليسوا إلا أعراباً جفاة، وأجلافاً قساة..

الباب الثاني:

واقعة النهروان

الفصل الأول: والله ما عبروا..

الفصل الثاني: آخر الإحتجاجات..

الفصل الثالث: في أجواء القتال..

الفصل الرابع: القتال في النهروان..

الفصل الخامس: بعد أن وضعت الحرب أوزارها..

الفصل السادس: حديث النهروان بروايات أخرى..

الفصل الأول:

والله ما عبروا..

كلنا قتلهم:

روى الطبري، وغيره:

عن عبد الله بن عوف قال: لما أراد علي المسير إلى أهل النهر من الأنبار قدم قيس بن سعد بن عبادة، وأمره أن يأتي المدائن فينزلها حتى يأمره بأمره.

ثم جاء «عليه السلام» مقبلاً إليهم، ووافاه قيس وسعد بن مسعود الثقفي بالنهر.. وبعث إلى أهل النهر: ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم، ثم أنا تارككم، وكاف عنكم، حتى ألقى أهل الشام، فلعل الله يقلِّب قلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم.

فبعثوا إليه فقالوا: كلنا قتلتهم، وكلنا نستحل دماءهم ودماءكم[1].

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص83 و (ط الأعلمي) ج4 ص61 و 62 والكامل في التاريخ ج3 ص343 و (ط أخرى) ج2 ص404 وعن مروج الذهب ج2 ص415 والإمامة والسياسة ج1 ص168 و (تحقيق الزيني) ج1 ص127 و 135 و (تحقيق الشيري) ج1 ص177 والبداية والنهاية

ونقول:

قيس إلى المدائن:

ذكر النص المتقدم: أنه «عليه السلام» قدم قيس بن سعد إلى المدائن، وأمره أن ينزلها إلى أن يأتيه أمره..

فلعله «عليه السلام» قد فعل ذلك على سبيل التحرز على موضع يرى أنه يمثل نقطة ضعف يمكن للخوارج أن يستفيدوا منها لتسديد ضربة غادرة، تهدف إلى إظهار قدرتهم أو على إرباكه، وإخافة جيشه بمذابح يرتكبونها في اهلها، وربما خطر على بالهم أن يتخذوا من اهلها رهائن لابتزازه بنحو، أو بآخر..

وقد تقدم: أنهم حين قصدوا النهروان، قد فكروا بمهاجمة المدائن، وإخراج أهلها منها، ثم عدلوا عنها.. فلعله كان «عليه السلام» يخشى من أن تتجدد لهم، أو لطائفة منهم.. فيكون وجود قيس بن سعد ومعه طائفة من المقاتلين فيها رادعاً لهم عنها، كما كان وجود من يحميها رادعاً لهم عن مهاجمتها في المرة الأولى.

ج7 ص288 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص319 وموسوعة الإمام على «عليه السلام» ج6 ص356.

الخوارج لم يعبروا النهر:

وردت عدة نصوص تتحدث عن إخبار أمير المؤمنين «عليه السلام» عن أن أهل النهروان لم يعبروا النهر، ونذكر منها النصوص التالية:

1 - إن الخوارج قصدوا جسر النهر، وكانوا غربه، فقال لعلي أصحابُه: إنهم قد عبروا النهر.

فقال: لن يعبروا.

فأرسلوا طليعة، فعاد وأخبرهم أنهم عبروا النهر، وكان بينهم وبينه نطفة من النهر، فلخوف الطليعة منهم لم يقربهم.

فعاد، فقال: إنهم قد عبروا النهر.

فقال علي: والله ما عبروه، وإن مصارعهم لدون الجسر، ووالله لا يُقتل منكم عشرة، ولا يسلم منهم عشرة!

وتقدم علي إليهم، فرآهم عند الجسر لم يعبروه، وكان الناس قد شكوا في قوله، وارتاب به بعضهم، فلما رأوا الخوارج لم يعبروا كبروا، وأخبروا علياً بحالهم.

فقال: والله ما كذبت، ولا كذبت[1].

---

(1) الكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج3 ص345 و (ط أخرى) ج2 ص405 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص89 عنه.

2 - قيل لعلي «عليه السلام»: إنهم يريدون الجسر، [وفي نص آخر: إن القوم عبروا جسر النهروان.

قال: مصارعهم دون النطفة]

(أو) فقال: لن يبلغوا النطفة[1].

وجعل الناس يقولون له في ذلك، حتى كادوا يشكون.

ثم قالوا: قد رجعوا يا أمير المؤمنين!

فقال: والله، ما كذبت ولا كذبت.

ثم خرج إليهم في أصحابه وقد قال لهم: إنه والله ما يقتل منكم عشرة، ولا يفلت منهم عشرة.

فقتل من أصحابه تسعة، وأفلت منهم ثمانية[2].

وقريب منه ما روي عن أبي سليمان المرعش أيضاً[1].

---

(1) قال الشريف الرضي «رحمه الله»: يعني بالنطفة ماء النهر، وهي أفصح كناية عن الماء، وإن كان كثيراً جماً.

(2) الكامل في الأدب للمبرد ج3 ص1105 وراجع: مروج الذهب ج2 ص416 وراجع: نهج البلاغة الخطبة 59 وكشف الغمة ج1 ص267 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص263 وإعلام الورى ج1 ص338 كلها نحوه، وليس فيها «مصارعهم دون النطفة»، وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص359.

3 - عن جندب بن عبد الله الأزدي قال: شهدت مع علي «عليه السلام» الجمل وصفين لا أشك في قتال من قاتله، حتى نزلنا النهروان، فدخلني شك وقلت: قراؤنا وخيارنا نقتلهم؟! إن هذا لأمر عظيم.

فخرجت غدوة أمشي، ومعي إداوة(2) ماء حتى برزت عن الصفوف، فركزت رمحي، ووضعت ترسي إليه، واستترت من الشمس، فإني لجالس حتى ورد عليٌّ أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال لي: «يا أخا الأزد، أمعك طهور»؟!

قلت: نعم.

فناولته الإداوة، فمضى حتى لم أره، ثم أقبل وقد تطهر، فجلس في ظل الترس، فإذا فارس يسأل عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين هذا فارس يريدك.

قال: «فأشر إليه».

فأشرت إليه، فجاء، فقال: يا أمير المؤمنين قد عبر القوم، وقد قطعوا النهر.

---

(1) كنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص322 ح 31625 نقلاً عن يعقوب بن شيبة في كتابه «مسير علي».

(2) الإداوة: إناء صغير من جلد يتخذ للماء كالسطيحة ونحوها. راجع: لسان العرب ج14 ص25.

فقال: «كلا ما عبروا».

قال: بلى والله لقد فعلوا.

قال: «كلا ما فعلوا».

قال: فإنه لكذلك، إذ جاء آخر، فقال: يا أمير المؤمنين قد عبر القوم.

قال: «كلا ما عبروا».

قال: والله ما جئتك حتى رأيت الرايات في ذلك الجانب والأثقال.

قال: «والله ما فعلوا، وإنه لمصرعهم ومهراق دمائهم».

ثم نهض ونهضت معه.

فقلت في نفسي: الحمد لله الذي بصَّرني هذا الرجل، وعرفني أمره.

هذا أحد رجلين. إما رجل كذاب جريء، أو على بينة من ربه، وعهد من نبيه، اللهم إني أعطيك عهداً تسألني عنه يوم القيامة، إن أنا وجدت القوم قد عبروا أن أكون أول من يقاتله، وأول من يطعن بالرمح في عينه، وإن كانوا لم يعبروا أن أقيم على المناجزة والقتال.

فدفعنا إلى الصفوف، فوجدنا الرايات والأثقال كما هي.

قال: فأخذ بقفاي، ودفعني ثم قال: «يا أخا الأزد، أتبين لك الأمر»؟!

قلت: أجل يا أمير المؤمنين.

قال: «فشأنك بعدوك».

فقتلت رجلاً، ثم قتلت آخر، ثم اختلفت أنا ورجل آخر أضربه ويضربني فوقعنا جميعاً، فاحتملني أصحابي، فأفقت حين أفقت وقد فرغ القوم(1).

زاد في نص آخر قوله: وقد كان الخوارج خرجوا عليه قبل ذلك بجانب الكوفة في حروراء، وكانوا إذ ذاك اثني عشر ألفاً، قال: فخرج إليهم أمير المؤمنين «عليه السلام» في إزاره وردائه راكباً البغلة!!

فقيل [له]: القوم شاكون في السلاح أتخرج إليهم كذلك؟!

قال: إنه ليس بيوم قتالهم، وصار إليهم بحروراء، وقال لهم: ليس اليوم أوان قتالكم، وستفترقون حتى تصيروا أربعة آلاف، فتخرجون علي في مثل هذا اليوم، في مثل هذا الشهر. فأخرج إليكم بأصحابي،

---

(1) الإرشاد ج1 ص317 وإعلام الورى ج1 ص339 وبحار الأنوار ج41 ص284 وراجع الكافي ج1 ص345 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص268 والمعجم الأوسط ج4 ص227 ح4051 وموسوعة الإمام علي «عليه السلام» ج6 ص359 - 361 وراجع: مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص406 وخصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للشريف المرتضى ص28 و 29 وكشف الغمة ج1 ص277 وراجع: كنز العمال ج11 ص274 - 276 عن الطيالسي، ومجمع الزوائد ج6 ص241.

فأقاتلكم حتى لا يبقى منكم إلا دون عشرة، ويقتل من أصحابي يومئذ دون عشرة.

هكذا أخبرني رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فلم يبرح من مكانه حتى تبرأ بعضهم من بعض، وتفرقوا إلى أن صاروا أربعة آلاف بالنهروان(1).

ويشبه حديثُ أبي وائل السهمي، حديثَ جندب بن عبد الله(2).

فلعلهما حديث واحد، ولعل أبا وائل كنية لجندب.

لكنهم وصفوا جندب بأنه أزدي. أما أبو وائل فوصفوه بالسهمي. والروايتان متقاربتان جداً. ومن البعيد تكرر الحادثة، ويكون بينهما هذا القدر من التشابه.

4 ـ وقال ابن أعثم:

وعندها نادى علي في أصحابه وأمرهم بالمسير إلى النهروان،

---

(1) الخرايج والجرايح ج1 ص227 و 228 وبحار الأنوار ج33 ص385 ومدينة المعاجز (ط حجرية) ص118 وراجع: إرشاد القلوب للديلمي ص225 وخصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للشريف الرضي ص28.

(2) راجع: تفسير فرات الكوفي ص152 وبحار الأنوار ج33 ص399 و 400.

فرحل ورحل الناس معه في السلاح، والآلة الكاملة، والعدة القوية.

حتى إذا صار قريباً من النهروان نظر، فإذا برجل من أصحابه قد عدل عن الطريق، وجلس على ترسه، فعلم علي «رضي الله عنه» أنه قد شك في قتال أهل النهروان، فعدل إليه علي بن أبي طالب، وقام الرجل فجلس علي في موضعه.

فإذا برجل قد أقبل من ناحية نهروان يركض على فرس له، فصاح به علي «كرم الله وجهه»: إلي!

فجاء إليه، فقال له علي: ما وراءك؟!

فقال: إن القوم لما علموا أنك تقاربت منهم عبروا النهروان هاربين.

فقال له علي «رضي الله عنه» [آلله،] أنت رأيتهم حين عبروا؟!

قال: نعم. [والله لأنا رأيتهم حين عبروا].

[فأحلفه ثلاث مرات، في كلها يقول: نعم].

قال علي: [كذبت والذي فلق الحبة وبرأ النسمة] كلا والذي بعث بالحق نبياً لا يعبرون.

[وفي نص آخر: ما عبروه، ولن يعبروه، وإن مصارعهم لدون النطفة.

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لن يبلغوا الأثلاث، ولا قصر بوران، حتى يقتلهم الله، وقد خاب من افترى].

ولا يبلغون إلى قصر بوران بنت كسرى حتى يقتل الله مقاتلهم على يدي، فلا يبقى منهم إلا أقل من عشرة، ولا يقتل من أصحابي إلا أقل من عشرة، ذلك عهد معهود وقضاء مقضي.

قال: ثم نهض علي فركب حتى وافى القوم، وإذا هم قد مدوا الرماح في وجه علي وأصحابه، وهم يقولون: لا حكم إلا لله.

فقال علي «رضي الله عنه»: لا أنتظر فيكم إلا حكم الله[1].

وفي نص آخر: فقام علي «عليه السلام» في متن فرسه.

قال: يقول شاب من الناس: والله لأكونن قريباً منه، فإن كانوا عبروا النهر، لأجعلن سنان هذا الرمح في عينه، أيدعي علم الغيب؟!

فلما انتهى «عليه السلام» إلى النهر وجد القوم قد كسروا جفون سيوفهم، وعرقبوا خيلهم، وجثوا على ركبهم، وحكموا تحكيمة واحدة، بصوت عظيم له زجل، واستقبلوا علياً «عليه السلام» بصدور الرماح.

فقال علي «عليه السلام»: حكم الله أنتظر فيكم.

فنزل ذلك الشاب، فقال: يا أمير المؤمنين «عليه السلام» إني كنت قد شككت فيك آنفاً، وإني تائب إلى الله وإليك، فاغفر لي.

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج4 ص268.

فقال علي «عليه السلام»: إن الله هو الذي يغفر الذنوب، فاستغفره(1).

ونقول:

لا بأس بملاحظة ما يلي:

لن يعبروا.. لماذا؟!:

1 - يلاحظ: أن النص المتقدم برقم [1] يقول: إنهم حين أخبروا أمير المؤمنين «عليه السلام» بأن الخوارج قد عبروا النهر قال: «لن يعبروا»..

حيث يلاحظ: أنه لم يقل: لم يعبروا، لكي لا يتوهم متوهم أنه يمكن أن يكون «عليه السلام» قد علم بعدم عبورهم النهر من عيون كان قد وضعهم لمراقبتهم..

أو أنه «عليه السلام» قد قال ذلك استناداً إلى تقديرات وقرائن معينة، دعته لأن يخبر أصحابه بعدم حصول ذلك.. وقد صدق في تقديراته.

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص271 و 272 وبحار الأنوار ج33 ص348 / 587 وموسوعة الإمام علي «عليه السلام» ج6 ص361 و 362 ومناقب الإمام علي لابن المغازلي ص406 - 408 ومناقب أهل البيت للشيرواني ص208 و 209 ونهج السعادة ج2 ص386 و 387 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص90.

ولكنه «عليه السلام» قال: لن يعبروا، المتضمن لنفي حصول ذلك في الماضي وفي الحال، وفي المستقبل أيضاً..

ولا يكون ذلك إلا من قبل من حصل على الخبر اليقين، وأنه أخذ الخبر ممن يرى الحاضر والمستقبل كما هو عالم بالماضي. وهو النبي «صلى الله عليه وآله» الذي يتلقى الوحي عن الله، أو يطلع على اللوح، ويقرأ فيه ما أذن له الله تعالى بالإطلاع عليه، أو يأخذ من الملك الذي يطلعه الله على هذا اللوح..

2 ـ إن هذا الجواب يدل على شدة يقين أمير المؤمنين «عليه السلام» بهذا الأمر، وهو يلقيه إلى الناس في اللحظة الحساسة جداً، وهي لحظة مواجهة أناس يتظاهرون بالزهد والصلاح، وقراءة القرآن، والإجتهاد في العبادة، حتى اسودت جباههم.

وكيف يمكن أن تمتد يد إنسان مؤمن إلى أمثال هؤلاء بأدنى أذى، فضلاً عن قتلهم، إلى حد الإبادة؟!

ولذلك قال جندب الأزدي: قراؤنا وخيارنا، كيف نقتلهم؟! إن هذا الأمر عظيم. أي لأنه يحتاج إلى إحداث إنقلاب وتحول جذري وعميق في النظرة إليهم، وفي كشف حالهم، والتحقق من خطرهم العظيم والشديد والأكيد على الدين والإيمان من الأساس، ثم على الأمة.

3 ـ وهذا التحول يحتاج إلى وسائل وأدوات، وإلى جهد صادق، من بصير حاذق، وليس هو سوى أمير المؤمنين «عليه السلام».

وكان الطريق الأقرب والأيسر، والأصوب، والأكثر فعالية وأثراً في إحداث هذا الإنقلاب هو الإعتماد على الغيب المتمثل في الإخبار الإلهي بحالهم ومآلهم، وكل ما عداه سيبقى موضع شك وريب.

وقد كان لإخباره «عليه السلام» عن عدم عبورهم الجسر التأثير القوي في حسم الأمر لدى جل الناس معه، إن لم يكن كلهم. وذلك لأنه جاء حاسماً، وقاطعاً في دلالته وصراحته، ووضوحه..

دلائل الحسم والوضوح:

وللتعرف على دلائل الحسم في خصوص هذه القضية نحاول ملاحظة ما ورد في النصوص المتقدمة، فنقول:

1 ـ لقد كانت أول الكلمات الحاسمة فيها هي كلمة: «لن» في قوله «عليه السلام»: «لن يعبروا»، ثم توالت دلائل الحسم والوضوح واحدة تلو الأخرى على النحو التالي:

2 ـ لقد حدد «عليه السلام» الموضع الذي يقتلون فيه بدقة، فقال مؤكداً بنون التوكيد الثقيلة، واللام، والجملة الإسمية: «وإن مصارعهم لدون الجسر».

أو قال: «إن مصارعهم لدون النطفة».

أو قال: «لن يبلغوا النطفة».

ولعله قال هذه العبارة مرة، وقال تلك أخرى، والثالثة في مرة ثالثة، حين أخبره بعبورهم شخص ثان، ثم ثالث.

3 ـ حدد عدد من يقتل منهم، ومن ينجو..

4 ـ إن قوله «عليه السلام»: «ما كَذَبت ولا كُذِّبت» يشير إلى أنه لا يتكلم عن رأي واجتهاد، بل هو يخبر إخباراً، وهو يؤكد على أنه صادق فيما يخبر به، بدليل أنه لم يكذب في أي خبر آخر طيلة حياته..

5 ـ إنه «عليه السلام» استعان على تأكيد صدقه فيما يخبر به بأمرين:

أولهما: القسم بالله، وهو معروف بشدة تعظيمه لله، وشدة إلتزامه ودقته في مراعاة أحكام الشريعة..

الثاني: إنه يقدم لهم شاهد صدق على ما يقول، وهو معرفتهم الطويلة به، حيث إنه في تاريخه الطويل كله، لم يصدر منه أي شيء يمكن تصنيفه في دائرة الكذب..

6 ـ إن تكرر إخبار المخبرين بعبور الخوارج للجسر الذين يصرون على أنهم يخبرون عن مشاهدة ومعاينة، ولا يكتفون بالإعتماد على ظاهر الحال.. ثم تكرر إصراره «عليه السلام» على تكذيبهم، وهو لم يزل عن مكانه، ولم يغب عنه، ولم يأته أي خبر جديد، ولم ير الناس أحداً أسرَّ إليه بشيء.. ـ إن ذلك ـ سوف يزيد من تعجب الناس، ويضاعف من ترقبهم، ويثير حماسهم لكشف الواقع.

7 ـ بل إن بعضهم يقسم له ويقول: «والله ما جئتك حتى رأيت الرايات في ذلك الجانب والأثقال»، فيجيبهم «عليه السلام» مع التأكيد

بالقسم بالله أيضاً: «والله ما فعلوا»، ثم يزيد على ذلك مؤكداً بنون التوكيد الثقيلة، وباللام، وبالجملة الإسمية، فيقول: «إنه لمصرعهم ومهراق دمائهم».

فحدد النقطة التي تهراق فيها دماؤهم، بعد أن كانت كلمة مصارعهم دون النطفة، وكلمة: «إن مصارعهم لدون الجسر» يمكن أن تنطبق على مناطق متعددة وواسعة.

8 - يضاف على ذلك: أنه «عليه السلام» قال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لن يبلغوا الأثلاث، ولا قصر بوران حتى يقتلهم الله، وقد خاب من افترى».

فالقسم بالذي فلق الحبة، وبرأ النسمة إنما يلجأ إليه حين يراد التدقيق الشديد، والتأكيد على أصغر الأمور، والعناية بأدق التفاصيل.

9 - وبعد ذلك، أخبر عن عدم صدور بعض الأفعال منهم قبل أن يموتوا، فقال: إنهم لن يبلغوا قصر بوران حتى تلك اللحظة، وهي لحظة موتهم. وأخبر أيضاً بطريقة موتهم، وأنها ستكون بالقتل. ثم أوضح أخيراً بأنه إنما يقرر خبراً، ولا يقول برأيه. وأنه صادق فيما يخبر به..

10 - وثمة دلالة أخرى يظهرها «عليه السلام» قد انتفع بها جندب بن عبد الله الأزدي الذي عاهد الله أن ينقلب عليه، ويكون أول من يطعن بالرمح في عينه، وهي أنه «عليه السلام» عرفه بأنه كان واقفاً على ما كان يدور في خلده، وأن إظهاره الطاعة له كان ينطوي

على الشك والريب، مع أن الأزدي لم تبدر منه أية بادرة تشير إلى شكه وريبه..

وهذه دلالة أخرى على أن لدى علي «عليه السلام» ميزات وخصوصيات ليست لدى سائر البشر، ومنها: قدرته على معرفة ما يدور بخلد الناس وضمائرهم.

11 - إنه «عليه السلام» يناشد من يخبره بعبور الخوارج للجسر بالله إن كان قد رآهم فعلوا ذلك، فيأتيه الجواب بالإيجاب..

ثم يؤكد ذلك بإحلافه ثلاث مرات، وفي كلها يقول ذلك الرجل: نعم.

فهذا الإمعان في استقصاء الجهد في استخراج المؤكدات على عبورهم الجسر كان يحدث بمرأى ومسمع من الناس كلهم، فكان ذلك يزيدهم شوقاً إلى معرفة الصواب من ذلك، لأنهم كانوا تواقين لتلافي الصدام مع الخوارج، لأنهم كانوا منهم، وفيهم أهلهم، وأقاربهم وأصدقاؤهم. وهذا من شأنه أن يدغدغ مشاعرهم، ويراود أحلامهم بالتخلص من حربهم.

الطليعة الخائف:

واللافت هنا: أن الطليعة الذي أخبر بعبور الخوارج للنهر قد تعمد الإخبار بما لا يعلم حقيقته، لأنه لم يرهم قد عبروا النهر، لأنه لم يصل إليهم، وقد كَبُرَ عليه أن يظن الناس فيه أنه قد خاف، ولكنه لم

يتحرج من أن يخبر بما لا يعلمه..

وإذا كان هذا الرجل هو نفسه الذي سأله علي «عليه السلام» إن كان قد رآهم قد عبروا النهر، فأجاب: بنعم، وحلف على حصول ذلك، فإن ذلك يجعله مصداقاً لقوله تعالى: **(إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا..)**(1). لأن قضيته تشبه قضية الوليد بن عقبة..

والأمر يصير أكثر إشكالاً إذا كان هذا هو حال جميع الذين أخبروا بعبور الخوارج النهر، وشهدوا برؤية ذلك، وأقسموا عليه.

ويحق لنا أن نقول:

(تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ)(2). ولا نريد أن نزيد على ذلك.

ولعلك تقول: إذا كان «عليه السلام» يعرف أنهم كاذبون، فلماذا يطلب منهم أن يقسموا؟! ألا يعد هذا منه «عليه السلام» إغراء لهم بمعصية الله؟!

ونجيب:

أولاً: إن من يتوهم بسبب خوفه، لا يعد كاذباً.

ثانياً: إن الإمام لا يعامل الناس على حسب يقينه، الذي جاء بطرق الإخبارات الغيبية.

ثالثاً: لعل البداء يجري في مثل هذه الأمور أيضاً.

---

(1) الآية 6 من سورة الحجرات.

(2) الآية 118 من سورة البقرة.

رابعاً: لعل من يتعمد الكذب في هذه الموارد، ويهدف إلى تكذيب الأنبياء وأوصيائهم لا تبقى له حرمة.. بل يجب فضحه، ولو بلغ المر هذا المقدار من التحدي.

شك الناس:

والأكثر غرابة، وأشد سوءاً: أن نرى الناس قد شكوا في قول أمير المؤمنين «عليه السلام»، وارتاب به بعضهم، والحال: أن الواجب كان يقضي بأن يحكموا بكذب أولئك المخبرين عن عبور الخوارج للنهر، وذلك لسببين:

أولهما: تواتر إخباراته «عليه السلام» للناس بالغيوب الصادقة التي يرون رأي العين أنها تتحقق باستمرار.. ألم تكفِ كل تلك الحوادث، وما أكثرها لتعريفهم بأنه «عليه السلام» لا يمكن أن يكون موضع ريب وشك؟!

الثاني: ألم يسمعوا ويقرأوا آية التطهير النازلة في أهل البيت «عليهم السلام»، وعلي منهم؟! وألم يكفهم ما سمعوه عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، من أنه قال: علي مع الحق والحق مع علي «عليه السلام».. فكيف يستجيزون لأنفسهم أن يرتابوا بما يخبرهم به حتى وإن أخبرهم الناس كلهم بخلافه؟!

ألا يعد هذا من مفردات رد النص القرآني، وردِّ كلام الرسول «صلى الله عليه وآله»؟!

قد رجعوا يا أمير المؤمنين!!:

ذكرت الرواية المتقدمة برقم [2]: أنه «عليه السلام» قال: لم يبلغوا النطفة.

ثم قالوا: قد رجعوا يا أمير المؤمنين.

فقال «عليه السلام»: والله، ما كَذَبت ولا كُذِّبت..

وهذا كلام متهافت، فإن قوله «عليه السلام»: «ما كَذَبت ولا كُذِّبت» لا يلائم قولهم: قد رجعوا. لأن قولهم هذا معناه: أنهم قد عبروا ثم رجعوا، لأن الرجوع لا يكون إلا بعد الذهاب والعبور..

وقوله: ما كَذَبت ولا كُذِّبت تأكيد لقوله السابق «عليه السلام»: لم يبلغوا النطفة، وهو لا يتوافق مع دعوى الرجوع بعد العبور..

هذه لك آية:

روى الكليني «رحمه الله»: أن أحد فرسان الخوارج، جاء إلى علي «عليه السلام» ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين؛ فسأله «عليه السلام» عن سبب ذلك، فأخبره بأنه قد برئ منه يوم صفين، وسماه مشركاً بسبب التحكيم. قال: «فأصبحت لا أدري إلى أين أصرف ولايتي. والله لأن أعرف هداك من ضلالتك أحب إلي من الدنيا وما فيها».

فقال له علي «عليه السلام»: ثكلتك أمك، قف مني قريباً أريك علامات الهدى من علامات الضلالة.

فوقف الرجل قريباً منه، فبينما هو كذلك إذ أقبل فارس يركض، حتى أتى علياً «عليه السلام» فقال: يا أمير المؤمنين، أبشر بالفتح، أقر الله عينك. قد ـ والله ـ قتل القوم أجمعون.

فقال له: من دون النهر، أو من خلفه؟!

قال: بل من دونه.

فقال: كذبت والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لا يعبرون أبداً حتى يقتلوا.

فقال الرجل: فازددت فيه بصيرة.

فجاء آخر يركض على فرس له، فقال له مثل ذلك، فرد عليه أمير المؤمنين «عليه السلام» مثل الذي رد على صاحبه.

قال الرجل الشّاك: وهممت أن أحمل على علي، فأفلق هامته بالسيف.

ثم جاء فارسان يركضان، قد أعرقا فرسيهما، فقالا: أقر الله عينك يا أمير المؤمنين، أبشر بالفتح، قد ـ والله ـ قتل القوم أجمعون.

فقال علي: أمن خلف النهر، أو من دونه؟!

قال: لا بل من خلفه، إنهم لما اقتحموا خيلهم النهروان، وضرب الماء لبات خيولهم رجعوا، فأصيبوا.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام» لهما: صدقتما.

فنزل الرجل عن فرسه، فأخذ بيد أمير المؤمنين وبرجله، فقبلهما.

فقال علي «عليه السلام»: هذه لك آية(1).

ونقول:

لا يخبرهم بالغيب تبجحاً!!:

وقد قلنا مراراً وتكراراً: إن الإخبارات الغيبية التي كان علي «عليه السلام» يقدمها للناس، كانت سبيل هداية لهم، ولتربط على قلوبهم، وتحفظ لهم إيمانهم.. وهذه الرواية واضحة الدلالة على هذا الأمر، ولم يكن يريد أن يتبجح بهذه الأخبار ويُدِلّ بها على الناس. ولو فعل ذلك لما استحقها، ولا حباه بها الله ورسوله..

سعة صدر علي ×:

إن هذا النص يدلنا على سعة صدر أمير المؤمنين «عليه السلام»، فلم يكن ينزعج ممن يصارحه بحقيقة ما يجول في خاطره، بل كان يرفق به، ويفتح له قلبه، ولو أن أحداً سواه أتاه إنسان كان يرميه بالشرك، ويبرأ منه، لما صبر عن زجره، وتقريعه، وتأنيبه وطرده، إن لم يبطش به..

ثكلتك أمك!! لماذا؟!

قد يقال: إن سعة الصدر لا تتلائم مع قوله «عليه السلام» لهذا

---

(1) الكافي ج1 ص280.

الرجل: ثكلتك أمك، مع أنه جاء مستجيراً به، ويستحق منه الترحيب..

ونجيب:

بأن الناس قد يحتاجون إلى بعض القسوة الزاجرة، حين يظهر أنهم قد قصروا في حق أنفسهم حتى أوصلوها إلى شفير الهاوية. فلا بد من تحسيسهم بخطورة الأمر، كما أنه ذنب يستحق أن يؤنب عليه فاعله، ولو بمثل كلمة ثكلتك أمك، وكأنه يقول له: إلى متى أنت تائه؟! ولماذا لا تدقق في الأمور، ولا تلتفت إلى مصيرك، فإن الأمر حساس بالنسبة إليك، فلو أن أمك قد ثكلت بك، قبل أن تصل إلى هذا الحال لكان خيراً لك ولها..

كما أنه إذا كان قد خلع يده من طاعة ولي الأمر، ونكث بيعته، فإنه يكون قد ركب أمراً عظيماً، بلا بينة ظاهرة له، وبلا حساب لعواقب ذلك..

وقد كان الأحرى به: أن يستوضح الأمور قبل أن يتخذ قراراً خطيراً كهذا، ولو أراد «عليه السلام» أن يأخذه بذنبه للقي المصير الأسود الذي لا يحسد عليه.

فلو أن أمه تثكل به قبل هذا لكان خيراً له..

على أنه لو استقبل «عليه السلام» هذا الرجل بلهفة، وأظهر له اللطف الزائد الذي لا يتوقعه، فلربما يسيء فهم ذلك، ويتخيل أنه إنما

يفعل ذلك لأنه بحاجة إليه في هذه اللحظات الحرجة، لكي يدافع عنه كشخص، وليحتفظ بالملك لنفسه، أو ليكتسب ولاءه ومحبته، وثقته وتأييده، ولو بالكلمة المعسولة التي تخفي وراءها الدهاء والغش، والمكر والخديعة..

ثكلتك أمك يا حر:

قالوا:

لما علم عبيد الله بن زياد بقرب وصول الحسين «عليه السلام» أمر الحر بن يزيد التميمي أن يخرج بألف رجل ليلقى الحسين في الطريق.

فلقيه قريباً من القادسية، حتى وقف الحر وخيله مقابل الحسين «عليه السلام» في حر الظهيرة، والحسين وأصحابه معتمون متقلدون أسيافهم.

فقال الحسين لفتيانه: اسقوا القوم وارووهم من الماء، ورشفوا الخيل ترشيفاً.

فقام فتيانه، فرشفوا الخيل ترشيفاً.

فقام فتية وسقوا القوم من الماء حتى أرووهم، وأقبلوا يملؤون القصاع والأتوار والطساس..

وحين جاء وقت الصلاة قالوا للمؤذن: أقم. فأقام الصلاة.

فقال الحسين «عليه السلام» للحر: أتريد أن تصلى بأصحابك؟!

قال: لا بل تصلى أنت، ونصلى بصلاتك.

قال: فصلى بهم الحسين.

إلى أن تقول الرواية عن الإمام «عليه السلام»: إنه أراد أن يتقدم، فجاء الحر بن يزيد فسايره وقال: إلى أين تذهب يا بن بنت رسول الله؟!

قال: إلى العراق.

قال: ارجع من حيث أتيت، أو اذهب إلى الشام حيث يزيد بن معاوية، ولكن لا ترجع إلى الكوفة.

فأبى الحسين، ثم سار إلى العراق والحر بن يزيد يمنعه، فقال الحسين للحر: ثكلتك أمك ما تريد؟!

قال: أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أمه بالثكل أن أقوله كائناً من كان، ولكن والله ما لي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما يقدر عليه.

فعند ذلك امتنع الحسين عن الذهاب.

ثم جاءت مؤخرة الجيش وكان مقدارها أربعة آلاف بقيادة عمر بن سعد بن أبي وقاص وواجهوا الحسين في مكان يقال له كربلاء[1].

---

(1) راجع: مقتل الحسين لأبي مخنف ص82 والإرشاد ج2 ص77 وبحار الأنوار ج44 ص375 والعوالم، الإمام الحسين «عليه السلام» ص226

ونقول:

يذكرنا قوله «عليه السلام» للخريت: «ثكلتك أمك» بقول الحسين «عليه السلام» للحر بن يزيد الرياحي: «ثكلتك أمك».

ولكن أين الثرى من الثريا، وأين الخريت من الحر، وأين النور من الظلمات؟! فإن هذه الكلمة التي قالها الإمام الحسين «عليه السلام»، كانت بمثابة بساط الريح الذي حمل الحر من أرض الشهوات، والشبهات، والضلالات والأهواء، ومن محيط الجريمة والرذيلة، ومن الأجواء التي تنضح بالخزي والعار، ليلقيه من جنان الخلد في عليين، وفي واحات رضا الرحمن، ومنازل الكرامة والعز والرضوان، ويلحقه بالصديقين، مع محمد وآله الطاهرين.

لم يكن الحر من الفقهاء، ولا من العلماءن ولعله كان يعرف العناوين العامة من الإسلام، ويمارس الطقوس والحركات، ولكنه حين رأى تعامل الإمام الحسين «عليه السلام» معه، حتى لقد سقاه وسقى خيله، وهو في عداد الأعداء رجع إلى فطرته، وأعمل عقله، ونظر بعين بصيرته، فرأى أنوار الهداية والطهر، والحق والصدق ساطعة في جبين الإمام الحسين «عليه السلام».. وتذكر كل ما كان قد سمعه. وراجع كل ما عرفه، وعرضه واستعرضه في وجدانه، وفي

ولواعج الأشجان ص89 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص302 والكامل في التاريخ ج4 ص46.

فطرته، وفي صفاء نفسه، فعرف ما كان يجهل، وأبصر ما كان عمياً عنه.

لقد أدرك «رحمه الله» أن عليه أن يخرج من بحار الظلمات: ظلمات الأهواء، والمغريات التي كانت تشده إلى الأرض ليخلد إليها، وتزين له الحياة الدنيا، وتظهر له مفاتنها ومباهجها، ليزداد تعلقاً بها، فهو رجل شجاع، بل هو أشجع أهل الكوفة في زمانه. وهو قائد فذ، ورئيس مطاع، لم يترب في بيئة أهل البيت «عليهم السلام»، ولا عاش طهرهم، ولا ورعهم، ولا عاين زهدهم، ولم ير الكثير من باهر علومهم، ورضيِّ أخلاقهم، وجميل شيمهم، ووافر كرمهم، وعظيم وفائهم، وكريم خصالهم.

بل عاش في محيط التنافس القبلي، والعصبيات العشائرية، وفي أجواء تهيمن عليها الأطماع، وفي بهرجات المقامات، والبحث عن المنافع والمصالح. لا يفكر في مصير أمة، ولا يهتم بمحتاج، ولا يخطر على باله معونة فقير، أو دفاع عن مظلوم، أو العمل للدين والقيم، وللمآثر والشيم.

وحين قال له الإمام الحسين «عليه السلام»: «ثكلتك أمك» كان «عليه السلام» جاداً وقاصداً لما يقول، فإن من الخير للحر أن تثكله أمه قبل أن يبتلى بالعدوان على أوصياء الأنبياء، أو سيد شباب أهل الجنة.

وحين هزته هذه الكلمة من الأعماق، وهمَّ أن يبادل الحسين «عليه السلام» الموقف بمثله، عرف أن الحسين من معدن آخر، فإن أمه ليست كام الحر لكي يدعو عليها بالثكل، فخضع وبخع، وتطامن أمام الحق، والتزم الصدق.. وحرر نفسه من كل تلك القيود التي كانت تشد إلى الأرض لتغرسه فيها.

أما الخريت.. فكانت أرض الأهواء قد ابتلعته، وبحار الشهوات قد أغرقته، فجاءت صرخة الإمام علي «عليه السلام» كصيحة في واد. ليس فيها داعٍ ولا مجيب، لأن الخريت لم يكن حاضراً، بل كان شيطانه هو الحاضر، وخيال الخريت هو المترائي للناظر.

هل يحب علي × الإطراء؟!:

إنه «عليه السلام» قد استدرج ذلك الرجل بسؤاله عن سبب عدم مخاطبته بإمرة المؤمنين حتى أقر له بمشكلته. وكأنه «عليه السلام» أراد أن يشعره بأنه يتهمه في مسالمته، ومعاداته، والتزامه بالبيعة.. فاحتاج ذلك الرجل إلى توضيح أمره، وكشف ستره..

وهذا السؤال لا يمكن أن يحمل على أنه من حب الإطراء، ومن دلائل حب الدنيا وزينتها..

بل هو من باب التعليم والتأديب، الذي هو من مسؤوليات الحاكم ومن حقوق رعيته عليه، فقد قال «عليه السلام»: «فأما حقكم عليَّ فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا. وتأديبكم كيما

تعلموا»(1).

ويتأكد معنى التأديب والتعليم بملاحظة: أن لقب أمير المؤمنين كان منحة إلهية حباه الله تعالى بهها على لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يخاطبه به «عليه السلام» بسبب البيعة.

لكن الآخرين سطوا على هذا اللقب، واستأثروا به لأنفسهم من غير حق.

ومخاطبته بهذا اللقب بناءً على أن الله حباه به، وطاعة لرسول الله فيها ثواب عظيم. فلا ضير في لفت نظر ذلك الرجل إلى هذا الأمر على سبيل التعليم والدلالة..

إلى أين أصرف ولايتي؟!:

وقد عبر ذلك الرجل عن حيرته وضياعه، حيث إنه بعد أن كفَّر علياً «عليه السلام» وحكم عليه بالشرك، لم يجد أحداً يستحق أن يتولاه، ويجاهد بين يديه عدوه، ويجبى به الفيء، وتأمن به السبل..

وهذا يدل على أمرين:

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص84 الخطبة رقم 34 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص189 ومطالب السؤول ص289 وبحار الأنوار ج34 ص74 وج74 ص333.

أحدهما: أن هذا الرجل ليس نموذجاً فريداً في الخوارج، بل الشواهد تثبت أن معظم أو كل الخوارج شكاك، وليسوا من أهل اليقين.

الثاني: يبدو أن سبب حيرة هذا الرجل هو أنه لا يريد أن يموت ميتة جاهلية، لأن حديث: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، وكذلك حديث: من مات وليس في عنقه بيعة، كان متداولاً ومتسالماً عليه بين الناس، ولا مجال لإنكاره، أو الخروج منه.

وهو يعرف ـ كما يعرف غيره ـ: أن مقصود رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن تكون البيعة لإمام عادل، جامع للأوصاف التي يريدها الله تعالى. وليس لمطلق إمام ولو كان جائراً.

مظاهر الثقة بأمير المؤمنين × :

وإن لجوء هذا الرجل الشاك إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» ليعالج له شكه، ويخرجه من البلاء الذي أوقع نفسه فيه، يدل على أمرين:

أولاً: إن ذلك الرجل كان صادقاً مع نفسه، ولكنه انقاد للشبهة عن قصور فكري، وعن شعور تملَّكه: بأن دينه يفرض عليه أن يرفض التحكيم..

ويبدو: أنه لم يسمع احتجاجات أمير المؤمنين «عليه السلام» وأصحابه، بل كان في أجواء بعيدة عنها وعنهم، وقد انساق مع الشائعات، والشعارات.. حتى حصلت له اليقظة، والتفت إلى نفسه في

هذه اللحظات الحرجة، فوجدها تضج بالحيرة، ويعصف بها الضياع. فصار يبحث عن الحق، فلم يجد أحداً يمكن أن ينقذه مما هو فيه إلا أمير المؤمنين بالذات..

ثانياً: إن لجوء هذا الرجل إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» دون سواه يدل على مكانته «عليه السلام» في قلوب المسلمين. وهي مكانة صدقتها الوقائع المتتالية التي بينت عدله وصدقه، وعلمه وإخلاصه، وكل ما يدعو إلى الوثوق به، والطمأنينة إليه..

هذا بالإضافة إلى ما كان يطرق أسماع الناس عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» من أنه قال: علي مع الحق، والحق مع علي يدور معه حيث دار(1).

وقال «صلى الله عليه وآله»: علي مع القرآن، والقرآن معه، ولن

(1) كشف الغمة ج2 ص35 وج1 ص141 - 146 والجمل ص36 وتاريخ غداد ج14 ص321 والمستدرك للحاكم ج3 ص119 و 124 وتلخيصة للذهبي (مطبوع مع المستدرك) نفس الجزء والصفحة، والجامع الصحيح للترمذي ج3 ص166 وكنوز الحقائق للمناوي ص65 و 70 ومجمع الزوائد ج7 ص233 و 234 وجامع الأصول ج9 ص420 والجمل ص36 وتاريخ بغداد ج14 ص322 وراجع نزل الأبرار ص56 وكنز العمال ج6 ص157 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص297 وج18 ص72 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص449.

يفترقا حتى يردا على الحوض[1].

(1) ربيع الأبرار ج1 ص828 و 829 وأمالي الطوسي ج2 ص120 و (ط دار الثقافة سنة 1414هـ) ص460 و 479 و 506 و (ط أخرى) ج1 ص474 الحديث رقم 37 من الجزء 16 والأربعون لابن بابويه ص73 والطرائف لابن طاووس ص103 والصراط المستقيم ج3 ص163 وكتاب الأربعين للشيرازي ص97 وبحار الأنوار ج22 ص223 و 476 وج32 ص206 وج38 ص35 و 36 و 38 و 118 وج89 ص80 وكتاب الأربعين للماحوزي ص91 و 110 ومناقب أهل البيت للشيرواني ص174 وخلاصة عبقات الأنوار ج1 ص163 و 297 وج7 ص211 والمراجعات ص74 والنص والإجتهاد ص144 و 567 ومستدرك سفينة البحار ج8 ص455 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص107 وميزان الحكمة ج1 ص139 والمستدرك للحاكم ج3 ص124 ومجمع الزوائد ج9 ص134 والمعجم الأوسط ج5 ص135 والمعجم الصغير ج1 ص255 والجامع الصغير ج2 ص177 وكنز العمال ج11 ص603 وفيض القدير ج4 ص470 ومناقب علي بن أبي طالب وما نزل من القرآن في علي للأصفهاني ص117 والجمل ص417 و 418 و (ط مكتبة الداوري) ص223 وتنبيه الغافلين لابن كرامة ص50 والمناقب للخوارزمي ص177 وكشف الغمة ج1 ص148 وج2 ص28 و 29 و 35 وكشف اليقين ص236 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص297 و ينابيع المودة لذوي القربى ج1 ص124 و 269 وج2 ص96 و 396 و 403 والنصائح الكافية ص215 عن جواهر العقدين ج2 ص174 - 175 وعن جمع الفوائد ج2 ص212 وراجع: تفسير الحبري ص153 و 154 وفرائد

وقد قال معقل بن قيس للخريت بن راشد الخارجي: خبرني لو أنك خرجت حاجاً، فقتلت شيئاً من الصيد مما قد نهى الله عز وجل عنه، ثم أتيت علياً «عليه السلام» فاستفتيته في ذلك فأفتاك. هل كان عندك رضا؟!

فقال: بلى، لعمري، إنه عندي لرضا، وقد قال النبي «صلى الله عليه وآله»: أقضاكم علي «عليه السلام».

فقال له معقل: فكيف ترضى به في علمه، ولا ترضى به فيما حكم؟!

إلخ..[1].

الأنصار مع علي × :

يلاحظ: أن ابن عباس كان مهتماً بالتأكيد على وجود الصحابة، وعلى كثرتهم مع أمير المؤمنين «عليه السلام»..

وتصرح النصوص أيضاً: بأن المهاجرين والأنصار هم الذين قتلوا الخوارج.

وإليك طائفة من النصوص التي تؤكد هذا المعنى:

السمطين ج1 ص177 وتاريخ الخلفاء ص173 والصواعق المحرقة ص124.

(1) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج4 ص77.

قالوا: إنه حين كلم ابن عباس الخوارج قال لهم: «أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار، ومن عند صهر رسول الله «صلى الله عليه وآله» علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وعليهم نزل القرآن، وهو أعلم بتأويله منكم».

إلى أن تقول الرواية: إنه «رحمه الله» قال لهم: «هاتوا ما نقمتم على صهر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والأنصار، وعليهم نزل القرآن، وليس منكم أحد منهم، وهم أعلم بتأويله منكم»[1].

وحسب نص آخر: «جئتكم من عند أمير المؤمنين، ومن عند أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومن عند المهاجرين والأنصار. ولا أرى فيكم أحداً منهم لأبلغكم ما قالوا، أو أبلغهم ما تقولون»[2].

زاد في نص آخر قوله: «أخبروني ماذا نقمتم على أصحاب رسول الله وابن عمه الخ..».

إلى أن قال: «فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم، فقتلوا على

---

(1) المناقب للخوارزمي ص184 و (ط جماعة المدرسين سنة 1414هـ) ص261 وتذكرة الخواص ص99.

(2) ترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج3 ص151 وذخائر العقبى ص232 وراجع: جامع بيان العلم وفضله ج2 ص104.

ضلالتهم، فقتلهم المهاجرون والأنصار»(1).

وحسب نص آخر: «أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وختنه، وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» معه»(2).

وفي رواية: «جئتكم من عند صهر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وابن عمه. وأعلمنا بربه، وسنة نبيه، من عند المهاجرين والأنصار»(3).

وحين رجع أبو قتادة إلى المدينة، بعد فراغهم من أهل النهروان،

---

(1) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص147 - 149 وفي هامشه عن: مناقب آل أبي طالب ج1 ص267 وعن البداية والنهاية ج7 ص276 و 281 وعن تاريخ اليعقوبي ج2 ص167 والمستدرك للحاكم ج2 ص150 وتلخيص المستدرك للذهبي (مطبوع بهامش المستدرك)، ولم يذكر العبارة الأخيرة. وراجع: نهج السعادة ج2 ص327.

(2) المصنف للصنعاني ج10 ص158 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص126 والدر المنثور ج2 ص157 والمعجم الكبير ج10 ص257 ومجمع الزوائد ج6 ص240 عن الطبراني، وأحمد ببعضه، ورجالهما رجال الصحيح.

(3) الكامل في الأدب ج3 ص211 وراجع: نور الأبصار ص98 والفصول المهمة لابن الصباغ ص84 وبهج الصباغة (ط أولى) ج7 ص171 والعقد الفريد ج3 ص389.

كان معه ستون، أو سبعون من الأنصار، قال: «فبدأ بعائشة.

قال أبو قتادة: فلما دخلت عليها قالت: ما وراءك؟!

فأخبرتها: أنه لما تفرقت المحكّمة من عسكر المؤمنين لحقناهم، فقتلناهم.

فقالت: ما كان معك من الوفد غيرك؟!

قلت: بلى، ستون، أو سبعون.

قالت: أفكلهم يقول مثل الذي تقول؟!

قلت: نعم.

قالت: قص علي القصة الخ..»(1).

---

(1) تاريخ بغداد ج1 ص160 وتذكرة الخواص ص104 و 105 وبهج الصباغة (ط أولى) ج7 ص188 و 120.

الفصل الثاني:

آخر الإجتجاجات..

صعصعة.. والراسبي:

ويقولون:

إنه لما بعث علي بن أبي طالب «عليه السلام» صعصعة بن صوحان إلى الخوارج قالوا له: أرأيت لو كان علي معنا في موضعنا أتكون معه؟!

قال: نعم.

قالوا: فأنت إذاً مقلد علياً دينك، ارجع فلا دين لك!!

فقال لهم صعصعة: ويلكم، ألا أقلِّد من قلَّد الله فأحسن التقليد، فاضطلع بأمر الله صديقاً لم يزل!

أولم يكن رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا اشتدت الحرب قدمه في لهواتها، فيطأ صماخها بأخمصه(1)، ويخمد لهبها بحدِّه؟!

---

(1) «يطؤ صماخها بأخمصه». الأخمص: من باطن القدم ما لم يبلغ الأرض، وهو كناية عن الإستيلاء على الحرب، وإذلال أهلها.

مكدوداً في ذات الله عنه، يعبر رسول الله والمسلمون.

فأين تصرفون؟! وأين تذهبون؟! وإلى من ترغبون؟! وعمن تصدفون؟! عن القمر الباهر، والسراج الزاهر، وصراط الله المستقيم، وسبيل الله المقيم؟!

قاتلكم الله أنى تؤفكون؟! أفي الصديق الأكبر والغرض الأقصى ترمون؟!

طاشت عقولكم، وغارت حلومكم، وشاهت وجوهكم[1].

لقد علوتم القلة من الجبل، وباعدتم العلة من النهل[2].

أتستهدفون أمير المؤمنين «عليه السلام»، ووصي رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! لقد سولت لكم أنفسكم خسراناً مبيناً!

فبعداً وسحقاً للكفرة الظالمين، عدل بكم عن القصد الشيطان، وعمي بكم عن واضح المحجة الحرمان.

فقال له عبد الله بن وهب الراسبي[3]: نطقت يا ابن صوحان

---

(1) الطيش: الخفة. وشاهت الوجوه: أي قبحت.

(2) العل: الشربة الثانية، أو الشرب بعد الشرب تباعاً. والنهل ـ محركة ـ: أول الشرب.

(3) كان هو رأس الخوارج، والراسبي منسوب إلى بني راسب، وهي قبيلة نزلت البصرة. وإنما هو رأس الخوارج، لأنه أول من بايعه الخوارج بعد التحكيم في الكوفة، وذلك أول نبوغ الخوارج على وجه الأرض.

بشقشقة بعير، وهدرت فأطنبت في الهدير، أبلغ صاحبك أنَّا مقاتلوه على حكم الله والتنزيل.

فقال عبد الله بن وهب أبياتاً ـ قال العكلي الحرماري: ولا أدري أهي له أم لغيره ـ:

نقاتلكم كي تلزموا الحق وحده ونضربكم حتى يكون لنا الحكم

فإن تتبعوا حكم الإله يكن لكم إذا ما اصطلحنا الحق والأمن والسلم

وإلا فإن المشرفية محذم بأيدي رجال فيهم الدين والعلم(1)

فقال صعصعة: كأني أنظر إليك يا أخا راسب مرملاً بدمائك، يحجل الطير بأشلائك(2)، لا تجاب لكم داعية، ولا تسمع منكم واعية، يستحل ذلك منكم إمام هدى.

قال الراسبي:

سيعلم الليث إذا التقينا دور الرحا عليه أو علينا

أبلغ صاحبك أنا غير راجعين عنه أو يقرَّ لله بكفره، أو يخرج عن

(1) المشرفي: المنسوب إلى مشارف الشام، وقرى من أرض العرب تدنو من الريف، وسيف مشرفي باللفظ المفرد، وسيوف مشرفية بهاء منسوبة إليها. والمحذم، والحذم ـ بفتح الحاء وكسر الذال ـ من السيوف: القاطع.

(2) يقال: حجل الطائر إذا نزى في مشيته. والأشلاء: الأعضاء.

ذنبه، فإن الله قابل التوب، شديد العقاب، وغافر الذنب، فإذا فعل ذلك بذلنا المهج!!

فقال صعصعة: «عند الصباح يحمد القوم السرى»(1).

ثم رجع إلى علي «صلوات الله عليه»، فأخبره بما جرى بينه وبينهم، فتمثل علي «عليه السلام»:

أراد رسولاي الوقوف فراوحا يداً بيد ثم اسهما لي على السوا

بؤساً للمساكين يا ابن صوحان، أما لقد عهد إلي فيهم، وإني لصاحبهم، وما كذبت ولا كذبت، وإن لهم يوماً يدور فيه رحا المؤمنين على المارقين، فيا ويحها حتفاً ما أبعدها من روح الله، ثم قال:

إذا الخيل جالت في الفتى وتكشفت عوابس لا يسألن غير طعان
فكرت جميعاً ثم فرق بينها سقى رمحه منها بأحمر قان
فتى لا يلاقي القِرن إلا بصدره إذا أرعشت أحشاء كل جبان

ثم رفع رأسه ويده إلى السماء وقال:

اللهم اشهد ـ ثلاثاً ـ قد أعذر من أنذر، وبك العون، وإليك المشتكى، وعليك التكلان، وإياك ندرأ في نحورهم.

---

(1) قال الميداني: هو مثل يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة.

أبى القوم إلا تمادياً في الباطل، ويأبى الله إلا الحق، فأين يذهب بكم عن حطب جهنم، وعن طيب المغنم.

وأشار إلى أصحابه، وقال: استعدوا لعدوكم، فإنكم غالبوهم بإذن الله. ثم قرأ عليهم آخر سورة آل عمران(1).

ونقول:

خطب صعصعة في الخوارج:

إن هذا النص يمثل نموذجاً لخطب صعصعة التي كان يلقيها على الناس إذا تكلمت الخوارج، والتي طار صيتها في البلاد، واشتهر أمرها بين العباد، حتى ليقول الجاحظ:

إن أشيم بن شقيق بن ثور قال لعبيد الله بن زياد بن ظبيان: ما أنت قائل لربك، وقد حملت رأس مصعب بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان؟!

قال: اسكت، فأنت يوم القيامة أخطب من صعصعة بن صوحان إذا تكلمت الخوارج(2).

بل ذكروا: أنه «رحمه الله» خطبهم مرة، فرجع منهم خمس مئة،

---

(1) الإختصاص ص121 - 123 وبحار الأنوار ج33 ص401 - 403 ونهج السعادة ج2 ص381 - 383.

(2) البيان والتبيين ج1 ص326 و 327 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص298.

فدخلوا في جملة علي «عليه السلام» وجماعته[1].

بل ذكر بعضهم: أن صعصعة وعظ الخوارج، فرجع منهم ألفان[2].

ويبدو لنا: أنه أخذ ذلك من قول البلاذري: «..فبعث إليهم علي، ابن عباس وصعصعة، فوعظهم صعصعة، وحاجهم ابن عباس، فرجع منهم ألفان»[3].

ويؤيد ذلك: أن كلام صعصعة قد أثَّر حتى في عبد الله بن الكواء إلى حد أنه صار يشاركه في إسداء النصيحة للخوارج، وذلك قبل أن يجتمع الأشعري وابن العاص في دومة الجندل.

فقد روى ابن أبي شيبة: أن علياً «عليه السلام» بعث صعصعة، وابن عباس إلى الخوارج بحروراء، فقال لهم صعصعة: إنما يكون القضية من قابل، فكونوا على ما أنتم حتى تنظروا القضية كيف تكون.

قالوا: إن نخاف أن يحدث أبا (كذا) موسى شيئاً يكون كفراً..

---

(1) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص354 وتاريخ مدينة دمشق ج27 ص106 وراجع ج49 ص292.

(2) الفتنة الكبرى ج2 ص95 ونهج السعادة ج2 ص340 وأنساب الأشراف (ط الأعلمي 1394 هـ) ص355.

(3) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص355 وأنساب الأشراف (ط الأعلمي 1394 هـ) ص355.

قال: فلا تكفروا العام مخافة عام قابل.

فلما قام صعصعة، قال لهم ابن الكواء: أي قوم! ألستم تعلمون أني دعوتكم إلى هذا الأمر؟!

قالوا: بلى.

قال: فإن هذا ناصح، فأطيعوه[1].

العجب العجاب:

وبعد هذا.. فإن مما يثير العجب ويضحك حتى الثكلى: أن نرى الجوزجاني يعد صعصعة بن صوحان من الخوارج الذين نبذ الناس حديثهم[2].

مع أن حال صعصعة في نصرته وفي إخلاصه لعلي «عليه السلام» وتفانيه في حبه، كالنار على المنار، وكالشمس في رائعة النهار..

يضاف إلى ذلك: أن هؤلاء الناس يذكرون تارة: أنه «ليس في أهل الأهواء أصح حديثاً من الخوارج»[3].

---

(1) لسان الميزان ج3 ص329 وتاريخ مدينة دمشق ج49 ص292 عن يعقوب بن شيبة.

(2) أحوال الرجال ص35.

(3) راجع: ميزان الإعتدال ج2 ص236 والعتب الجميل ص121 عن مقدمة فتح الباري ص432 وج2 ص154 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني

ويروي البخاري عن عمران بن حطان مادح عبد الرحمن بن ملجم، بقوله:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا(1)

وأخرى يقولون: إن الناس نبذوا حديث الخوارج، ويروون عن شيخ منهم تاب ورجع عن مقالتهم قوله محذراً: إن هذه الأحاديث دين،

ص587 وسؤالات الآجري لأبي داود ج2 ص117 والكفاية في علم الرواية ص158 وتاريخ مدينة دمشق ج43 ص489 وتهذيب الكمال ج22 ص323 وسير أعلام النبلاء ج4 ص214 وميزان الإعتدال ج3 ص236 وتهذيب التهذيب ج8 ص113 وتاريخ الإسلام للذهبي ج6 ص155 .

(1) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص1128 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج13 ص241 والمواقف للإيجي ج3 ص697 و 698 ومستدرك الوسائل ج1 ص19 ومقاتل الطالبيين ص23 والنص والإجتهاد ص538 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص588 ونهج السعادة ج7 ص173 وتفسير السمعاني ج3 ص384 وتفسير الآلوسي ج8 ص168 وأضواء البيان ج3 ص126 وتاريخ مدينة دمشق ج43 ص495 وسير أعلام النبلاء ج4 ص215 والإصابة ج5 ص232 والأنساب للسمعاني ج1 ص123 والعثمانية للجاحظ ص301 والكامل في التاريخ ج3 ص396 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص654 والوافي بالوفيات ج18 ص174 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص364 وج9 ص64.

فانظروا عمن تأخذون دينكم، فإنَّا كنَّا إذا هوينا أمراً صيرناه حديثاً(1).

فأي القولين نصدق؟! وبأيهما نأخذ؟!

التقليد في الدين:

لقد تكرر من الخوارج تسجيل إشكال على الذين كانوا يدخلون معهم في حجاج حول صوابية موقفهم، بأنهم إنما يقلدون علياً دينهم، وقد قالوا هنا لصعصعة: إذن فأنت مقلد علياً دينك! ارجع فلا دين لك.

ولكن صعصعة أنكر عليهم قولهم هذا، حيث إن الذي لا تقليد فيه هو خصوص تلك الأمور العقائدية التي تقتضيها الفطرة، ويحكم بها العقل بصورة صريحة.. والبديهيات من الأمور العقائدية، كالتوحيد والعدل، والنبوة، والعصمة، والإمامة، والمعاد. وأما تحديد شخص النبي، فطريقه المعجزات التي تظهر على يديه، وإخبار المعصوم به، وكذا الإمام، وما عدا ذلك، فلا بد أن يؤخذ من أهله، فتؤخذ حقائق الدين

---

(1) لسان الميزان ج1 ص10 و 11 والكفاية في علم الرواية للخطيب ص123 و (ط دار الكتاب العربي سنة 1405 هـ) ص151 وآفة أصحاب الحديث ص71 و 72 واللآلي المصنوعة ج2 ص468 وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص29 عن الأولين، وعن السنة ومكانتها في التشريع، للسباعي ص97 والجامع لأحكام القرآن ج1 ص78 وفتح الملك العلى ص90 وراجع: العتب الجميل ص122 وتذكرة الموضوعات للفتني ص7 والموضوعات لابن الجوزي ج1 ص38.

وشرائعه، والكثير من التفاصيل العقائدية التي تتعلق بحالات النبي والإمام وما آتاهما الله تعالى من علوم، وحباهما به من مقامات، واختصهما به من صفات ومزايا وحالات، وتفاصيل كثيرة ترتبط بالشفاعة، والبداء، والرجعة، والقيامة، والحساب، والقبر، والنشر، والحشر، والجنة والنار، وغير ذلك ـ إن ذلك كله ـ يؤخذ من النبي «صلى الله عليه وآله» ومن الإمام «عليه السلام»، وليس في ذلك خروج من الدين، ولا مخالفة لأحكام الشرع المبين، ولا كفر برب العالمين.

ولأجل ذلك قال صعصعة للخوارج: «ويلكم! ألا أقلد من قلد الله فأحسن التقليد، فاضطلع بأمر الله، صديقاً لم يزل»؟!

ثم تابع كلامه في ذكر مقامات أمير المؤمنين «عليه السلام»، وفضائله، وموقعه من هذا الدين.

فلم يجد الراسبي مقالاً، ولا جواباً إلا اللجاج والعناد، والإصرار على القتال والفساد.

كلمات صعصعة في علي ×:

ويلاحظ: أن كلمات صعصعة قد تضمنت جملاً استقاها خطبة من معدن الحكمة، والجوهرة المتلألئة بأنوار الهداية، أعني السيدة فاطمة الزهراء «عليها السلام»، التي قالتها بعد استشهاد أبيها، والهجوم على بيتها في المهاجرين والأنصار..

وقد تضمنت كلمات صعصعة وصفه «عليه السلام» أيضاً

بالصديق الأكبر، وبأنه صراط الله المستقيم، وبسبيل الله المقيم، وبوصي رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ولم نجد أحداً من الخوارج اعترض على شيء من ذلك.. فلو كان هناك أدنى شبهة في هذه الأمور الأربعة لأثاروها، ولو أمكنهم إنكار هذه المقامات لأنكروها..

الملك هو الهدف:

وقد صرح عبد الرحمن بن وهب: بأن هدف الخوارج من هذه الحرب هو أن يكون الحكم لهم.. فلاحظ قوله «لعنه الله»: ونضربكم حتى يكون لنا الحكم.

والراسبي هو الذي يقول:

أنا ابن وهب الراسبي الشاري أضرب في القوم لأخذ الثار

حتى تزول دولة الأشرار ويرجع الحق إلى الأخيار[1]

وفي رسالة الخوارج التي أرسلوها لعلي «عليه السلام» طلبوا

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج4 ص274 وكشف اليقين ص205 و206 وكشف الغمة ج1 ص267 وراجع: مناقب آل أبي طالب ج3 ص190 و(ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص371 وبحار الأنوار ج33 ص391.

منه «عليه السلام» أن يبايع للراسبي(1).

فلو أنه «عليه السلام» قبل بذلك لانحلت عقدتهم.

مع أن في أعناقهم جميعاً بيعة لأمير المؤمنين «عليه السلام»، ومع أن أمير المؤمنين وصي الرسول كما قال صعصعة، وكما سيأتي في كلام الخوارج أنفسهم حين اعترضوا على أمير المؤمنين «عليه السلام» بأنه: «قد ضيع الوصية..».

وهو «عليه السلام» إمام للأمة كلها بمقتضى بيعة الغدير، وما نزل فيه من آيات، وكذلك بمقتضى آية ولايته التي نزلت في حقه حين تصدق بالخاتم وهو راكع.

وعدا ذلك كله.. يلاحظ هذا التناقض الذي وقع الخوارج فيه، فهم من جهة يقولون: لا حكم إلا لله، على معنى: لا إمرة أو لا إمارة إلا لله.

ومن جهة أخرى يريدون أن يكون الحكم لهم، ويطلبون منه «عليه السلام» أن يبايعهم، ويقولون: «ونضربكم حتى يكون لنا الحكم..».

الخوارج والدين والعلم:

وقد ادعى الراسبي: أن الذين معه من الخوارج فيهم الدين

---

(1) العقود الفضية ص49.

والعلم، فقد قال عن أصحابه: «بأيدي رجال فيهم الدين والعلم».

ونقول:

ألف: إن دعوى أن في الخوارج علماً مجازفة كبيرة، يكذبها قول بعض أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» للراسبي زعيم الخوارج: «أنت والله ما فهمت في دين الله ساعة قط، وما زلت جلفاً جافياً مذ كنت»(1).

ومن كلام للحسن البصري: «فإن قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد. ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا»(2).

يريد بذلك الخوارج.

وما أحسن ما وصفهم به بشر بن المعتمر، رئيس معتزلة بغداد، فقد قال:

ما كـــان من أسلافهم أبو الحسن ولا ابن عباس ولا أهل السنن
غر مصــابيح الدجى مـــناجب أولئـك الأعـــلام لا الأعـــارب
كمثل حــرقوص ومن حرقوص فقــعة قــاع حولهـــا قصـــيص
ليــس من الحنــظل يشتار للعسل ولا مـن البحـور يصطاد الـورل
هيهـــات مـــا ســافلة كعالـــية مــــا معـــدن الحكمـــة أهـــل

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج4 ص126.

(2) جامع بيان العلم ج1 ص165.

البادية[1]

الفقعة: هـــي الرخو من الكمأة.

والقصيص: شجر تنبت الكمأة في أصلها.

ب: إن دعوى أن في الخوارج ديناً. هي الأخرى قد ظهر زيفها من كلام رسول الله «صلى الله عليه وآله» عنهم: إنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية[2].

---

(1) الحيوان للجاحظ ج6 ص455 وراجع: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج2 ص300 و 301.

(2) راجع على سبيل المثال في أمثال هذه العبارات في ما يلي: مسند أحمد ج1 ص88 و 92 و 108 و 113 و 131 و 147 و 151 و 156 و 160 و 256 و 404 و 411 و 441 و 435 و 380 و 395 وج2 ص209 و 219 وج3 ص5 و 15 و 32 و 33 و 34 و 38 و 39 و 52 و 56 و 60 و 64 و 65 و 68 و 73 و 159 و 183 و 197 و 224 و 353 و 486 وج4 ص422 و 425 وج5 ص31 و 42 و 146 وراجع: ص253 ومجمع الزوائد ج6 ص228 و 229 و 231 و 27 و 230 و 232 و 235 و 239 وج9 ص129 ومستدرك الحاكم ج2 ص154 و 147 و 148 و 146 و 145 وكشف الأستار عن مسند البزاز ج2 ص360 و 361 و 363 و 364 والجوهرة في نسب علي «عليه السلام» وآله ص109 والمعجم الصغير ج2 ص100 والمصنف للصنعاني ج1 ص146 و 148 و 151 و 154 و 157 وكنز العمال ج11 ص126 و 180 و 127 و128 و 129 و 130 و 131 و 175 و 182 و 271 و

وقال عنهم أمير المؤمنين «عليه السلام»: «وهم قوم فساق

---

312 عن مصادر كثيرة وكفاية الطالب ص175 و 176 وتاريخ بغداد ج12 ص480 وج10 ص305 والعقود الفضية ص66 و 70 والمغازي للواقدي ج3 ص948 والإصابة ج2 ص302 والغدير ج10 ص54 و 55 عن الترمذي ج9 ص37 والسنن الكبرى للبيهقي ج8 ص170 و 171 وتيسير الوصول إلى علم الأصول ج4 ص31 و 32 و 33 عن الصحاح الستة كلها، وعن أبي داود ج2 ص284 وفرائد السمطين ج1 ص276 ونظم درر السمطين ص116 والإلمام ج1 ص35 والخصائص للنسائي ص136 و 137 حتى ص149 وميزان الإعتدال ج2 ص263 ترجمة عمر بن أبي عائشة، وأسد الغابة ج2 ص140 وتاريخ واسط ص199 والتنبيه والرد ص182 وصحيح البخاري ج2 ص173 وج4 ص48 و 122 ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص53 و 57 والجامع الصحيح للترمذي برقم 3896 وصحيح مسلم ج1 ص1063 و 1064 وفي هامش مناقب المغازلي عن الإصابة ج2 ص534 وعن تاريخ الخلفاء ص172. وراجع: إثبات الوصية ص147 وراجع ذخائر العقبى ص110 والمناقب للخوارزمي ص182 وأحكام القرآن للجصاص ج3 ص400 ونور الأبصار ص102. وراجع: نزل الأبرار ص57 - 61 والرياض النضرة ج3 ص225 وراجع ص226 و 224 والفصول المهمة لابن الصباغ ص94 والبداية والنهاية ج7 ص279 حتى 350 عن مصادر كثيرة، ومن طرق كثيرة جداً، فليراجعه من أراد، وتذكرة الخواص ص104 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج13 ص183 وج1 ص201 وج2 ص261 و 266 و 268 و 269 والكامل في التاريخ ج3 ص347.

مراق، عماة، جفاة إلخ..»(1).

وقد شرب ابن ملجم الخارجي الخمر ليلة قتله سيد الوصيين «عليه السلام»(2).

وقد شدت قطام الحرير على صدره حين ذهب لقتله(3).

ولكننا مع ذلك نجد عمران بن حطان الذي يروي عنه البخاري يمدحه لقتله علياً «عليه السلام»، ويصفه بالتقي، فيقول:

يا ضربة من تقي ما أراد بها   إلا ليبلغ من ذي العرش رضواناً

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج4 ص100.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج4 ص139 وبحار الأنوار ج4 ص239 ومناقب آل أبي طالب (المطبعة العلمية بقم) ج3 ص311 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص94 ومستدرك سفينة البحار ج9 ص228 ونهج السعادة ج7 ص110.

(3) الإرشاد للمفيد ص170 و (ط دار المفيد) ج1 ص19 وروضة الواعظين ص133 وراجع: ص134 والمناقب للخوارزمي ص276 ومناقب آل أبي طالب (المطبعة العلمية بقم) ج3 ص313 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص94 ونظم درر السمطين ص144 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص116 و 118 ومقاتل الطالبيين ص33 و (ط المكتبة الحيدرية) ص20 وبحار الأنوار ج4 ص239 ومستدرك سفينة البحار ج9 ص228 ونهج السعادة ج7 ص110 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص22 والمعجم الكبير ج1 ص98.

فإن كانت التقوى التي قصدها الراسبي في شعره هي هذه، فلا كلام لنا معه.

وقال عمر بن عبد العزيز لشوذب الخارجي:

«فأخبروني عن عبد الله بن وهب الراسبي حين خرج من البصرة هو وأصحابه، يريدون أصحابكم في الكوفة، فمروا بعبد الله بن خباب، فقتلوه، وبقروا بطن جاريته. ثم عدوا على قوم من بني قطيعة، فقتلوا الرجال، وأخذوا الأموال، وغلوا الأطفال في المراجل. وتأولوا قول الله: **(إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا)**[1].

ثم قدموا على أصحابهم من أهل الكوفة إلخ..[2].

وقد قال أمير المؤمنين «عليه السلام» حين جيء برأس الراسبي: «قد كان أخو راسب حافظاً لكتاب الله، تاركاً لحدود الله»[3].

الإحتجاج قبل القتال:

قال ابن أعثم:

---

(1) الآية 27 من سورة نوح.

(2) جامع بيان العلم ج2 ص129 و (ط دار الكتب العلمية سنة 1398هـ) ج2 ص106 ومروج الذهب ج3 ص191 وبهج الصباغة (الطبعة الأولى) ج7 ص113 عنه، وعن العقد الفريد.

(3) مروج الذهب ج3 ص47.

ثم عبأ علي أصحابه، ميمنة وميسرة، وقلباً وجناحين، ثم دعا بعبد الله بن عباس، فقال له: تقدم إلى هؤلاء، واحتج عليهم، وانظر ماذا يقولون!

قال: فقال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين، أفألقي عني حلتي هذه، وألبس درعي؟! فإني أخاف القوم على نفسي.

فقال له علي: إني لا أخافهم عليك، فتقدم، فها أنا ذا من وراءك.

قال: فتقدم عبد الله بن عباس حتى واجه القوم، ثم قال: أيها الناس! ما الذي نقمتم على أمير المؤمنين؟!

فقالوا له: يا بن عباس! إن الذي نقمناه عليك في وقتنا هذا أشد مما نقمناه على علي، وذلك أنك قد جئتنا في حلة يمانية، ونحن نريد حربك وحرب ابن عمك.

فقال ابن عباس: أما هذه الحلة فقد رأيت خيراً منها على من هو خير مني، وهو أبو القاسم محمد «صلى الله عليه وآله».

وأما الحرب فقد دنت منا ومنكم ولا شك في ذلك.

فهاتوا ما الذي نقمتم على علي «رضي الله عنه»!

قالوا: نقمنا عليه أشياء، لو كان حاضراً لكفرناه بهن.

فالتفت ابن عباس إلى علي، فقال: يا أمير المؤمنين! إنك قد سمعت الكلام، فأنت أحق بالجواب.

قال: فتقدم علي «كرم الله وجهه»، حتى إذا واجه القوم فسلم

عليهم، فردوا عليه السلام، ثم قال: أيها الناس! أنا علي بن أبي طالب، فتكلموا بما نقمتم به علي!

فقالوا: إن أول ما نقمنا به عليك: أنا قاتلنا يوم البصرة بين يديك، فلما أظفرك الله بهم أبحتنا ما كان في عسكرهم، ومنعتنا النساء والذرية، وكنت تستحل ما كان في العسكر، ولا تستحل النساء والذرية.

قال: فقال لهم علي: يا هؤلاء! إن أهل البصرة قاتلونا وبدأوا بقتالنا، فلما أظفرني الله بهم قسمت بينكم سلب من قاتلكم، ومنعتكم النساء والذرية، لأن النساء لم يقاتلن. والذرية ولدوا على فطرة الإسلام، فمنعتكم الذرية والنساء لأجل ذلك.

وقد رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» مَنَّ على أهل مكة يوم فتحها، فلم يسب نساءهم ولا ذريتهم، وإذا كان النبي مَنَّ على المشركين، فلا تعجبوا مني إذا مننت على المسلمين، فلم أسب نساءهم ولا ذريتهم.

قالوا: فإنا نقمنا عليك غير هذا، نقمنا عليك يوم صفين في وقت الكتاب الذي كتبته بينك وبين معاوية: أنك قلت لكاتبك: اكتب «هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان»، فأبى معاوية أن يقبل أنك أمير المؤمنين، فمحوت اسمك من الخلافة، وقلت لكاتبك: اكتب: «هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان»، فإن لم تكن أمير المؤمنين، فأنت أمير

الكافرين، ونحن مؤمنون، ولا يجب أن تكون أميراً علينا.

فقال علي: يا هؤلاء! إنكم قد تكلمتم فاسمعوا الجواب! أنا كنت كاتب النبي «صلى الله عليه وآله» يوم الحديبية، فقال لي النبي «صلى الله عليه وآله»: اكتب: «هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله وأهل مكة».

فقال أبو سفيان: إني لو علمت يا محمد أنك رسول الله لما قاتلتك، ولكن أكتب صحيفتك باسمك واسم أبيك.

فأمرني النبي «صلى الله عليه وآله»، فمحوت الرسالة من الكتاب وكتبت: «هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وأهل مكة».

وإنما محوت اسمي من الخلافة كما محا النبي اسمه من الرسالة، فكانت لي به أسوة.

قالوا: فإنا نقمنا عليك غير هذا، إنك قلت للحكمين: «انظرا في كتاب الله، فإن كنت أفضل من معاوية فأثبتاني في الخلافة، وإن كان معاوية أفضل مني فأثبتاه في الخلافة».

فإن كنت شاكاً في نفسك أن معاوية أفضل منك، فنحن فيك أعظم شكاً.

قال: فقال لهم علي: إنما أردت بذلك النصفة لمعاوية، لأني لو قلت للحكمين: احكما لي وذرا معاوية، كان معاوية لا يرضى بذلك، وإنما كان النبي «صلى الله عليه وآله» [لو] قال للنصارى لما قدموا

عليه من نجران: تعالوا حتى نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم، كانوا لا يرضون بذلك، ولكنه أنصفهم فقال: **(تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)**(1)، فأنصفهم من نفسه، وكذلك أنصفت أنا معاوية.

ولم أعلم لما أراد عمرو بن العاص من خديعة صاحبي.

قالوا: فإنا نقمنا عليك غير هذا، إنك حكَّمت حكماً في حق هو لك.

فقال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد حكَّم سعد بن معاذ في بني قريظة، ولو شاء لم يفعل، فحكم فيهم سعد بقتل النساء والرجال، وسبي الذرية والأموال.

وإنما أقمت حكماً كما أقام النبي «صلى الله عليه وآله» لنفسه حكماً، فهل عندكم شيء غير هذا تحتجون به علي؟!

قال: فسكت القوم، وجعل بعضهم يقول لبعض: صدق فيما قال.

ولقد دحض جميع ما احتججنا عليه.

ثم صاح القوم من كل ناحية وقالوا: التوبة! التوبة! يا أمير المؤمنين.

فاستأمن إليه منهم ثمانية آلاف، وبقي على حربه أربعة آلاف.

---

(1) الآية 61 من سورة آل عمران.

وأقبل علي «رضي الله عنه» إلى هؤلاء المستأمنين إليه فقال: اعتزلوا عني في وقتكم هذا، وذروني والقوم[1].

النص عند ابن المغازلي:

والنص الذي أورده ابن المغازلي لهذا الحوار هو كما يلي:

عن عبيدة بن بشر الخثعمي، عن أبيه قال:

ثم نادى علي «عليه السلام» قنبر، قال: يا قنبر، ناد القوم: ما نقمتم على أمير المؤمنين؟! ألم يعدل في قسمتكم، ويقسط في حكمكم، ويرحم مسترحمكم؟! لم يتخذ مالكم دولاً، ولم يأخذ منكم إلا السهمين الذين جعلهما الله، سهماً في الخاصة، وسهماً في العامة؟!

فقالت الخوارج: يا قنبر، إن مولاك رجل جدل، ورجل خصم، وقد قال الله تعالى: **(بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ)**[2]، وهو منهم، وقد ردنا بكلامه الحلو في غير موطن، وجعلوا يقولون: والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

قال علي «عليه السلام»: يا ابن عباس، انهض إلى القوم، فادعهم بمثل الذي دعاهم به قنبر، فإني أرجو أن يجيبوك.

فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين، ألقي علي حلتي، وألبس علي

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج4 ص268 - 271.

(2) الآية 58 من سورة الزخرف.

سلاحي؟! فإني أخافهم على نفسي.

قال: بلى، فانهض إليهم في حلتك، فمن أي يوميك من الموت تفر؟! يوم لم يقدر، أو يوم قد قدر؟!

قال: فنهض ابن عباس إليهم، وناداهم بمثل الذي أمره به، فقالت طائفة: والله لا نجيبه حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

وقال أصحاب الحجج في أنفسهم منهم: والله لنجيبنه ولنخصمنه ولنكفرنه وصاحبه لا ينكر ذلك.

فقالوا: ننقم عليه خصالاً كلها موبقة مكفرة.

أما أولهن: فإنه محا اسمه من (أمير المؤمنين)، حيث كتب إلى معاوية، فإن لم يكن أمير المؤمنين، فإنه أمير الكافرين! لأنه ليس بينهما منزلة، ونحن مؤمنون، وليس نرضى أن يكون علينا أميراً.

ونقمنا عليه: أن قسم علينا يوم البصرة ما حوى العسكر، وقد سفك الدماء، ومنعنا النساء والذراري، فلعمري إن كان حل هذا فما حرم هذا.

ونقمنا عليه يوم صفين: أنه أحب الحياة، وركن إلى الدنيا جبناً، منعنا أن نقاتل معه، وأن ننصره، حيث رفعت لنا المصاحف، فهلا ثبت وحرض على قتال القوم، وضرب بسيفه حتى يرجع(1) إلى أمر الله ونقاتلهم، والله يقول: (**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ**

(1) لعل الصحيح: نرجع (بالنون) كما يفهم من مصادر أخرى.

كُلُّهُ لِلهِ)(1).

وننقم عليه: أنه حكَّم الحكمين، فحكما بجور لزمه وزره.

ونقمنا عليه: أنه ولى الحكم غيره، وهو عندنا من أحكم الناس.

ونقمنا عليه: أنه شك في نفسه حين أمر الحكمين أن ينظرا في كتاب الله: فإن كان معاوية أولى بالأمر ولوه، فإن شك في نفسه فنحن أعظم فيه شكاً.

ونقمنا عليه: أنه كان وصياً فضيع الوصية.

ونقمنا عليك يا بن عباس، حيث جئت ترفل إلينا في حلة حسنة تدعونا إليه.

فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين، قد سمعت ما قال القوم، وأنت أولى بالجواب مني!

فقال علي «عليه السلام»: لا ترتابن، ظفرت بهم والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، نَادِهِمْ: ألستم ترضون بما أُنبئكم به من كتاب الله لا تجهلون به، وسنة رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا تنكرونه؟!

قالوا: اللهم بلى.

قال: أبدأ بما بدأتم به، علي مدار الأمر، أنا كاتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» حيث كتبت:

---

(1) الآية 58 من سورة الزخرف.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى سهيل بن عمرو وصخر بن حرب ومن قبلهما من المشركين عهداً إلى مدة.

فكتب المشركون: إنا لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك فاكتب إلينا، باسمك اللهم، فإنه الذي نعرف، واكتب إلينا ابن عبد الله.

فأمرني، فمحوت رسول الله، وكتبت ابن عبد الله.

وكتبت إلى معاوية: من علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، ومن قبلهما من الناكثين عهداً إلى مدة.

فكتبوا: إنَّا لو علمنا أنك أمير المؤمنين ما قاتلناك، فاكتب إلينا: من علي بن أبي طالب نجبك.

فمحوت أمير المؤمنين، وكتبت ابن أبي طالب، كما محا رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكما كتب.

فإن كنتم تلغون بسم الله الرحمن الرحيم أن محاها، وتلغون رسول الله أن محاها، ولا تثبتونه فالغوني ولا تثبتوني.

وإن أثبتموه فإن الله تعالى قال: **(وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)**(1)، وقال: **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)**(2)، فاستننت برسول الله «صلى

(1) الآية 7 من سورة الحشر.

(2) الآية 21 من سورة الأحزاب.

الله عليه وآله».

قالوا: صدقت هذه بحجتنا هذه.

قال: وأما قولكم إني قسمت بينكم ما حوى العسكر يوم البصرة، فأحللت الدماء، ومنعتكم النساء والذرية، فإني مننت على أهل البصرة لما افتتحتها وهم يدعون الإسلام، كما من رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أهل مكة، وهم مشركون لما افتتحها.

وكانوا أولادهم ولدوا على الفطرة قبل الفرقة بدينهم.

وإن عدوا علينا أخذناهم بذنوبهم.

فلم نأخذ صغيراً بذنب كبير، وقد قال الله تعالى في كتابه: **(وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**(1)، وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لو أن رجلاً غل عقالاً من الحرب لأتى الله يوم القيامة وهو مغلول به، حتى يؤديه».

وكانت أم المؤمنين أثقل من عقال، فلو غللتها، وقسمت سوى ذلك، فإنه غلول.

ولو قسمتها لكم، وهي أمكم، لاستحل منها ما حرم الله، فأيكم كان يأخذ أم المؤمنين في سهمه وهي أمه؟!

قالوا: لا أحد، وهذه بحجتنا هذه.

قال: وأما قولكم: فإني حكمت الحكمين، فقد عرفتم كراهتي لهما

---

(1) الآية 161 من سورة آل عمران.

إلا أن تكذبوا، وقولي لكم: ولُّوها رجلاً من قريش، فإن قريشاً لا تخدع، فأبيتم إلا وليتموها من وليتم.

فإن قلتم: سكت حيث فعلنا ولم تنكر.. فإنما جعل الله الإقرار على النساء في بيوتهن، ولم يجعله على الرجال في بيوتهم.

فإن كذبتم وقلتم: أنت حكَّمت ورضيت، فإن الله قد حكَّم في دينه الرجال، وهو أحكم الحاكمين، فقال: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ)**[1]، وقال: **(وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا)**[2]، فإنما على الإنسان الاجتهاد في استصلاح الحكمين، فإن عدلا كان العدل فيما أرياه أولى، وإن لم يعدلا فيه وجارا كان الوزر عليهما **(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)**[3].

قالوا: صدقت وهذه بحجتنا هذه.

قال: وأما قولكم: إني حكمت وأنا أولى الناس بالحكم، فقد حكم رسول الله «صلى الله عليه وآله» سعد بن معاذ يوم اليهود، فحكم بقتل مقاتليهم، وسبي ذراريهم، وجعل أموالهم للمهاجرين دون الأنصار.

---

(1) الآية 95 من سورة المائدة.

(2) الآية 35 من سورة النساء.

(3) الآية 164 من سورة الأنعام، والآية 7 من سورة الزمر، والآية 18 من سورة فاطر، والآية 15 من سورة الإسراء.

فقالوا: صدقت وهذه بحجتنا هذه.

قال: وأما قولكم: إني قلت للحكمين: انظروا في كتاب الله، فإن كان معاوية أحق بها مني فأثبتوه، وإن كنت أولى بها فأثبتوني.

فلو أن الحكمين اتقيا الله ونظرا في القرآن عرفا أني كنت من السابقين بإسلامي قبل معاوية، ومعاوية مشرك، وعرفت أنهم إذا نظروا في كتاب الله وجدوني يجب لي على معاوية الاستغفار، لأني سبقته بالإيمان ولا يجب لمعاوية عليَّ الإستغفار.

ووجدوني يجب لي على معاوية خمس ما غنمتم، لأن الله تبارك وتعالى أمر بذلك، إذ يقول: **(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ..)**، الآية(1).

فإذا حكما بما أنزل الله أثبتوني.

ولو قلت: احكموا وأثبتوني، أبى معاوية. لكني أظهرت لهم النصفة حتى رضي. كما أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لو قال: أجعل لعنة الله عليكم، أبوا أن يباهلوا، ولكن جعل لعنة الله على الكاذبين، فهم الكاذبون واللعنة عليهم، ولكن أظهر لهم النصفة، فقبلوا.

قالوا: صدقت، هذه بحجتنا هذه.

قال: وأما قولكم: إن كان معاوية أهدى مني فأثبتوه، فإنني قد عرفت أنهم لا يجدونه أهدى مني، وقد قال تعالى لنبيه: **(قُلْ فَأْتُوا**

---

(1) الآية 41 من سورة الأنفال.

بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ)[1]، فقد عرفتم أنهم لا يأتون بكتاب من عند الله هو أهدى من القرآن، فكذلك عرفت أنهم لا يجدون معاوية أهدى مني.

وأما قولكم: إن الحكمين كانا رجلا (كذا) سوء فلم حكمتهما؟! فإنهما لو حكما بالعدل لدخلا فيما نحن فيه، وخرجا من سوئهما، كما أن أهل الكتاب لو حكموا بما أمر الله حيث يقول: **(وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ)**[2]، خرجوا من كفرهم إلى ديننا.

قالوا: صدقت وهذه بحجتنا هذه.

قال: وأما قولكم: إني كنت وصياً فضيعت الوصية، فإن الله تعالى قال في كتابه: **(وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)**[3]، ولو ترك الحج من استطاع إليه سبيلاً كفر، ولم يكن البيت ليكفر ولو تركه الناس لا يأتونه، ولكن كان يكفر من كان يستطيع إليه السبيل فلا يأتيه، وكذلك أنا: إن أكن وصياً فإنكم كفرتم بي، لا أنا كفرت بكم بما تركتموني.

قالوا: صدقت هذه بحجتنا هذه.

قال: وأما قولكم: إن ابن عباس جاء يرفل في حلة حسنة يدعوكم

---

(1) الآية 49 من سورة القصص.

(2) الآية 47 من سورة المائدة.

(3) الآية 97 من سورة آل عمران.

إلى ما يدعوكم إليه، فقد رأيت أحسن منها على رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم حرب.

فرجع إليه من الخوارج أكثر من أربعة آلاف، وثبت على قتاله أربعة آلاف، وأقبلوا يحكمون.

فقال علي: حكم الله أنتظر فيكم يا هؤلاء![1].

---

(1) مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص406 - 414 و (ط دار الآثار - صنعاء سنة 1424 هـ) ص472 - 479 وراجع: تاريخ اليعقوبي (ط النجف) 2 ص178 - 179 و (ط صادر) ج2 ص191 - 194 والإحتجاج ج1 ص442 - 446 وبحار الأنوار ج33 ص377 وراجع: كشف الغمة ج1 ص269 ومنهاج البراعة ج8 ص173 والمسترشد في إمامة علي بن أبي طالب ص70 و 71 وبهج الصباغة (الطبعة الأولى) ج7 ص136 و 171 و 172 وقال المعلق على كتاب ابن المغازلي ما يلي:

إحتجاج علي «عليه السلام» مع الخوارج، وهكذا احتجاج ابن عباس لهم مشهورة رواها النسائي في الخصائص ص 48 إلى 50 والمحب الطبري في الرياض النضرة ج2 ص240 مختصراً على ثلاث حجج منها.

وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج6 ص236 من طريق أبي يعلى، قال: ورجاله ثقات، وفي ص237 من طريق أبي يعلى أيضاً، وقال: رجاله رجال الصحيح، وفي ص238 و 239 من طريق أبي يعلى والبزار، وقال: رجال أبي يعلى ثقات، ومن طريق الطبراني، وأحمد، وقال: رجالهم رجال الصحيح. وهكذا ذكره أبو العباس المبرد في كتابه الكامل ص942 -

ونقول:

تقدم الكلام حول أمور كثيرة في الفصول السابقة، ولا سيما التي ذكرنا فيها طائفة أخرى من الإحتجاجات على الخوارج، فلا حاجة إلى إعادة ذلك.

غير أننا نشير إلى اليسير من النقاط هنا، وهي التالية:

الإعلام الناجح:

رأينا: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يرض من ابن عباس أن يبدل حلته بدرع يقيه غدر الخوارج، ربما لأنه «عليه السلام» أراد استدراجهم للاعتراض على ابن عباس في لبسه الحلة اليمانية، حيث عبروا عن شدة نقمتهم عليه، حتى إنها تفوق نقمتهم على أمير المؤمنين «عليه السلام»، حسب زعمهم.

وذلك يدل على الامور التالية:

أولاً: أنه لا فقه في الشريعة عند الخوارج، ولا معرفة لهم بكتاب الله، بالرغم من كثرة قراءتهم له..

حيث لم يدركوا مغزى قوله تعالى: **(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي**

---

945 وخرّجه عنه الشارح المعتزلي في شرح نهج البلاغة ج1 ص204 وأخرجه من أعلام الإمامية أبو منصور الطبرسي في الإحتجاج ص 99 - 100 وألفاظه أشبه بما رواه المؤلف في الصلب، وأخرجه أبو جعفر السروي في مناقب آل أبي طالب ج3 ص188 - 189 بغير هذا اللفظ.

أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ)[1].

ثانياً: إن هذه الواقعة تبين مدى قصر نظرهم، وضيق أفقهم، وضعف تمييزهم، حتى إنهم يهتمون بقضية شخصية لا ربط لها بعامة الناس أكثر وأعظم من اهتمامهم بالقضايا االمصيرية الكبرى..

أي أنهم يهتمون بصغائر الأمور أكثر من اهتمامهم بعظائمها. إما لعدم تمييزهم بين صغير الأمور وكبيرها، وإما لانقلاب الموازين عندهم، فصاروا يرون الكبير صغيراً، والصغير كبيراً، والحق باطلاً، والباطل حقاً..

فأصبح لبس ابن عباس حلة يمانية أشد عليهم من شق عصا الأمة، والعبث بسلطانها، وإذهاب ريحها، وإثارة الفتن الشعواء والعمياء بينها.. وقتل عشرات ألوف المسلمين تحت وطأة إثارة الشبهات في الدين، وتقويض دعائمه، وقتل الأنبياء والأوصياء..

قتل النساء في حكم ابن معاذ:

ذكرت رواية ابن أعثم المتقدمة: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» روى لهم: أن سعد بن معاذ حكم في يهود بني قريظة بقتل النساء والرجال، وسبي الذرية والأموال.

وهذا غلط واضح، فإن سعد بن معاذ قد حكم بقتل خصوص المقاتلة المفسدين، والناكثين للعهود من رجال بني قريظة، ولم يحكم

---

(1) الآية 32 من سورة الأعراف.

بقتل النساء. بل حكم بسبيهن مع الأطفال.. وقد صرح بذلك المؤرخون(1).

ولو كان «عليه السلام» قد قال للخوارج: إن سعداً حكم بقتل النساء، لاعترضوا عليه: بأنه يريد التوطئة لقتل عائشة، أو لعلهم يقولون له: كان يجب أن تقتل عائشة أيضاً، لأنها كانت في جملة أسرى حرب الجمل..

فهل هذا الخلل قد جاء سهواً من الرواة، أو هو إخلال عمدي بهدف التشويه، والطعن؟! أم ماذا؟!

بل هم قوم خصمون:

ونلاحظ أيضاً ما يلي:

1 - تقدم في رواية ابن المغازلي: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» أرسل قنبراً أولاً برسالة إلى الخوارج.. وقد شرحنا مضامين هذه الرسالة في فصل سابق، فلا حاجة إلى الإعادة..

2 - قد تملص الخوارج أو حاولوا أن يتملصوا من إجابته «عليه السلام» بأمرين:

أولهما: أنه «عليه السلام» رجل خصم، أي أنه قوي في خصومته، وقد بيَّنَّا فيما سبق: أن ثمة فرقاً بين المخاصمة

---

(1) راجع على سبيل المثال: الكامل في التاريخ ج2 ص186 وتاريخ الأمم والملوك ج2 ص587.

والمحاججة.. وأنه «عليه السلام» كان يملك الحجة القاهرة والمقنعة، التي لا تبقي لهم مجالاً للتخلص والتملص، والهروب، فيضطرون للخضوع، والبخوع، ويفتضح أمرهم أمام أصحابهم الذين يريدون أن يخدعوهم، ويحتفظوا بهم، لكي يفوزوا بنصرتهم لهم..

ثانيهما: لو كان «عليه السلام» مجرد مخاصم عنيد، لم يرجعوا معه. كما أنه لم يكن مجرد محترف للكلام العذب، فإن العلماء يميزون بين الكلام الحلو وبين الحجة البالغة، والدامغة.

وقد صرحت رواية ابن المغازلي: بأن أصحاب الحجج منهم قالوا: والله، لنجيبنه، ولنخصمنه، ولنكفرنه وصاحبه، لا ننكر ذلك..

وهذا معناه: أنهم يعترفون على أنفسهم أنهم قوم خصمون أيضاً!!

إسلام القاسطين بنظر علي ×:

يلاحظ: أنه «عليه السلام» ـ حسب النص الذي أورده ابن المغازلي ـ يقول: «لما مننت على أهل البصرة لما افتتحتها ـ وهم يدعون الإسلام ـ كما منَّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أهل مكة».

وهذا يدل على أنه «عليه السلام» لا يريد أن يعترف لهم بصحة ما يدعونه من أنهم مسلمون، بل هو يجعل هذا الأمر منهم مجرد دعوى تحتمل الصدق والكذب..

ولعل خروجهم على أمامهم، الذي بايعوه مختارين، مع معرفتهم بحكم الإسلام فيمن ينكث بيعته، ويخرج على إمامه، ومع إخبار رسول الله «صلى الله عليه وآله» الأمة بما يكون منهم. وبعواقب ذلك عليهم في الدنيا والآخرة. ومع إصداره «صلى الله عليه وآله» حكمه الصريح فيهم.. إن ذلك يوجب الشك في إيمانهم الصحيح برسول الله «صلى الله عليه وآله» وبصدقه فيما يخبر به. ويضع علامة استفهام على أصل إسلامهم، وليس فقط على إيمانهم..

ولذلك قال «عليه السلام»: «يدعون الإسلام»، ولم يقل: «الإيمان».

تطبيق حديث الغلول على عائشة:

وقد لفت نظرنا: تطبيقه «عليه السلام» حديث الغلول على عائشة.

ومراده «عليه السلام»: أنه إذا أراد أن يقسم النساء والذرية على المقاتلين، فذلك يعني: أن النساء والذرية من جملة الغنائم أيضاً، وهي ملك للمقاتلين.

والمفروض: أن عائشة كانت من جملة السبايا، فإن عزلها عنهم، كان ذلك من الغلول، الذي نهى الرسول عنه، وإن لم يعزلها عنهم، وقسمها، فذلك يعني: أن تصبح ملكاً لأحد المقاتلين.

وهذا ما لا يمكن الإقدام عليه من أي مسلم. لأن القرآن جعلها بمنزلة الأم التي لا يمكن التعاطي معها بهذه الطريقة..

السكوت علامة الرضا: خاص بالنساء:

ولفت نظرنا أيضاً: قوله «عليه السلام»: إن حديث السكوت علامة الرضا: خاص بالنساء، ولا يشمل الرجال، فلا يمكن اعتبار سكوته «عليه السلام» دليلاً على رضاه، إذ قد يكون لسكوته في صفين أسباب أخرى، كالمنع من حدوث انشقاق في صفوف الفريق الواحد، وعدم حدوث فتنة، وقد يكون هناك مانع آخر من أي تحرك.

فإنهم بعد أن أجبروه على إيقاف الحرب بسبب رفع المصاحف، وأجبروه ـ يعني الخوارج ـ على التحكيم، وعلى أن يكون الحَكَم هو الأشعري دون سواه.. لم يعد بإمكانه «عليه السلام» أن ينقض العهد الذي أعطاه ـ بسبب إصرار الخوارج ـ لأن الدين لا يسمح بنقض العهود. حتى لو أعطيت تحت الضغط والتهديد من فريق جاهل وغبي.. وحتى لو كان المطالب بنقض العهد هو نفس الفريق الذي أجبره على إعطائه، وهم الخوارج بالذات..

وقد صرح «عليه السلام» بهذا في النص الذي أورده اليعقوبي، فقال: «لم أضربكم بسيفي يوم صفين حتى تفيئوا إلى أمر الله، فإن الله عزّ وجل يقول: **(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)**[1]. وكنتم عدداً جماً، وأنا وأهل بيتي عدة يسيره[2].

(1) الآية 195 من سورة البقرة.

(2) تاريخ اليعقوبي ج2 ص192 و (ط النجف) ج2 ص178.

الوصية هي الإمامة:

وتقدم: أن الخوارج نقموا على أمير المؤمنين «عليه السلام»: أنه كان وصياً، فضيع الوصية والمراد بالوصية هنا هو خصوص الإمامة، والحاكمية بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأن هذا المعنى هو الذي يناسب ما جرى في صفين، إذ لا ربط للوصية بالناقة والبغلة والفرس، والثوب، وبرعاية الأبناء، وبالأموال، وبغير ذلك من الأمور الصغيرة والجزئية التي ترجع إلى شخص الرسول، كموضع دفنه، أو الكفن، أو ما إلى ذلك ـ نعم.. لا ربط لذلك كله بما جرى في صفين، وبمواصلة الحرب مع القاسطين، أو بإيقافها وفاء بالعهد..

كما أن التحكيم إنما يضيع الوصية التي بمعنى الإمامة، ولا يضيع الوصية بأمور أخرى. كالتي ذكرناها آنفاً.

ويدل على ذلك أيضاً: قوله «عليه السلام» في الجواب على كلامهم هذا: «أفرأيتم هذا البيت لو لم يحج إليه أحد كان البيت كفر. إن هذا البيت لو تركه من استطاع إليه سبيلاً كفر.

وأنتم كفرتم بترككم إياي، لا أنا كفرت بتركي لكم».

وحسب نص الإحتجاج: «فأنتم كفرتم، وقدَّمتم علي، وأزلتم الأمر عني. وليس على الأوصياء الدعاء إلى أنفسهم، إنما يبعث الأنبياء، فيدعون إلى أنفسهم، وأما الوصي فمدلول عليه».

وهذا المعنى للوصية (أعني الإمامة) كان هو الشائع والمتداول

بين الناس، وهو المقصود من وصفه «عليه السلام» بالوصي في الكثير من أشعار الشعراء، وأرجاز الناس وخطبهم، واحتجاجاتهم. ومدائحهم له «عليه السلام».

وهذا يبطل محاولات التعمية على المراد بالوصي، التي يمارسها مناوئوا علي «عليه السلام» حيث يحاولون صرفها إلى المعنى الثاني، وإنكار أن يكون المراد معنى الإمامة والحاكمية بعد رسول الله«صلى الله عليه وآله».

ولكن هذا الموقف من الخوارج قد قطع الشك باليقين، وأزال شبهات أصحاب الأهواء والحمد لله رب العالمين..

زعم أنه وصي:

وتقدم عن ابن المغازلي، وعن الإحتجاج وغيرهما أنهم قالوا: إنه «عليه السلام» وصي فضيع الوصية، لكن النص الذي ذكره اليعقوبي هكذا: زعم أنه وصي، فضيع الوصية[1].

ولا مبرر لهذا التزوير، فإن كونه «عليه السلام» وصي الرسول «صلى الله عليه وآله» كان كالنار على النار، وكالشمس في رائعة النهار، وليس هذا من زعمه «عليه السلام»..

وقد ذكرنا طائفة من الأشعار حول كونه «عليه السلام» وصي الرسول «صلى الله عليه وآله» في بعض الأجزاء السابقة من هذا

---

(1) تاريخ اليعقوبي ج2 ص192 و (ط النجف) ج2 ص178.

الكتاب، وهي تعد بالعشرات، فما بالك بسائر النصوص. وراجع أيضاً كتابنا علي «عليه السلام» والخوارج ج1 ص127 ـ 134

كما أن التعبير بزعم يستبطن التشكيك في هذا الأمر، وهو يتناقض مع آية التطهير له «عليه السلام» ولسائر أصحاب الكساء، الدالة على عصمتهم، ويناقض قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: علي مع الحق، والحق مع علي. وغير ذلك من نصوص..

الفصل الثالث:

في أخواء القتال..

من كلمات علي × مع الخوارج:

نقل المؤرخون والمحدثون الكثير من النصوص التي قالها أمير المؤمنين «عليه السلام» للخوارج في مقام الإحتجاج عليهم، لصرفهم عن الحرب، وإعادتهم إلى الصراط المستقيم، فنحن نختار بعضها، وهي التالية:

1 ـ قال الشريف الرضي «رحمه الله»: من كلام له «عليه السلام» قاله للخوارج، وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة، فقال «عليه السلام»: أكلكم شهد معنا صفين؟!

فقالوا: منا من شهد، ومنا من لم يشهد.

قال: فامتازوا فرقتين؛ فليكن من شهد صفين فرقة، ومن لم يشهدها فرقة، حتى أكلم كلا منكم بكلامه.

ونادى الناس، فقال: أمسكوا عن الكلام، وأنصتوا لقولي، وأقبلوا بأفئدتكم إلي، فمن نشدناه شهادة فليقل بعلمه فيها.

ثم كلمهم «عليه السلام» بكلام طويل، من جملته أن قال «عليه

السلام»: ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف، حيلة، وغيلة، ومكراً، وخديعة: إخواننا وأهل دعوتنا استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه، فالرأي القبول منهم، والتنفيس عنهم؟!

فقلت لكم: هذا أمر ظاهره إيمان، وباطنه عدوان، وأوله رحمة، وآخره ندامة، فأقيموا على شأنكم، والزموا طريقتكم، وعضوا على الجهاد بنواجذكم، ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق ؛ إن أجيب أضل، وإن ترك ذل؟!

وقد كانت هذه الفعلة، وقد رأيتكم أعطيتموها.

والله لئن أبيتها ما وجبت علي فريضتها، ولا حملني الله ذنبها.

ووالله، إن جئتها إني للمحق الذي يتبع، وإن الكتاب لمعي، ما فارقته مذ صحبته.

فلقد كنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» وإن القتل ليدور على الآباء والأبناء، والإخوان والقرابات، فما نزداد على كل مصيبة وشدة إلا إيمانا، ومضيا على الحق، وتسليما للأمر، وصبرا على مضض(1) الجراح.

ولكنا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج، والشبهة والتأويل.

فإذا طمعنا في خصلة يلم الله بها شعثنا، ونتدانى بها إلى البقية

---

(1) مضني الجرح: آلمني وأوجعني. راجع: لسان العرب ج7 ص233.

فيما بيننا، رغبنا فيها، وأمسكنا عما سواها(1).

2 ـ وقال «رحمه الله» أيضاً: من كلام له يكشف للخوارج الشبهة:

فإن أبيتم إلا أن تزعموا أني أخطأت وضللت، فلم تضللون عامة أمة محمد «صلى الله عليه وآله» بضلالي، وتأخذونهم بخطئي، وتكفرونهم بذنوبي؟!

سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم، وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب!

وقد علمتم أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» رجم الزاني المحصن، ثم صلى عليه، ثم ورثه أهله، وقتل القاتل، وورث ميراثه أهله، وقطع السارق، وجلد الزاني غير المحصن، ثم قسم عليهما من الفيء، ونكحا المسلمات.

فأخذهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذنوبهم، وأقام حق الله فيهم، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام، ولم يخرج أسماءهم من بين

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص235 والإحتجاج ج1 ص439 و (ط دار النعمان) ج1 ص274 وفيه من «ألم تقولوا..» وبحار الأنوار ج33 ص368 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج7 ص297 وراجع: الإرشاد ج1 ص270 وتمهيد الأوائل ص557 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص363 و 364.

أهله.

ثم أنتم شرار الناس، ومن رمى به الشيطان مراميه، وضرب به تيهه![1].

وسيهلك فيَّ صنفان: محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق.

وخير الناس في حالاً النمط الأوسط، فالزموه، والزموا السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة؛ فإن الشاذ من الناس للشيطان، كما أن الشاذ من الغنم للذئب.

ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه، ولو كان تحت عمامتي هذه، فإنما حكم الحكمان ليحييا ما أحيا القرآن، ويميتا ما أمات القرآن، وإحياؤه الاجتماع عليه، وإماتته الافتراق عنه.

فإن جرنا القرآن إليهم اتبعناهم، وإن جرهم إلينا اتبعونا.

فلم آت ـ لا أبا لكم ـ بجراً[2]، ولا ختلتكم[3] عن أمركم، ولا لبسته عليكم، إنما اجتمع رأي ملئكم على اختيار رجلين، أخذنا عليهما

---

(1) ضرب في الأرض: أسرع وسار. وأرض تيه: مضلة، أي يتيه فيها الإنسان. راجع: لسان العرب ج1 ص544 وج13 ص482. يعني: سلك بهم في ضلالة.

(2) البجر: الداهية والأمر العظيم راجع: النهاية ج1 ص97.

(3) ختله: خدعه عن غفلة راجع: لسان العرب ج11 ص199.

ألا يتعديا القرآن، فتاها عنه، وتركا الحق وهما يبصرانه، وكان الجور هواهما فمضيا عليه. وقد سبق استثناؤنا عليهما ـ في الحكومة بالعدل، والصمد للحق ـ سوء رأيهما، وجور حكمهما[1].

3 ـ عن أبي سلمة الزهري: إن علياً قال لأهل النهر: يا هؤلاء! إن أنفسكم قد سولت لكم فراق هذه الحكومة التي أنتم ابتدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره.

وأنبأتكم أن القوم سألوكموها مكيدة ودهنا، فأبيتم علي إباء المخالفين، وعدلتم عني عدول النكداء العاصين، حتى صرفت رأيي إلى رأيكم.

وأنتم والله معاشر أخفاء الهام، سفهاء الأحلام.

فلم آت ـ لا أبا لكم ـ حراماً.

والله، ما خبلتكم[2] عن أموركم، ولا أخفيت شيئاً من هذا الأمر عنكم، ولا أوطأتكم عشوة[3]، ولا دنيت لكم الضراء، وإن كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهراً.

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص7 وبحار الأنوار ج33 ص373 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص112 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص364.

(2) الخبل: فساد العقل.

(3) أوطأني عشوة: لبس علي، والمعنى فيه: أنه حمله على أن يركب أمراً غير مستبين الرشد، فربما كان فيه عطبه راجع: لسان العرب ج15 ص59.

فأجمع رأي ملئكم على أن اختاروا رجلين، فأخذنا عليهما أن يحكما بما في القرآن ولا يعدواه، فتاها، وتركا الحق وهما يبصرانه، وكان الجور هواهما.

وقد سبق استيثاقنا عليهما في الحكم بالعدل، والصد للحق سوء رأيهما، وجور حكمهما. والثقة في أيدينا لأنفسنا حين خالفا سبيل الحق، وأتيا بما لا يعرف.

فبينوا لنا: بماذا تستحلون قتالنا، والخروج من جماعتنا؟! إن اختار الناس رجلين أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم، ثم تستعرضوا الناس تضربون رقابهم، وتسفكون دماءهم!

إن هذا لهو الخسران المبين. والله، لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلها، فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام!

فتنادوا: لا تخاطبوهم، ولا تكلموهم، وتهيؤوا للقاء الرب، الرواح الرواح إلى الجنة.

فعاد علي عنهم، ثم إن الخوارج قصدوا النهر، وكانوا غربه(1).

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص84 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج4 ص63 والكامل في التاريخ ج3 ص344 و 345 و (ط أخرى) ج2 ص404 ونهج البلاغة (بشرح عبده) الخطبة 177 وفيه من «فأجمع رأي ملئكم» إلى «وأتيا بما لا يعرف» وكلاهما نحوه. وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص366 و 367 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص108.

4 ـ عن زيد بن وهب: إن عليا أتى أهل النهر فوقف عليهم، فقال:

[عن علي بن صالح: لما استوى الصفان بالنهروان تقدم أمير المؤمنين «عليه السلام» بين الصفين، ثم قال: أما بعد..]

أيتها العصابة التي أخرجتها عداوة [عادة] المراء واللجاجة، وصدها عن الحق الهوى [والزيغ]، وطمح بها النزق[1]، وأصبحت في اللبس والخطب العظيم، إني نذير لكم أن تصبحوا تلفيكم الأمة غدا صرعى بأثناء هذا النهر [وبملطاط][2]، وبأهضام هذا الغائط[3]، بغير بينة من ربكم، ولا برهان بين.

ألم تعلموا أني نهيتكم عن الحكومة، وأخبرتكم أن طلب القوم إياها منكم دهن ومكيدة لكم؟!

ونبأتكم أن القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وأني أعرف بهم منكم، عرفتهم أطفالاً ورجالاً، فهم أهل المكر والغدر، وأنكم إن فارقتم رأيي جانبتم الحزم!

فعصيتموني، حتى أقررت بأن حكمت. فلما فعلت شرطت

(1) النزق: خفة في كل أمر وعجلة في جهل وحمق راجع: لسان العرب ج10 ص352.

(2) الملطاط: ساحل البحر.

(3) الهضم: ما تطمأن من الأرض، وجمعه أهضام، والغائط: المتسع من الأرض مع طمأنينة راجع: لسان العرب ج12 ص615 وج7 ص364.

واستوثقت، فأخذت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن، وأن يميتا ما أمات القرآن [فخالفا أمري، وعملا بالهوى]، فاختلفا، وخالفا حكم الكتاب والسنة، فنبذنا أمرهما، ونحن على أمرنا الأول.

فما الذي بكم؟! ومن أين أتيتم؟! [فأين تذهبون؟! وأين يتاه بكم؟!]

قالوا: إنا حكمنا، فلما حكمنا أثمنا، وكنا بذلك كافرين، وقد تبنا، فإن تبت كما تبنا فنحن منك ومعك، وإن أبيت فاعتزلنا ؛ فإنا منابذوك على سواء، إن الله لا يحب الخائنين.

فقال علي: أصابكم حاصب، ولا بقي منكم وابر! أبعد إيماني [بالله] برسول الله «صلى الله عليه وآله» وهجرتي معه، وجهادي في سبيل الله أشهد على نفسي بالكفر! لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين.

[ولكن منيت بمعشر أخفاء الهام، سفهاء الأحلام، والله المستعان].

ثم انصرف عنهم[1].

ونقول:

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص84 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج4 ص62 والكامل في التاريخ ج2 ص404 و (ط صادر) ج3 ص344 و 345 والأخبار الطوال ص207 نحوه، وراجع: مناقب آل أبي طالب ج3 ص189 وراجع: أخبار الموفقيات ص325 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص367 - 370 ونهج السعادة ج2 ص391 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص527.

إننا وإن كنا قد ذكرنا في كتابنا هذا الكثير من الوقفات مع كلمات أمير المؤمنين «عليه السلام» فيما يرتبط بالخوارج، وكذلك في كتابنا: علي «عليه السلام» والخوارج، ولكن اللطائف والدقائق في كلماته «عليه السلام» لا تكاد تحصر، فلا بد لنا من الإشارة إلى بعضها هنا أيضاً، وإن كان يسيراً، فنقول:

مستويات البيان.. وطريقة الخطاب:

1 - إن أول ما فعله «عليه السلام» حين واجه الخوارج أنه ميز بين نوعين منهم، وأمرهم بالتمايز عن بعضهم، والإفتراق إلى فرقتين، وهما الفرقة التي شهدت صفين منهم، والفرقة التي لم تشهد.

2 - أوضح لهم: أن لكل فرقة منهم نوعاً من الكلام يختلف عن النوع الذي يكلم به الفرقة الأخرى. وهذا يعطي: أن من الضروري ملاحظة حال المخاطب، وأوضاعه النفسية، ومستواه الفكري والثقافي، وغير ذلك.

3 - لعله أراد بذلك: أن يلفت نظر الفرقة التي لم تحضر صفين إلى أنها قد تكون ضحية تضليل إعلامي، ولو بأن قيل لها بعض الحقيقة، وأخفى أو سكت عن بعضها الآخر.

فلو ضم بعض الكلام المسكوت عنه إلى الكلام الآخر، فإن القناعات سوف تتغير، والصورة تصبح أوضح وأظهر.

وهذه الطريقة تزيد في بصيرة الفئة التي لم تحضر الحدث، وتجعلها في موضع المترقب لما يلقى إليها، وفي موقع المتأمل فيه،

والمقارن له مع ما كان قد سمعه ليجد مواضع الخلل، ويتلمس الفجوات والفراغات، التي تحتاج إلى أن تملا بما يزيد الأمور وضوحاً والحدث انسجاماً..

4 - والأمر الآخر الذي نود لفت النظر إليه: أن الخوارج الذين قاموا في وجه أمير المؤمنين «عليه السلام» في صفين كانوا فيما يقال: عشرين، بل أكثر من خمسة وعشرين ألفاً من المقاتلين.

ولكن هذا العدد لم يبق على ما هو عليه، بل كان في تناقص مستمر، بسبب جهود امير المؤمنين «عليه السلام» في التوعية والبيان.. بالإضافة إلى جهود الواعين من اصحابه «عليه السلام»..

وبالرغم من أن هناك من انضم إليهم من الناس الذين لم يحضروا صفين، لكن الظاهر أن المنضمين كانوا أعداداً قليلة لم تستطع أن تحفظ لهم كثرتهم التي كانت لهم في صفين.

ضرورة إشراك المخاطبين:

وقد رأينا: أنه «عليه السلام» لم يبادر إلى إفراغ ما عنده من أدلة وحجج، ولم يعتمد على قوته البلاغية، ولم يستفد من هيبة السلطان، ليفرض رأيه، ويعتبر نفسه قد أدى ما عليه، وصار بإمكانه أن يعامل الآخرين بالحزم والحسم، لأنهم صاروا عصاة متمردين..

بل تعامل معهم بروحية الأب الشفيق، والطبيب الرفيق، والمحب والصديق الذي يريد أن يقنعهم، ويعيدهم إلى الصواب بكل ما أوتي من قوة وحول..

ولذلك حاول أن يخرجهم من أجواء التشنج والغضب والحقد، والرفض. إلى أجواء التأمل والإيجابية، والإستجابة، والمرونة، والطاعة، والترقب، والتدبر.. وذلك من خلال التعامل معهم باسلوب جديد، وفريد..

فأولاً: إن نفس تقسيمهم إلى فرقتين، وتفريق كل فرقة عن الأخرى، من شأنه أن يفرض هذه الأجواء الإيجابية الجديدة، وينقلهم من حال إلى حال.. على النحو الذي وصفناه..

ثانياً: أضاف «عليه السلام» إلى ذلك ما يلي:

ألف: طلب الإمساك عن الكلام.

ب: طلب الإنصات لقوله «عليه السلام».

ج: طلب التوجه والإقبال بأفئدتهم إليه «عليه السلام».

ثالثاً: إن هذه المطالب لم تصدر لهم بلهجة إستعلائية سلطوية، بل جاءت في سياق إعدادهم للمشاركة الإيجابية في الحوار.. لأنه «عليه السلام» عقَّب على مطالبه هذه بما يشبه التعليل حيث قال: «فمن نشدناه شهادة، فليقل بعلمه فيها..».

فإن طلب الشهادة يحتاج على التفات من الشاهد، وإلى دقة وتأمل في كل كلمة تقال، حيث لا بد أن يحتمل أن تكون توطئة لما تطلب الشهادة به، أو عليه..

يضاف إلى ذلك: أن هذا الإشهاد يعطي للشاهد شعوراً فيه بالقيمة، والإحترام لنفسه، ويشعره أيضاً بقيمته، واحترام كلمته حتى

لدى من يظن أنه عدوه..

ويكون «عليه السلام» بهذه المشاعر المستجدة، قد أقحم المشاعر الطيبة والراضية في صميم أجواء التشنج والغضب. وأوجد بذلك مناخاً أكثر إيجابية، وعقلانية مما كان عليه قبل لحظات..

رابعاً: وهنا تجدر الإشارة إلى أنه «عليه السلام» أراد أن يقرر الذين حضروا صفين، ويشهدهم على ما جرى، لكي يسمع ويرى الذين لم يحضروا صفين منهم أنفسهم كيف يعترفون بالحق، ويقرون بأنهم هم الذين سعوا لإيقاف الحرب، وهو الذي رفض ذلك.

وإنهم قد استعملوا لإقناعه «عليه السلام» بقبول إيقافها فنوناً من الترغيب وأنواعاً من الترهيب، وقد أوضح هو لهم حقيقة نوايا معاوية، وبيَّن لهم عواقب الإنسياق مع هذه الخدعة، فلم ينفع ذلك..

وحين لم يجد «عليه السلام» بداً من القبول بالتحكيم، حتى لا تقع الفتنة منهم في جيشه حاول أن يحتاط للأمر، ويختار للحكومة الرجل المجرب، والعالم، والمأمون، كابن عباس، أو الأشتر، أو الأحنف، ولكنهم أبوا إلا أن يرسلوا رجلاً ضعيفاً، وغير مأمون..

فهذا الأسلوب الذي اتبعه «عليه السلام» مع الخوارج أدى إلى عودة أكثر من الثلثين منهم، واعتزلوا الحرب..

حال علي × أصعب من حال النبي ’ :

ثم إنه «عليه السلام» لم يكتف بكل ما تقدم، بل بيَّن للخوارج: أن

المحنة التي واجهها كانت أشد من المحنة التي واجهها النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمون مع المشركين، لأن أعداء النبي «صلى الله عليه وآله» هم الكفار والمشركون، وهم أعداء حقيقيون.

أما من يواجههم علي «عليه السلام»، فهم المسلمون المنحرفون والمخدوعون، وأهل الشبه والإعوجاج، وإن كان رؤساؤهم ليسوا بأهل دين، ولا قرآن..

ومواجهة المخدوع والمنحرف أصعب، لأن الأمر يتطلب البحث عن أية فرصة، وعدم إهمال أدنى احتمال يمكن أن يستفاد منه في لم الشعث، ورأب الصدع، فلم يكن يمكن المضي في القتال، بعد أن ظهر أن ثمن ذلك هو أن تثور الفتنة في جيش أمير المؤمنين نفسه.. وأصبح من الضروري حساب الربح والخسارة في كل خطوة، ولم يعد من الجائز التفريط بأي احتمال مهما كان ضئيلاً..

الخوارج يكفّرون مرتكب الكبيرة:

ادعى الخوارج: أن علياً «عليه السلام» قد أخطأ وضل وكفر، ويجب أن يتوب، وأن من معه ضالون أيضاً، وكفار مثله.. وبذلك حلت دماؤهم، ووجب قتلهم، ولذلك صاروا يقتلون أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام».

فالخوارج يثيرون عدة شبهات..

وقد رد عليهم أمير المؤمنين «عليه السلام» كما ورد في النص المتقدم برقم [2]:

أولاً: بأنه «عليه السلام» كان مصيباً في مواقفه كلها.. وقد بيَّن أنهم هم الذي أصروا على إيقاف الحرب، وهددوه بالقتل، أو بالتسليم إلى معاوية، ثم لم يرضوا بابن عباس ولا بالأشتر، بل هم اختاروا هم أبا موسى.

ثانياً: إنه «عليه السلام» قد أخذ على الحكمين أن يحكما بالقرآن لا برأيهما.

ثالثاً: لو فرض أنه أخطأ وضل، فلماذا يحكمون على سائر الناس بالضلال؟! فإنه تعالى يقول: **(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)**[1].

رابعاً: استدل «عليه السلام» على الخوارج بأمر هو مسلم عندهم، لكي يلزمهم به، وإن كان هو «عليه السلام» يراه خطأ، وهو أنه كيف يكون مرتكب الكبيرة كافراً، والحال: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يرجم الزاني المحصن، ويقتل القاتل، ثم يصلي عليه، ويورث أهله ماله.. والخوارج، وكثير من الناس يدَّعون: أن المسلم لا يرث الكافر، وكذلك العكس.. فكيف يجتمع قولهم هذا مع ذاك؟!

مع أن الصحيح: هو أن المسلم يرث الكافر، ولكن الكافر لا يرث المسلم.. ولكن الخوارج قد أخذوا ذلك عمن يعظمونه أشد تعظيم، بل يصل الأمر بهم إلى حد التقديس..

---

(1) الآية 164 من سورة الأنعام، والآية 7 من سورة الزمر، والآية 18 من سورة فاطر، والآية 15 من سورة الإسراء.

يضاف إلى ما تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أجرى الحد على السارق بقطع يده، وجلد الزاني غير المحصن. ولكنه عاملهم كمسلمين، فأعطاهم سهمهم من بيت المال، وزوجهم من المسلمات، ولو كانوا قد كفروا بذنوبهم لما جاز ذلك..

وأما قوله تعالى: **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)**(1).

فلا يدل على الخروج من الإسلام، لأن للكفر مراتب.

إحداها: أنه مجرد ارتكاب الذنب، وترك أمر الله(2).

والأخرى: الخروج من الدين..

وثيقة التحكيم أبطلت حكم الحكمين:

ولسنا بحاجة إلى التصريح: بأن الوثيقة التي كتبها علي «عليه السلام» حين وقف القتال في صفين هي التي أبطلت حكم الحكمين في دومة الجندل:

أولاً: لأنها اشترطت على الحكمين أن يستخرجا حكمهما من القرآن الكريم، ومن السنة النبوية الشريفة، وليس في القرآن آية تدل على لزوم خلع علي «عليه السلام» ولزوم استخلاف معاوية..

---

(1) الآية 44 من سورة المائدة.

(2) راجع: الكافي ج2 ص389 باب وجوه الكفر، وميزان الحكمة ج3 ص2711.

ثانياً: اشترطت الوثيقة اتفاق الحكمين معاً على الحكم.. ولم يتفق الحكمان على شيء كما هو معلوم، بل خرجا متباغضين يتسابان..

الحكمان يتعمدان مخالفة القرآن:

وتقدم قوله «عليه السلام» عن الحكمين: «فتاها عنه..» (الضمير يرجع إلى القرآن) «وتركا الحق، وهما يبصرانه. وكان الجور هواهما، والإعوجاج رأيهما».

وهذا معناه: أنهما قد ارتكبا جرماً هائلاً، وأن أبا موسى الأشعري لم يخدع في ما أقدم عليه من خلعه علياً «عليه السلام»، بل كان يرى حق علي «عليه السلام» عياناً في القرآن والسنة، ولكنه خدع في إبعاد الأمر عن عبد الله بن عمر، لا في حق علي «عليه السلام».

فما يشاع من أنه كان مغفلاً، وأنه خدع في أمر علي «عليه السلام» غير دقيق، أو فقل: قد فهم على غير وجهه الصحيح..

أصحاب علي × يناشدون الخوارج:

عن عبد الرحمن بن أبي الكنود: إن قيس بن سعد بن عبادة قال لهم [أهل النهروان]: عباد الله! أَخْرِجوا إلينا طلبتنا منكم، وادخلوا في هذا الأمر الذي منه خرجتم، وعودوا بنا إلى قتال عدونا وعدوكم، فإنكم ركبتم عظيماً من الأمر؛ تشهدون علينا بالشرك، والشرك ظلم عظيم، وتسفكون دماء المسلمين، وتعدونهم مشركين.

فقال عبد الله بن شجرة السلمي: إن الحق قد أضاء لنا فلسنا نتابعكم، أو تأتونا بمثل عمر.

فقال: ما نعلمه فينا غير صاحبنا، فهل تعلمونه فيكم؟!

وقال: نشدتكم بالله في أنفسكم أن تهلكوها، فإني لأرى الفتنة قد غلبت عليكم.

وخطبهم أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري، فقال: عباد الله! إنا وإياكم على الحال الأولى التي كنا عليها، ليست بيننا وبينكم فرقة، فعلام تقاتلوننا؟!

فقالوا: إنا لو بايعناكم اليوم حكمتم غداً.

قال: فإني أنشدكم الله أن تعجلوا فتنة العام مخافة ما يأتي في قابل[1].

ونقول:

لسنا نتابعكم.. أو تأتونا بمثل عمر:

إن أهم ما تضمنته الفقرة المتقدمة هو قول عبد الله بن شجرة السلمي: «إن الحق قد أضاء لنا، فلسنا نتابعكم أو تأتونا بمثل عمر.

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص83 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج4 ص62 والكامل في التاريخ ج2 ص404 و (ط صادر) ج3 ص343 والأخبار الطوال ص207 نحوه. وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص370 و 371 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص356.

فقال قيس بن سعد: ما نعلمه فينا غير صاحبنا، فهل تعلمونه فيكم؟!

وقيس بن سعد، هو من خيرة أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولم يكن يستسيغ عمر بن الخطاب، ولا يحبذ سياساته، وقد كان لعمر مع أبيه سعد بن عبادة موقف عنيف يوم السقيفة، وجه له فيه إهانات قاسية ـ ومع ذلك نجد أن قيساً ـ قد تجنب الدخول في نقاش مع الخوارج حول عمر وسياساته.. بالرغم من أنه كان يَحْتَمِل أن يكون هدف ابن شجرة هو الإيذاء، والإثارة، والتذكير بالماضي والتحريض على عمر بن الخطاب، فلعل علياً وأصحابه تثور ثائرتهم، وتصدر منهم كلمات غاضبة في حق عمر، فيكون ذلك من أسباب تعصب العرب لعمر، وتأييدهم لمناصريه، ونفورهم وعدائهم لمناوئيه.

كما أن ابن شجرة كان يعلم: أن النيل من عمر سيكون من موجبات زيادة تعصب العرب من الخوارج له، وتكريس عنادهم،، وإصرارهم على مواقفهم، وذلك لأن سياسات عمر بن الخطاب في اضطهاد غير العرب، وحرمانهم من أبسط الحقوق، وتكريس الإمتيازات لخصوص العرب، قد جعلت لهذا الرجل مكانة غير عادية لدى العرب، وبلغ تقديسهم له حداً جعلهم يقدمون أقواله وأفعاله حتى على أقوال وأفعال الرسول «صلى الله عليه وآله».

وقد ذكرنا نصوصاً كثيرة تدل على مكانته هذه في فصل: تأثير

سياسات عمر في العراقيين، في الجرء الثاني من كتاب علي «عليه السلام» والخوارج..

وفيما يرتبط بمحبة الخوارج لعمر بن الخطاب نضيف إلى النص المتقدم ما يلي:

ألف: حينما أراد الخوارج إقناع زيد بن حصين بقبول الولاية عليهم قالوا له: «أنت سيدنا وشيخنا، وعامل عمر بن الخطاب على الكوفة، تولّ..»**(1)**.

ب: لما خرجت الخوارج بالكوفة أتت علياً «عليه السلام» أصحابه وشيعته فبايعوه، وقالوا: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، فشرط لهم فيه سنة النبي «صلى الله عليه وآله». فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخثعمي، وكان شهد معه الجمل، وصفين، ومعه راية خثعم، فقال له: نبايع على كتاب الله وسنة رسوله.

فقال ربيعة: على سنة أبي بكر وعمر.

فقال له علي «عليه السلام»: ويلك، لو أن أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنة رسوله لم يكونا على شيء من الحق.

فبايعه ربيعة.

فنظر إليه علي «عليه السلام»، فقال: أما والله لكأني بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت. وكأني بك وقد وطأتك الخيل

---

(1) الثقات لابن حبان ج2 ص295 والخوارج والشيعة ص71.

بحوافرها.

فقتل يوم النهروان.

قال قبيصة: فرأيته يوم النهروان قتيلاً، وقد وطأت الخيل وجهه، وشدخت رأسه، ومثلت به. فذكرت قول علي، وقلت: لله در أبي الحسن، ما حرك شفتيه قط بشيء إلا كان كذلك[1].

ج: وقد تخلى نجدة الحروري عن فكرة مهاجمة المدينة لما أخبروه بأن عبد الله بن عمر قد لبس السلاح، تأهباً لقتاله. وذلك لأن نجدة وسائر الخوارج كانوا يوقرون أباه عمر بن الخطاب توقيراً شديداً.

وكتب نجدة إلى ابن عمر يسأله عن أشياء في الفقه، فرأى ابن عمر أنها مسائل عويصة، فأحالها إلى ابن عباس، فأجاب عنها[2].

وكان ابن عمر يصلي خلف نجدة الحروري أيضاً[3].

---

(1) الإمامة والسياسة ج1 ص146 و (تحقيق الزيني) ج1 ص126 و (تحقيق الشيري) ج1 ص167 وبهج الصياغة (ط أولى) ج7 ص179 ونهج السعادة ج2 ص365 وراجع: الصراط المستقيم ج2 ص226 وج1 ص213.

(2) الخوارج والشيعة ص71 و (ط الخامسة سنة 1998م) ص61 والكامل في التاريخ ج4 ص204 .

(3) المحلى لابن حزم ج4 ص213 وبدائع الصنائع ج1 ص156.

ولا ندري إن كان تعظيم نجدة الحروري لعمر وابنه كان سببه ما جرى من عمر على أمير المؤمنين «عليه السلام» يوم السقيفة.. حيث لم يمكِّنه من ممارسة حقه في الخلافة..

ثم هاجم بيته، وحاول إحراقه على من فيه، وضرب زوجته فاطمة الزهراء «عليها السلام» بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأسقط جنينها، وتسبب في استشهادها..

ثم ما كان من تعاطف عمر مع ابن ملجم، قاتل أمير المؤمنين «عليه السلام» حيث كتب إلى عامله على مصر: «أن قرب دار عبد الرحمن بن ملجم من المسجد، ليعلِّم الناس القرآن والفقه.

فوسع له فكانت داره إلى جنب دار ابن عديس»[1].

وعلى خطى عمر سار عمرو بن العاص، فإنه أمر ابن ملجم بالنزول بالقرب منه، لأنه كان من قراء القرآن[2].

مع أن ابن ملجم كان يشرب الخمر[3]، ويلبس الحرير[1]، وكانت

(1) لسان الميزان ج3 ص440 والأنساب للسمعاني ج1 ص451 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص653.
(2) لسان الميزان ج3 ص440 والأنساب للسمعاني ج1 ص451.
(3) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج4 ص139 وبحار الأنوار ج4 ص239 ومناقب آل أبي طالب (المطبعة العلمية بقم) ج3 ص311 و (ط المكتبة

مربيته يهودية(2)، بل كان هو نفسه يهودياً، كما دلت عليه بعض النصوص(3).

الحيدرية) ج3 ص94 ومستدرك سفينة البحار ج9 ص228 ونهج السعادة ج7 ص110.

(1) الإرشاد للمفيد ص170 و (ط دار المفيد) ج1 ص19 وروضة الواعظين ص133 وراجع: ص134 والمناقب للخوارزمي ص276 ومناقب آل أبي طالب (المطبعة العلمية بقم) ج3 ص313 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص94 ونظم درر السمطين ص144 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص116 و 118 ومقاتل الطالبيين ص33 و (ط المكتبة الحيدرية) ص20 وبحار الأنوار ج4 ص239 ومستدرك سفينة البحار ج9 ص228 ونهج السعادة ج7 ص110 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص22 والمعجم الكبير ج1 ص98.

(2) بحار الأنوار ج32 ص 262 ونهج السعادة ج7 ص96 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج4 ص277 ومطالب السؤول ص239 وكشف الغمة ج1 ص279.

(3) تاريخ مدينة دمشق ج42 ص554 وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ج3 ص293 وكنز العمال ج15 ص 174 و (ط مؤسسة الرسالة) ج13 ص195 والكامل لابن عدي ج3 ص464 وحياة الصحابة ج3 ص75 ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج5 ص62 ونهج السعادة ج7 ص103 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج17 ص573.

وقاحة الراسبي:

قال ابن أعثم:

فاعتزل القوم، وتقدم علي بن أبي طالب من أصحابه حتى دنا منهم، وتقدم عبد الله بن وهب حتى وقف بين الجمعين، وجعل يقول: **(الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)**(1).

ألا! إن الذين عدلوا بربهم علي بن أبي طالب وأصحابه، الذين حكموا في دين الله عمرو بن العاص وعبد الله بن قيس، والله تعالى يقول: **(اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ..)**(2).

وقال تعالى: **(وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)**(3).

وقال: **(أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ)**(4).

قال: فصاح به رجل من أصحاب علي «رضي الله عنه» يكنى بأبي حنظلة فقال له: يا عدو الله! ما أنت والخطباء في مثل هذا الموضع؟! وأنت والله ما فهمت في دين الله ساعة قط، وما زلت جلفاً جافياً مذ كنت!!

---

(1) الآية 1 من سورة الأنعام.

(2) الآية 106 من سورة الأنعام.

(3) الآية 50 من سورة المائدة.

(4) الآية 62 من سورة الأنعام.

ثكلتك أمك، يا بن وهب! أتدري ويلك لمن تتكلم؟! ولمن تنازع؟!

أما علمت أنه أمير المؤمنين، أخو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وابن عمه، ووصيه، وصفيه، وزوج ابنته، وأبو سبطيه؟!

فقال له علي: ذره يا أبا حنظلة! فإن الذي هو فيه من العمى والضلالة أعظم من كلامه إياي لو علم(1).

راية الأمان:

عن أبي سلمة الزهري: رفع علي راية أمان مع أبي أيوب [وضم إليها ألفي رجل]، فناداهم أبو أيوب: من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن، ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن، ومن انصرف إلى العراق، ومن خرج من هذه الجماعة فهو آمن، إنه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم في سفك دمائكم.

فقال فروة بن نوفل الأشجعي [وكان من رؤساء الخوارج]: والله، ما أدري على أي شيء نقاتل علياً؟! [وليست لنا في قتله بصيرة ولا بيان، يا قوم، انصرفوا بنا] لا أرى إلا أن أنصرف حتى تنفذ لي بصيرتي في قتاله أو اتباعه.

وانصرف في خمسمائة فارس حتى نزل البندنيجين(2) والدَّسكرة.

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج4 ص271.

(2) بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل، وهي من أعمال بغداد.

وخرجت طائفة أخرى متفرقين، فنزلت الكوفة، وخرجت طائفة إلى المدائن.

وخرج إلى علي منهم نحو من مائة، وكانوا أربعة آلاف.

فكان الذين بقوا مع عبد الله بن وهب منهم ألفين وثمانمائة.

وفي نص آخر: فلم يبق منهم غير أربعة آلاف بعد أن كانوا اثني عشر ألفاً..

[وفي نص آخر: استأمن إلى الراية منهم ألف رجل، فلم يبق مع ابن وهب إلا أقل من أربعة آلاف رجل](1).

راجع: معجم البلدان ج1 ص499.

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص86 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج4 ص64 والكامل في التاريخ ج3 ص345 و 346 و (ط أخرى) ج2 ص405 وفيه «ألف وثمانمائة» بدل «ألفين وثمانمائة»، وأنساب الأشراف ج3 ص146 و (ط أخرى) ج2 ص371 و 372 والإمامة والسياسة ج1 ص149 و (تحقيق الزيني) ج1 ص128 و (تحقيق الشيري) ج1 ص169 كلاهما نحوه، والأخبار الطوال ص207 و 210 ونور الأبصار ص102 والفصول المهمة لابن الصباغ ص93 و (الطبعة الأولى سنة 1422هـ) ج1 ص529 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص189 و 193 وعن كشف الغمة ص265 والفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج4 ص125 والفرق بين الفرق ص80 والبداية والنهاية ج7 ص289 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص319 وبحار الأنوار (ط حجرية) ج8 ص563 و 565 و (ط جديد) ج33 ص390 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6

وأمر الذين استأمنوا أن يعتزلوه، ولا يشاركوا في الحرب.

ونقول:

لاحظ ما يلي:

رعاية الرسوم والآداب:

إن أول ما يثير الإنتباه هنا: إعتراض أبي حنظلة على الراسبي، لتصديه للخطابة في محضر أمير المؤمنين «عليه السلام»، حيث لم يراع الآداب في تصرفه هذا.. فقد وجد في هذا التصرف دلالة واضحة على أن هذا الرجل قد فقد كل المعاني الإنسانية، التي يمكن أن يعول عليها في أية عملية إصلاح، يمكن أن يتوخى الإنسان نجاحها.. فهال أبا حنظلة ذلك، لأنه أدرك أن كل أمل بالإصلاح، وإعادة الأمور إلى نصابها قد تلاشى، وأن الكارثة قد حلت بلا ريب.

وكأن هذه الصرخة التي أطلقها أبو حنظلة في وجه الراسبي كانت صرخة ألم، أو أنه أراد لها أن تكون بارقة أمل تبعث الحياة في جسد كان قد أصبح خاوياً من كل نبضاتها.. فحاول أن يعيد بها للراسبي حجمه الحقيقي، فذكره بجهله في دين الله، وبصفات الأعرابية فيه، فقال له: «أنت ـ والله ـ ما فهمت في دين الله ساعة قط، وما زلت جلفاً جافياً مذ كنت»..

ثم ذكره بموقع أمير المؤمنين «عليه السلام» من هذا الدين، فقال

ص371.

له: «أما علمت أنه أمير المؤمنين، أخو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وابن عمه، ووصيه، وصفيه، وزوج ابنته، وأبو سبطيه»؟!

وهي ميزات وسمات سبع لم تجتمع لأحد من هذه الأمة سواه «عليه السلام».

والإعلان بهذه المقارنة أمام جميع الناس، قد ينبه الغافل، ويعلم الجاهل.. ويعيد إليهما بعض البصيرة بعد أن طغى عليها الهوى، او غلب عليها الغضب، أو هيمنت عليها شعارات جوفاء، أو عصبيات عمياء، أوجهالات وحماقات هوجاء..

العمى والضلالة أعظم:

وقد قرر أمير المؤمنين «عليه السلام»: أن ما يقوله أبو حنظلة، وإن كان صحيحاً في نفسه، ولكن على الناس أن يلتفتوا إلى أن المؤاخذة التي سجلها أبو حنظلة كانت هي الأيسر والأخف من سائر ما لدى الراسبي من أسواء، وقبائح. فإن الذي كان في الراسبي من عمى عن الحق، وضلالة عن الهدى، أعظم قبحاً وسوءاً من مخالفة أخلاقية وسلوكية كهذه..

وقد دل مضمون خطاب الراسبي على هذه الحقيقة، حيث جعل الحق باطلاً، والباطل حقاً. كما جعل علم الهدى ونور الله في الأرض، وسيد الموحدين كافراً. فهل هناك عمى وضلالة أعظم من هذا؟!

النهروان كفتح مكة:

ويلاحظ هنا: أن أمير المؤمنين علي «عليه السلام» قد عامل أهل النهروان بنفس الأسلوب الذي عامل به النبي «صلى الله عليه وآله» أهل مكة يوم الفتح..

فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما فتح مكة قال: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن.. ومن دخل المسجد فهو آمن إلخ..».

وكذلك فعل أمير المؤمنين «عليه السلام» في حرب النهروان، فإنه رفع راية مع أبي أيوب، قال: «من جاء إلى تلك الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن الخ..».

وذلك يعطي: أنه «عليه السلام» ينظر إلى الخوارج بنفس النظرة التي كانت لدى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن مشركي مكة يوم الفتح، وعاملهم نفس المعاملة..

والسبب في ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» كان لا يريد إلا أن يكسر شوكة أهل مكة، ويسقط هيبته، ولم يكن راغباً في سفك دمائهم، حفظاً لحرمة بيت الله تعالى، ولما يتوقعه من إسلام كثير منهم، وإسلام عوائلهم وذرياتهم. ولئن لم يحسُن إسلام الكثيرين منهم لسبب أو لآخر، فإنه «صلى الله عليه وآله» يتوقع اعتدال إسلام كثير من أبنائهم وذرياتهم.

راية الأمان:

أما حديث راية أبي أيوب فنستفيد منه أموراً عديدة، نذكر منها ما يلي:

أولاً: لزوم أن يكون النظر إلى الأمور بعيداً وثاقباً، وعدم الإقتصار على المجالات الضيقة والمحدودة، وأن لا تكون المواقف مجرد ردات فعل على الأحداث التي تجري..

ثانياً: صرح النص المتقدم: بأن الأمان إنما اقتصر على من لم يقتل، ولم يستعرض الناس بسيف، يهدف إلى الإفساد في الأرض، وإخافة السبيل.

وهذا يلتقي مع ما فعله رسول الله «صلى الله عليه وآله» في فتح مكة أيضاً، حيث اقتصر على مجرد إسقاط مقاومتها، وقتل بعض المجرمين والمفسدين والقتلة، الذين ارتكبوا الموبقات والعظائم..

ثالثاً: لقد تضمن نداء أبي أيوب للخوارج التصريح: بأن لا حاجة بهم إلى سفك دماء أحد من الخوارج، إلا من ارتكب منهم جريمة يستحق بها القتل.

رابعاً: لقد اكتفى «عليه السلام» من الخوارج بالكف عن القتال، ولو بالخروج من بين الجماعة المتهيئة لقتاله «عليه السلام». ولو لم يبلغوا المدائن أو الكوفة، ولم يلجأوا للراية.

وهذا يجعلنا نظن: أن اللجوء إلى الراية لم يكن له خصوصية سوى أنه يجعل من الممكن التمييز بين المصمم على الحرب منهم من

غيره، ولكي لا يلحق ببعضهم ضرر غير مقصود.

خامساً: بالنسبة لضمه ألفي رجل إلى أبي أيوب، لعله كان يهدف إلى الإحتياط والحذر، من أن يتخذ بعضهم الإنحياز عنه ذريعة للغدر به، والهجوم عليه من الموضع الذي يفترض أنه موضع آمن بالنسبة إليه..

لا يدري لماذا يقاتل علياً ×:

تقدم: أن الخوارج ما كانوا أهل يقين، ولا من أهل البصيرة في الدين، بل كانوا شكاكاً، لديهم جرأة على الله، وإقدام على انتهاك الحرمات، لا يقفون عند الشبهات..

فلا صحة لما يدعيه البعض من أنهم إنما أقدموا على ما أقدموا عليه لظنهم أنهم قد اكتشفوا الحقيقة، ورأوا أن دينهم لا يسمح لهم بالسكوت على ما اعتقدوا أنه منكر وكفر..

والشاهد على ما نقول:

قول فروة بن نوفل الأشجعي ـ وهو من رؤسائهم ـ: «والله، ما أدري على أي شيء نقاتل علياً. لا أرى إلا أن ننصرف حتى تنفذ لي بصرتي في قتاله أو اتباعه، فانصرف في خمس مئة فارس إلى (البندنيجين)، والدسكرة وخرجت طائفة أخرى متفرقين، فنزلت الكوفة. وخرج إلى علي منهم مئة».

وفي نص آخر: «استأمن إلى الراية منهم ألف رجل».

الدعاء والإبتهال:

روي عن الإمام الباقر «عليه السلام» أنه قال: إن علياً «عليه السلام» كان يدعو على الخوارج فيقول في دعائه: اللهم رب البيت المعمور، والسقف المرفوع، والبحر المسجور، والكتاب المسطور، أسالك الظفر على هؤلاء الذين نبذوا كتابك وراء ظهورهم، وفارقوا أمة أحمد عتواً عليك(1).

ونقول:

بعض مضمون الدعاء:

إن التأمل في مضمون هذا الدعاء المبارك يفتح أمام الإنسان آفاقاً رحبة من الوعي والمعرفة. ويأخذ بيده إلى واحات من الصفاء والطهر الروحي، ويغمر قلبه بسلام الإيمان، وخلوص النوايا، ويعمره بالثقة بالله، وباليقين والتقوى..

ونستطيع أن نسجل في هذه العجالة بعض إشارات، كما يلي:

1 ـ بالرغم من أن الخوارج كانوا قراء للقرآن، ويمارسون العبادة، ويستكثرون منها، حتى كان يقال لهم: إنهم أصحاب الجباه السود. إلا أنهم مع ذلك كانوا لا يستفيدون من قراءتهم للقرآن شيئاً، بل

---

(1) قرب الإسناد ص12 ح37 عن مسعدة بن صدقة، عن الإمام الصادق «عليه السلام»، وبحار الأنوار ج33 ص381 ح611 ونهج السعادة ج6 ص330 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص373.

كان لا يجاوز تراقيهم، كما أنهم قد مرقوا من هذا الدين مروق السهم من الرمية..

ومن هنا جاء دعاء علي «عليه السلام» منسجماً مع حال الخوارج هذا، حيث بدأه «عليه السلام» بقوله: «اللهم رب البيت المعمور»، وهو البيت الذي في السماء، وهو محاذ للكعبة، وفيه صلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» كما في حديث المعراج، وهو مصلى الملائكة، الذين يمثلون النموذج للطهارة الذاتية، وللعبادة الخالصة والصادقة، وللتحقق في معرفة الله تعالى، وفي العبودية له سبحانه. وهم النموذج الأمثل في الإنقياد التام، وفي الإنسجام والإلتزام..

والحال، أن في الأرض فريقاً يصلي إلى الكعبة التي هي أقدس مكان في الأرض، ويمارس العبادة وقراءة القرآن بجد واجتهاد، ولكنه على النقيض من الملائكة، يسعى في هدم دين الله. بل هو يكفر المثل الأعلى للهداية والصلاح، ويبذل كل جهد من أجل قتله، وقتل كل من يهتدي بهديه، ويسير على منهاجه، أو ينسب نفسه إليه..

وهذا يفسر لنا قوله «عليه السلام» في آخر دعائه: «وفارقوا أمة محمد عتواً عليك» حيث تضمنت هذه الفقرة: أمرين يخالفان فيهما حال الملائكة إلى حد التناقض..

أحدهما: طاعة الملائكة الله، وعبوديتهم وخضوعهم المطلق له.. في مقابل تمرد الخوارج على ربهم ومعبودهم، وعتوهم عليه.

الثاني: مفارقتهم للأمة العابدة لله تعالى، ومنابذتهم لها. والحال، أن الملائكة في غاية الإنسجام والتكامل والرضا بكل عابد ومطيع لله سواء أكان منهم، أو من غيرهم.

2 - إن الخوارج بالرغم من أنهم يقرؤون القرآن بكثرة، ولكنه لا يجاوز تراقيهم، وقد نبذوه وراء ظهورهم، فلم يهتدوا بهداه، ولا استضاؤا بنوره.

أما الملائكة، فإنهم لم يتعدوا الكتاب المسطور، بل كانوا خدامه والخاضعين لتعاليمه، والملتزمين بكل أمر جاء فيه، وكل سطر يخصّهم منه..

عرض المصحف على الخوارج:

وقد فعل «عليه السلام» مع الخوارج كما فعل مع أصحاب الجمل وصفين، قال جندب:

«..فانتهينا إلى القوم، وهم في معسكرهم الذي كانوا فيه لم يبرحوا، فنادى علي في أصحابه، فصفهم.

ثم أتى الصف من رأسه ذا إلى رأسه ذا.

ثم قال: من يأخذ هذا المصحف، فيمشي به إلى هؤلاء القوم، فيدعوهم إلى كتاب الله (ربهم)، وسنة نبيهم، وهو مقتول، وله الجنة؟!

فلم يجبه إلا شاب من بني عامر بن صعصعة، فلما رأى حداثة سنه قال له: «ارجع إلى موقفك». ثم أعاد القول فما أجابه أحد، إلا

ذلك الشاب.

فقال له علي: خذ.

فأخذ المصحف.

(فقال له): أما إنك مقتول، ولست مقبلاً علينا بوجهك حتى يرشقوك بالنبل.

فخرج الشاب بالمصحف إلى القوم، فلما دنا منهم حيث يسمعون، قاموا ونشبوا الفتى قبل أن يرجع.

(قال): فرماه إنسان، فأقبل علينا بوجهه، فقعد. [ووجهه كالقنفذ].

فقال علي: دونكم القوم!

قال جندب: فقتلت بكفي هذه (بعد ما دخلني ما كان دخلني) ثمانية قبل أن أصلي الظهر، وما قتل منا عشرة، ولا نجا منهم عشرة، كما قال(1).

---

(1) راجع: كنز العمال ج11 ص 276 و (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص290 عن الطيالسي، ومنتخب كنز العمال (مطبوع مع مسند أحمد)، والمعجم الأوسط ج4 ص228 ومجمع الزوائد ج6 ص 241 و 242 عنه، وراجع: بحار الأنوار ج33 ص386 والخرائج والجرائح ج2 ص756 وإثبات الهداة ج4 ص554 ومدينة المعاجز ج3 ص156 وميزان الحكمة ج3 ص2320 ونهج السعادة ج2 ص380 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج17 ص544 وج32 ص553.

ونلاحظ:

1 - أن كلام جندب يشير: إلى أن ما أخبره به علي «عليه السلام» عما يجري لذلك الشاب، قد حصل بالتفصيل، وفقاً لما قاله «عليه السلام». وكذلك جرأتهم على قتل من يدعوهم إلى كتاب الله تعالى، مع أنه يحمل لهم كتاب الله ـ إن هذا وذاك ـ قد جعل جندباً يجدُّ في قتالهم، حتى لقد قتل ثمانية أشخاص بيده، قبل أن يصلي الظهر..

2 - إننا لم نجد في كل هذا التاريخ الذي بلغنا هذا الحرص الذي نجده من علي «عليه السلام» على إقناع أعدائه بعدم الدخول في الحرب. وهو «عليه السلام» لا يسأم من وعظهم، وتبصيرهم، وتقديم الدلائل تلو الدلائل لهم على خطأهم في موقفهم.. ولا يدع منفذاً ولو كان بقدر خرم الإبرة يمكن أن ينفذ منه إلى قلوبهم إلا ويسارع إليه.

ولكنه لا يجد سوى آذان صماء، وأعين عمياء، ونفوس شوهاء، وجهل وغباء.

3 - إنه «عليه السلام» قد أرجع ذلك الشاب حين رأى حداثة سنه، ثم أعطاه المصحف بعد أن أعاد القول، فلم يجبه سواه، وإرجاعه ربما إشفاقاً عليه، ولكي لا يدخل في وهم أحد أنه «عليه السلام» استغل حداثته، ومحدودية وعيه، وعدم تعقله للأمور لكي يحقق ما يريد، ولم يرحم حداثة سنه، فلما ظهر أن ذلك الشاب مصمم على إنجاز هذا الأمر. وإنه لم يندفع في المرة الأولى عن تسرع، أو عن نزق عرف أنه مستحق لهذه الشهادة أكثر من الذين أحجموا عنها.

إظهروا لي كتائب:

قال ابن المغازلي: إن علياً «عليه السلام» بعد أن احتج على الخوارج قال: حكم الله أنتظر فيكم. يا هؤلاء! أيكم قتل عبد الله بن خباب بن الأرت وزوجته وابنته؟! يظهر لي أقتله بهم وأنصرف عهداً إلى مدة، حكم الله أنتظر فيكم.

فنادوا: كلنا قتل ابن خباب، زوجته، وابنته. وأشرك في دمائهم(1).

فناداهم أمير المؤمنين: اظهروا لي كتائب وشافهوني بذلك، فإني أكره أن يقرَّ به بعضكم في الضوضاء ولا يقرَّ بعض، ولا أعرف ذلك في الضوضاء، ولا أستحل قتل من لم يقر بقتل من أقر. لكم الأمان حتى ترجعوا إلى مراكزكم كما كنتم.

ففعلوا، وجعلوا كلما جاء كتيبة سألهم عن ذلك، فإذا أقروا عزلهم ذات اليمين، حتى أتى على آخرهم.

---

(1) مناقب الإمام علي لابن المغازلي ص412 و 413 و (ط أخرى) ص478 و 479 عن تاريخ بغداد ج7 ص3729/237 وراجع: السنن الكبرى للبيهقي ج8 ص16767/320 وأنساب الأشراف ج3 ص136 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص83 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج4 ص62 والكامل في التاريخ ج2 ص404 و (ط صادر) ج3 ص343 والبداية والنهاية ج7 ص288 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص319 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ق2 ص180 والمسترشد ص427.

ثم قال: ارجعوا إلى مراكزكم. فلما رجعوا ناداهم ثلاث مرات: رجعتم كما كنتم قبل الأمان من صفوفكم؟!

فنادوا كلهم: نعم.

فالتفت إلى الناس، فقال: الله أكبر! الله أكبر! والله لو أقر بقتلهم أهل الدنيا وأقدر على قتلهم لقتلتهم. شدوا عليهم، فأنا أول من شد عليهم.

وعزل بسيف رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثلاث مرات، كل ذلك يسوِّيه على ركبتيه من اعوجاجه، ثم شد الناس معه فقتلوهم، فلم ينج منهم تمام عشرة.

إلى أن قال:

ثم قال «عليه السلام»: تفرقوا.

فلم يقاتل معه الذين كانوا اعتزلوا، كانوا وقوفاً في عسكره على حدة(1).

---

(1) مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص412 ـ 414 و (ط أخرى) ص478 و 479 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص282 وبحار الأنوار ج33 ص355 ح587 وج41 ص101 وميزان الحكمة ج1 ص736 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص374 ومستدرك الوسائل ج18 ص213 ح22534 ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص62 وفيهما إلى «لقتلتهم».

ونقول:

إظهروا لي كتائب لماذا؟!:

إن أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يطرح على الخوارج خيارات صعبة تسوغ لهم الإصرار على رفض العودة عن قرار الحرب، بالرغم من أنه كان يحق له أن يصر على مجازات مثيري الفتنة والناكثين لبيعته، والساعين في التأليب عليه، والداعين الناس للعصيان والتجمع للحرب، فإن هذه ذنوب لها عقوباتها في الشريعة.

ولكنه «عليه السلام» آثر أن يقتصر على القدر الذي لا مهرب منه.. والذي يعرف الناس كلهم أنه جريمة لا مهرب من عقوبة مرتكبيها، لا سيما وأنها جريمة قد طالت النساء والأطفال، وقد تم القتل فيها بطريقة مفجعة وقاسية، ووحشية، فإن بقر بطون الحوامل لأمر فظيع ومؤلم حتى لو تعرضت له دجاجة، لا يمكن الإقرار عليه، والتجاوز عنه..

واللافت هنا: أنه «عليه السلام» قد طلب منهم بعد إقرارهم بأنهم جميعاً قد شاركوا في القتل: بأن يظهروا له كتائب، ويشافهوه بإقرارهم هذا..

ولعل السبب في ذلك: أنه «عليه السلام» يريد أن يفسح المجال لمن لم يكن لديه تصميم قاطع على القتال ليتراجعوا عن موقفهم، في أجواء تعطيهم الشعور بالأمن من ضغوط إخوانهم عليهم..

2 - إن هذا التفريق إلى كتائب وجماعات يخفف من وطأة سيطرة

العقل الجماعي عليهم، ويقربهم من التفكير الأكثر انسجاماً مع الواقع، والأبعد عن التخيلات والتضخيمات الموهومة، التي يسهم الضجيج والعجيج الهائل للجماعة في التهويل بها عليهم، حين يكونون في صعيد واحد..

ولأجل ذلك قال «عليه السلام» لهم: «وشافهوني، فإني أكره أن يقر بعضكم في الضوضاء، ولا يقر بعض».

3 - إن الأصوات الخافتة، وربما المسالمة قد تضيع في خضم ذلك الحماس، ولا تجد من يسمعها، أو من يستجيب إليها، فإذا تهيأت لها الفرصة للمشافهة لتكون مسموعة، فإنها ستصير أكثر جرأة في الإفصاح عن نفسها. كما أنها ستجد الفرصة لمراجعة حساباتها، والتدقيق في الخيارات المطروحة، وفق المعطيات المتوافرة. بالاستناد إلى قواعد الربح والخسارة في مثل هذه الأمور المصيرية..

4 - كما أن هذه المشافهة تزيد من الإحساس بالمسؤولية الشخصية المباشرة عن كل كلمة وتصرف، وهذا هو المطلوب في مثل هذه الإحوال..

5 - وهذه المشافهة تعطي أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» أيضاً البصيرة واليقين، والحزم في قتالهم الذي يريده «عليه السلام» أن يكون حاسماً، وقاطعاً لدابر الفتنة. ومن دون أن تكون له سلبيات وآثار لا يريد «عليه السلام» أن يراها في أصحابه، وفي كل المحيط الذي هو فيه..

6 ـ كما أن هذا التدقيق في السؤال عن موضوع قتل ابن خباب وأصحابه، ثم تكرار السؤال ثلاث مرات عن وصولهم إلى مواضع أمنهم.. وسماع جوابهم في المرات الثلاث، إنما هو قضاء لحقهم، وسعي لإنصافهم، وإعطاء الدرس لكل حاكم يأتي بعده «عليه السلام» في كيفية تعامله مع أعدائه، حتى في أحرج اللحظات..

فإن عداوتهم لا تذهب بحقوقهم.. وحراجة اللحظة لا ينبغي أن تُجعل ذريعة لإبطال الحقوق، ولا أن تعتبر فرصة لاقتناص النصر بصورة عشوائية، وغوغائية، إذ لا يصح أن يطلب النصر بالجور.. كما يقول علي «عليه السلام».

المعتزلون لم يقاتلوا إخوانهم:

وقد صرحت الرواية المتقدمة: بأن الذين اعتزلوا الحرب، ولجأ بعضهم إلى راية الأمان، لم يشاركوا في القتال، لأن علياً «عليه السلام» قد طلب منهم ذلك..

ولعل السبب في طلبه هذا:

أولاً: إن علياً «عليه السلام» قد لا يكون راغباً في أن يحملهم أمراً لا يطيقونه من الناحية النفسية، إذ ليس من المألوف، بل ولا من السهل أن يُكلف الإنسان بقتال من كان يراه أخاً، وحليفاً، وشريكاً إلى لحظات خلت..

ثانياً: ليس هناك ما يضمن أن لا يفكر هؤلاء بالإنقلاب عليه، والعودة إلى مناصرة إخوانهم، ويكون لانقلابهم المفاجئ هذا أثراً

سلبياً على معنويات أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام».. وتتحول الحرب من حرب على المبادئ إلى حرب للتنفيس عن الأحقاد، والإنتقام الشخصي الذي لا ينتج إلا المصائب والبلايا، والكوارث والرزايا..

وهذا ما لا يريده علي «عليه السلام»، بل هو يرفضه ويمقته..

هكذا عبأ علي × أصحابه:

قالوا:

فرجع علي فعبأ أصحابه، فجعل على الميمنة حجر بن عدي. وعلى الميسرة شبث بن ربعي (أو معقل بن قيس)، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري، وعلى الرجالة أبا قتادة، وعلى أهل المدينة ـ وهم ثمان مئة رجل من الصحابة ـ قيس بن سعد بن عبادة (وقال الشبلنجي، وابن الصباغ: إن قيساً كان على المقدمة) ووقف علي في القلب، في مُضَر[1].

(1) الإمامة والسياسة ج1 ص149 و (تحقيق الزيني) ج1 ص128 و (تحقيق الشيري) ج1 ص169وراجع: نور الأبصار ص102 والكامل في التاريخ ج3 ص345 و 346 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص189 و 193 وراجع: الفصول المهمة لابن الصباغ ص93 وكشف الغمة ص265 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج4 ص125 والفرق بين الفرق ص80 والأخبار الطوال ص207 وراجع: البداية والنهاية ج7 ص289 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص319 وأنساب الأشراف ج2 ص371 و 372

عدد جيش علي × في النهروان:

زعم بعضهم: أن الخوارج في النهروان قد أبدوا شجاعة خارقة في معركة لم تكن متكافئة، إنتهت بقتلهم ربضة واحدة[1].

ولعل عدم التكافؤ مأخوذ من قول البلاذري: إن عدد جيشه «عليه السلام» في النهروان كان اثني عشر ألفاً[2].

ونقول:

إن هذا الكلام غير دقيق، فإن الظاهر: هو أن الخوارج في النهروان كانوا أكثر عدداً من أصحاب علي «عليه السلام». وقد تقدم أن الذين جاؤوا من البصرة كانوا ألفاً وخمس مئة، ثم لحق بهم مثلهم، بعد مزيد من الإصرار، والجهد. أما الذين خرجوا معه من الكوفة

وفيه تفاصيل وتوضيحات، ومناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص414 وبحار الأنوار (ط قديم) ج8 ص563 و 565 وسفينة البحار ج1 ص383 و 384 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص74.

(1) قضايا في التاريخ الإسلامي ص80 والأخبار الطوال ص210 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص86 و (ط الأعلمي) ج4 ص64 والبداية والنهاية ج7 ص289 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص319 والكامل في التاريخ ج2 ص406 و (ط صادر) ج3 ص346 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص75 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص530.

(2) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص271.

فكانوا أقل من ذلك بكثير، ربما لأنهم كانوا إخوانهم وأبناءهم. ولا يريدون أن يُقتلوا على أيديهم.

بل يقول ابن حبان: إنه «عليه السلام» كان معه جمعية يسيرة، لأنه إنما جاء ليردهم بالكلام[1].

ويصرح ابن أعثم يقول:

إنه «عليه السلام» بعد أن خطب أصحابه ثلاث مرات «أجابه الناس سراعاً، فاجتمع إليه أربعة آلاف رجل أو يزيدون، قال:

فخرج بهم من الكوفة، وبين يديه عدي بن حاتم الطائي، يرفع صوته، وهو يقول:

نسير إذا ما كاع قـوم وبلدوا ... برايـات صـدق كالنسـور الخـوافق
إلى شر قوم من شـراة تحـزبوا ... وعـادوا إلـه النـاس رب المشـارق
طغاةً عماةً مارقين عـن الـهدى ... وكل لعين قولـه غـير صـادق
وفينا علي ذو المعالي يـقـودنا ... إليهـم جهـاراً بالسـيوف الـبوارق

قال: وسار علي رضي الله عنه، حتى نزل على فرسخين من النهروان.

---

(1) الثقات لابن حبان ج2 ص296.

ثم دعا بغلامه، فقال: اركب إلى هؤلاء القوم، وقل لهم عني.. الخ..»[1]. فعدي يصرح: بأن الناس قد كاعوا عن قتال الخوارج، وبلدوا، ولم ينشطوا له.

أما جيش الخوارج فقد تقدم: أن بعض الأقوال تصرح: بأن الذين قتلوا منهم كانوا خمسة آلاف. وبعضها يذكر عشرة آلاف..

بل في بعضها: أنهم كانوا اثني عشر ألفاً أو أكثر، وقد رجع أكثرهم بعد الإحتجاج عليهم، كما تقدم.

ثانياً: كيف تكون القوة متكافئة، حتى لو زاد عدد جيش علي «عليه السلام» على عدد الخوارج، فنحن نعلم: أن الناس مع علي «عليه السلام» لم يكونوا متحمسين لقتال الخوارج. كماقلنا.

أما الخوارج فكانت دوافعهم للفتك بعلي «عليه السلام» وأصحابه هي الأشد والأقوى، فالمتوقع هو أن ترجح كفتهم حتى لو كانوا أقل عدداً.

ثالثاً: إن نتائج حرب النهروان لا يمكن تبريرها بهذه التأويلات الباردة، ولا يمكن فهمها إلا بأحد وجهين:

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج4 ص105 و (ط دار الأضواء) ج4 ص261 والبيت الثاني المتقدم ذكره المعتزلي في شرح نهج البلاغة ج2 ص29 وابن شهرآشوب في مناقب آل أبي طالب ج2 ص370 وبحار الأنوار ج33 ص390.

أحدهما: أنها كرامة ومعجزة، صنعها الله تعالى لوليه، كما أوضحناه فيما سبق.

الثاني: إن قتلهم ربضة واحدة يدل على شدة جبنهم، ونهاية استسلامهم، حتى كانوا كالغنم التي تضع نفسها بيد جزارها.

أو يجمع بين هذين الأمرين، فيقال: إن حقدهم قد دعاهم إلى اللجاج والعناد، فلم يكن بد من التخلص منهم.

كما أن خذلان الله تعالى لهم، وتأييده لوليه، وسوء تقديرهم، وقلة تدبرهم وتدبيرهم، وحبهم للدنيا، وشكهم، وخوفهم قد تحول جبناً، وخواراً، وضعفاً عن مواجهة السيوف، فلاقوا الحتوف بالرغم عنهم، جزاءً لهم بما كانوا يعملون، وإنما على نفسها جنت براقش.

الفـــهـــــارس

1 - الفهرس الإجمالي
2 - الفهرس التفصيلي

1 - الفهرس الإجمالي

الفصل الثاني: إحتجاجات أمير المؤمنين × على الخوارج......... 7

الفصل الثالث: حكم الله أنتظر فيكم.. 57

الفصل الرابع: من حروراء.. إلى النهروان.......................... 93

الفصل الخامس: راسلهم إلى أن قتلوا رسوله...................... 117

الفصل السادس: الخطب الثلاث.. 141

الفصل السابع: يكذب المنجمون ولو صدقوا:...................... 516

الفصل الثامن: آخر المراسلات.. وامتحان الرسول.. 183

الباب الثاني: واقعة النهروان..

الفصل الأول: والله ما عبروا.. **.................................** 217

الفصل الثاني: آخر الإحتجاجات.. **..............................** 253

الفصل الثالث: من كلمات علي × مع الخوارج: **...............** 295

الفهارس: **..** 339

2 ـ الفهرس التفصيلي

الفصل الثاني: إحتجاجات أمير المؤمنين × على الخوارج

بداية: 9
علي × يحتج على الخوارج: 9
لا مجال لتجنب التكرار: 25
علي × في مئة رجل:.. 25
شهادة علي × بنزاهة ابن عباس:..................................... 27
لو أصبت أعواناً:.. 29
هل تعمد علي × فرز الجيش؟:! 30
وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ: 35
هل رضيتم بابن الكواء؟!: 38
تقرير علي × لابن الكواء:!!.. 39
متى كفر أبو موسى؟!: 40

لعلها أكثر من مرة:.. 42

إيهام في رواية الدينوري:.. 42

الصلاة في مضرب زعيم الخوارج: 44

نحن نذنب، وأنت تتوب: 47

افتراء الخوارج على علي ×: 48

علي × يولي يزيد بن قيس الأرحبي!!:............................... 51

شهادة يزيد بن قيس على وصية علي ×: 53

ابن الكواء إنسان مزيف:... 54

الفصل الثالث: حكم الله أنتظر فيكم..

أذى الخوارج لعلي ×:... 59

لكم عندنا ثلاث:.. 61

لا بد للناس من أمير:.. 63

سب بسب، أو عفو عن ذنب:... 63

نظرية الإسقاط:.. 65

كلمة حق أريد بها باطل: 65

لا بد للناس من إمام: 67

فجور الحاكم لا يمنع من حفظ الحد الأدنى:............................ 68

هل هذا من كلامه ×؟:! 69

لا إمرة إلا لله:.. 70

حكم الله أنتظر فيكم:.. 71
التحكيم والحاكمية: 73
إنهم في الأصلاب والأرحام إلى يوم القيامة:......................... 73
قوة تأثير الشعارات البراقة: 74
شبهة الخوارج أزيلت:.. 75
أعظم جرائم الخوارج:.. 84
لكم عندنا ثلاث:.. 84
قيمة الأمور التي تعهد بها علي ×:.................................... 86
ليس هذا من الحرب النفسية: 88
إعطاء الدنية في الدين: 89
مبدأ المقابلة بالمثل: 91
إن أنظار هذه الفحول طوامح: 91

الفصل الرابع: من حروراء.. إلى النهروان..

الخوارج.. من حروراء إلى النهروان: 95
إستشهاد ابن خباب: 99
يخطب في الكوفة.. والخوارج في النهروان:........................ 107
الحمد على المكروه والمحبوب:....................................... 108
الشهادتان لماذا؟!: 110
النصيحة الأغلى: 111

صفات الناصح:.. 112
علي × أكثر من ناصح:... 113
مقارنة.. لأجل التحذير:... 114

الفصل الخامس: راسلهم إلى أن قتلوا رسوله..

كتاب علي × لأهل النهروان:..................................... 119
حريات وحقوق مشروطة:.. 121
الحكمان لم يحكما:.. 122
الإستنفار لحرب معاوية:... 124
نبدأ بقتال الخوارج: 127
قتال القاسطين أولى: 130
تهديدات ابن عباس للناس:.. 133
هل رواية أحمد مكذوبة؟!:... 134
الشهيد الحارث بن مرة:... 135
الفساد في الأرض:.. 136
لا بد من التأكد: 137
الأشعث ليس من الخوارج:.. 138

الفصل السادس: الخطب الثلاث..

الرسول اليهودي لا يقتل: 143
الحث على المسير للخوارج: 144

الخطبة الثانية لعلي ×: 146
الخطبة الثالثة:... 148
مضامين الخطبة الأولى:.. 150
النبي النذير، الأمين، الشهيد: 151
بعث إليكم رسولاً من أنفسكم: 152
نظرة في مضامين الخطبة الثانية:................................... 153
إجتماع الأبدان لا يجدي:.. 154
لا يمنع الضيم الذليل: 156
مع أي إمام، وعن أي دار تقاتلون؟!: 157
السقوط المريع: 158
الدفاع عن الدار، والوطن:... 159
متى يتنبه الفاشلون؟!: 161
ألا ترون إلى بلادكم تغزى ؟!:....................................... 162

الفصل السابع: كذب المنجمون ولو صدقوا:

علي × يكذب المنجمين:.. 167
إحالة على فصل سابق:... 175
الطريقة والأسلوب الفريد: 176
استدلالات علي ×:.. 177
الأدلة التي ساقها ×: 178

تصحيح المسار: 180

لعلها أحداث عديدة: 180

قمرنا، أو قمرهم!!: 180

لماذا قبل هدية الدهقان؟!: 181

الفصل الثامن: آخر المراسلات.. وامتحان الرسول..

علي × يكاتب الخوارج:.. 185

جواب الراسبي:... 188

لماذا هذه الأسئلة بالخصوص؟!: 189

هل خاطر × بأسئلته التقريرية؟! 192

خوف الخوارج من حجة علي ×: 193

لا فقه ولا يقين: 194

الخوارج يختبرون ابن أبي عقب: 196

حامل الرسالة: 205

معرفة الله: 207

الخطأ في أنصبة الإبل:... 208

الخطأ في أنصبة البقر: 209

أنصبة الغنم:.. 209

صهيب وبلال والناكثان أولياء الله:...................................... 210

صلة عثمان برسول الله:’ 211

لماذا هذه الأسئلة؟!: 213

لماذا الإختراع؟!: 214

الباب الثاني: واقعة النهروان..

الفصل الأول: والله ما عبروا..

كلنا قتلهم: 219

قيس إلى المدائن: 220

الخوارج لم يعبروا النهر: 220

لن يعبروا.. لماذا؟!: 228

دلائل الحسم والوضوح: 230

الطليعة الخائف: 233

شك الناس: 235

قد رجعوا يا أمير المؤمنين!!: 235

هذه لك آية: 236

لا يخبرهم بالغيب تبجحاً!!: 238

سعة صدر علي ×: 238

ثكلتك أمك!! لماذا؟!: 238

ثكلتك أمك يا حر: 239

هل يحب علي × الإطراء؟:! 243

إلى أين أصرف ولايتي؟!: 244
مظاهر الثقة بأمير المؤمنين ×: 245
الأنصار مع علي ×: 248

الفصل الثاني: آخر الإحتجاجات..

صعصعة.. والراسبي: 255
خطب صعصعة في الخوارج: 259
العجب العجاب: 261
التقليد في الدين: 263
كلمات صعصعة في علي ×: 264
الملك هو الهدف: 264
الخوارج والدين والعلم: 266
الإحتجاج قبل القتال: 271
النص عند ابن المغازلي: 275
الإعلام الناجح: 284
قتل النساء في حكم ابن معاذ: 285
بل هم قوم خصمون: 286
إسلام القاسطين بنظر علي ×: 287
تطبيق حديث الغلول على عائشة: 287
السكوت علامة الرضا: خاص بالنساء: 288

الوصية هي الإمامة: 289
زعم أنه وصي: 290

الفصل الثالث: من كلمات علي × مع الخوارج

مستويات البيان.. وطريقة الخطاب: 302
ضرورة إشراك المخاطبين: 304
حال علي × أصعب من حال النبي’: 306
الخوارج يكفّرون مرتكب الكبيرة: 307
وثيقة التحكيم أبطلت حكم الحكمين: 309
الحكمان يتعمدان مخالفة القرآن: 309
أصحاب علي × يناشدون الخوارج: 310
لسنا نتابعكم.. أو تأتونا بمثل عمر: 311
وقاحة الراسبي: 316
راية الأمان: 317
رعاية الرسوم والآداب: 319
العمى والضلالة أعظم: 320
النهروان كفتح مكة: 321
راية الأمان: 322
لا يدري لماذا يقاتل علياً ×: 323
الدعاء والإبتهال: 323

بعض مضمون الدعاء: 324
عرض المصحف على الخوارج: 326
إظهروا لي كتائب: 328
إظهروا لي كتائب لماذا؟!: 330
المعتزلون لم يقاتلوا إخوانهم: 332
هكذا عبأ علي × أصحابه: 333
عدد جيش علي × في النهروان: 334
الفهارس: 339
الفهرس الإجمالي: 341
الفهارس التفصيلي: 343